# القدس الشريف

## في العهد العثماني




بشير عبد الغني بركات



الناشر

مكتبة دار الفكر / فلسطين - القدس

٠٢-٢٧٩٨٤٥٩

# القدس الشريف في العهد العثماني

بشير عبد الغني بركات

الطبعة الأولى

# الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

## توطئة

الحمد لله وحده، نحمده حمد الشاكرين العابدين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

أما بعد، فإن هذا الكتاب يهدف بالدرجة الأولى إلى طرح معلومات جديدة تلقي مزيدا من الضوء على النواحي العمرانية والاجتماعية والاقتصادية في القدس الشريف إبان العهد العثماني. ويحذونا الأمل في أن تساهم تلك المعلومات في إثراء الدراسات المقدسية التي يعكف عليها بعض المؤرخين والباحثين وطلبة الدراسات العليا.

فقد لا يجد هؤلاء مشقة في الاطلاع على المصادر التقليدية والأكاديمية التي تتناول المراحل التاريخية والإدارية والسياسية من الحكم العثماني في القدس الشريف. لكنهم يتطلعون نحو مؤلفات تضم معلومات جديدة لم تنشر من قبل. لذا فإننا لا نخدم العلم كثيرا عندما يقتصر عملنا على تلخيص أو تجميع ما ورد في المطبوعات المتداولة. فالقارئ يسعى دوما للحصول على معلومات تضاف إلى ما لديه وإلى ما تحتويه المطبوعات المنتشرة على رفوف المكتبات، فهو في غنى عن منشورات جديدة... لا جديد فيها.

ونأمل أن يجد طلبة الدراسات العليا المقدسية في فصول هذا الكتاب مجالا خصبا لاختيار موضوعات محددة، بحيث يتم التوسع فيها وتطويرها إلى أبحاث مستقلة تستقي من المعلومات المطروحة في هذا الكتاب ومن مصادرها الأولية المسطورة في سجلات المحكمة القدسية وفي بعض المخطوطات التي لم تنشر من قبل.

وأسجل في بداية هذا العمل المتواضع جزيل شكري وتقديري إلى العلامة الكبير فهمي الأنصاري. فقد اتسم هذا المؤرخ المقدسي بالعطاء المزين بالتواضع الجم والزهد في الشهرة. فكثير من حملة الشهادات العليا ومؤلفي الكتب المتداولة مدينون له بما نالوه من ألقاب ومكاسب.

**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**

بشير بركات- القدس الشريف

ربيع الثاني 1423هـ الموافق حزيران 2002م

# تطوير القدس في عهد السلطان سليمان القانوني[1]

**مقدمة**

تمتاز مدينة القدس ببلدتها القديمة التي تعد إحدى المدن الإسلامية القليلة التي تم الحفاظ على سلامة طابعها التاريخي، والتي يجسد مظهرها الأثري الحالي ليس مراحل التطور في العصور الوسطى فحسب، ولكنه يمثل أيضا وبشكل جوهري المباني التي أنشأها السلطان العثماني سليمان الأول القانوني الذي تولى الحكم في الفترة 926-974هـ/1520-1566م.

لقد تمكن هذا الحاكم العثماني العظيم بعد مضي فترة قصيرة على ضم سوريا وفلسطين إلى الدولة العثمانية عام 922هـ/1516م من إعادة تثبيت مكانة المدينة بصورة نهائية كمركز يشد المسلمون إليه رحالهم، وذلك بعد خضوعها للاحتلال الصليبي فترة طويلة امتدت من عام 492هـ/1099م حتى 583هـ/1187م، ثم لفترة أخرى قصيرة وهي 626-642هـ/1229-1244م.

ورغم أن الأيوبيين الذين استردوا المدينة المقدسة على يد الناصر صلاح الدين يوسف (564-589هـ/1169-1193م) والمماليك من بعدهم (658-922هـ/1260-1516م) قد شيدوا العديد من المباني الدينية إلى جانب إعادة بناء وترميم مكاني العبادة المركزيين، وهما قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وساهموا بذلك في صبغ المدينة بالطابع الاسلامي، إلا أن

[1] ترجمتُ هذه الدراسة عن الألمانية. وكان ميشيلماينكه الباحث في معهد الآثار الألماني في دمشق قد نشرها تحت عنوان Die Erneuerung von al-Quds/Jerusalem durch den Osmanensultan Sulaiman Qanuni في (الندوة العالمية الأولى حول فلسطين) ص 257-271. وهي بحق دراسة وافية شافية. لكنني لم أوفق إلى الاتصال بكاتبها قبل الترجمة، فله جزيل الشكر والعرفان.

القدس خضعت لأول مرة في عهد السلطان سليمان لبرنامج تطوير منتظم وشامل.

وحول اهتمام السلطان العثماني الملفت للنظر قدم لنا الرحالة التركي أوليا جلبي خلال وصفه لزيارة قام بها إلى القدس في رمضان 1082هـ الموافق كانون الثاني 1672م، الشرح التالي المفصل:

(في عام 926هـ/1521م اعتلى السلطان سليمان العرش وفتح قلعة بلغراد عام 927هـ/1521م وجزيرة رودس عام 928هـ/1522م وجنى من ذلك ثروة طائلة. وعندما غدا ملكا مستقلا ظهر له النبي في ليلة مباركة وقال له: ''يا سليمان سوف تحقق انتصارات عديدة، ويجب عليك أن تنفق الغنائم على تزيين مكة والمدينة وعلى تحصين قلعة القدس لتصد الكافرين إذا حاولوا احتلالها خلال حكم خلفائك. وعليك أيضا أن تزين حرمها بحوض للماء، وأن تمنح دراويشها مخصصات مالية كل عام، وعليك أيضا أن تزين صخرة الله وأن تعيد بناء مدينة القدس.'' ولما كان ذلك أمر من الرسول فقد نهض سليمان خان في الحال من نومه وأرسل صرة إلى المدينة وأخرى إلى القدس. وبالإضافة إلى المواد اللازمة أرسل كبير مهندسيه خوجا سنان إلى القدس، ونقل مصطفى باشا من ولاية مصر ليتولى حكم ولاية الشام. ولما صدر الأمر لمصطفى باشا بترميم القدس، جمع كافة البنائين والمهندسين والنحاتين في القاهرة ودمشق وحلب وأرسلهم إلى القدس لإعادة بنائها ولزخرفة الصخرة المشرفة).

قد يصعب علينا التحقق تاريخيا من صحة تفاصيل هذا السرد المفصل حول عناية سليمان الأول بتعمير مدينة القدس، لكنه يسلط الأضواء ليس فقط على الدوافع الإجمالية التي يمكن تقصيها من خلال المباني التي ما زالت قائمة في المدينة بعد عمليات البناء التي استمرت على امتداد أربعة قرون،

ولكنه يقدم أيضا أدلة واضحة تبين الدوافع التي كانت تكمن وراء كل إجراء من إجراءات البناء على حدة.

## أولا: مقام النبي داود

لقد كان أول المشاريع المعمارية التي يمكن إثبات نسبتها إلى السلطان في القدس هو تحويل كنيسة العشاء الأخير خارج باب النبي داود إلى مسجد. إن إعادة البناء التي جرت في نطاق محدود جدا وانتهت في الأول من ربيع الأول 930 هـ الموافق للثامن من كانون الثاني 1524م، تشير بوضوح إلى الهدف الرئيسي من برنامج البناء الضخم في القدس، وهو ما تطرق إليه أوليا جلبي، ألا وهو التأكيد على الهوية الإسلامية للمدينة المقدسة. ويؤكد النص العربي المنقوش في المقام على أن مبنى الكنيسة ودير الفرنسيسكان التابع له، والذي يقع قبر الملك داود بداخله، قد تم تحويله إلى وضع يتلائم مع الإسلام، وبالتالي تحقق تحريره من الكفار.

وفيما يتعلق بحجارة البناء الاسلامية، والتي تم تجديدها عدة مرات، فإن الأفاريز المسننة التي تستخدم لتزيين إطارات الأبواب والأقواس والنوافذ تشكل العنصر الأساسي في الزخرفة. ويشير هذا النمط من الإطارات الملفتة للنظر إلى ارتباط وثيق بالمدرسة المعمارية الحلبية، ولا سيما الكنارات المسننة المطابقة والتي اتخذت نموذجا ثابتا منذ أوائل القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي وحتى نهاية العصر المملوكي، ومن الأمثلة على ذلك خان القصابية.

## ثانيا: الحرم الشريف[2]

[2] هو تلك الأرض شبه مستطيلة الشكل التي تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة. ويطلق عليه لفظ حرم مجازا كما يطلق على الحرم الجامعي، وليس شرعا كما يطلق على الحرمين المكي والمدني. وقد أطلق عليه هذا اللفظ من أجل توضيح المفهوم منه. فالمسجد الأقصى في الأصل هو تلك

لقد تم تكريس قسم كبير من مشاريع البناء العظيمة على ترميم وتأثيث الحرم الشريف، فهو الموقع الأقدس في هذه المدينة الإسلامية. ومن الملفت للنظر أن النقش الذي يرجع تاريخه إلى أواخر شعبان 933هـ الموافق لأيار 1527م، والمكتوب على سبيل المحكمة الذي بناه قاسم باشا يصف السلطان بأنه سليمان الثاني. ويفهم هذا بالدرجة الأولى على أنه تشابه تاريخي يشير إليه اسم السلطان، لكنه يشير أيضا إلى دوافع هذا الحاكم العظيم في هذا الموقع بالذات، ألا وهو إعادة تفعيل الأماكن الاسلامية المقدسة في موضع هيكل سليمان.

### قبة الصخرة

لقد استأثرت قبة الصخرة بأول أعمال البناء الضخمة التي أنجزها السلطان لأنها المبنى المركزي المقدس. وحسب نقش أزيل من موضعه في وقت لاحق فقد تم الفراغ من تجديد شبابيك هذا المبنى المثمن الشكل، والبالغ عددها 36 والمزخرفة بقطع زجاجية، في عام 935هـ/1528م. وبما أن التجديد قد أمر به السلطان سليمان فلا يمكن أن يكون قد اقتصر على الشبابيك، وعليه يمكننا اعتبار ذلك العام تاريخا للترميم الشامل الذي خضع له أقدم مبنى تم تشييده في التاريخ الاسلامي.

وبتكليف من السلطان تم إنجاز الترميم خلال السنوات العشر التالية. وتم في مرحلة لاحقة تزيين الواجهات الخارجية بالقاشاني الملون على نمط الأبنية العظيمة في عواصم الدول. ولم يشتمل ذلك التزيين على قطع فسيفساء متعددة الألوان وبلاط زجاجي ملون ذي حافات غير مدببة فحسب، بل استخدمت فيه أيضا رسومات على بلاط تعلوها طبقات زجاجية شفافة.

---

الأرض التي تقع داخل السور. وبعد تشييد المسجد في قبلتها أصبح يطلق عليه المسجد الأقصى. فبرزت الحاجة إلى لفظ يدل على المفهوم الأصلي للمسجد فأطلق عليه حرم المسجد الأقصى. فمن الخطأ وصفه بثالث الحرمين الشريفين، رغم أنه المسجد الثالث الذي تشد الرحال إليه.

ويمكن ربط زخارف الفسيفساء تلك بالنقش الكتابي الذي يعود تاريخه إلى عام 952هـ/1545م على الجهة العلوية من السقف نصف البرميلي خارج الباب الشمالي للمسجد، والمرسوم تحت طبقة من الزجاج وعليه توقيع فنان فارسي يدعى عبد الله التبريزي، والذي دَوّن التاريخ خطأ بعام 959هـ أي 1551م.

وهي توضح لنا المستوى الذي وصلت إليه زخرفة البلاط باهظة التكاليف. فبمساعدة أمهر مهندسي ذلك الوقت تم تحقيق الهدف من زخارف الفسيفساء وهو إعادة البريق القديم إلى هذا المبنى. وفي هذا السياق يتضح لنا السبب في حرص أوليا جلبي على ذكر الخطاط أحمد قرة حصاري (ت 963 هـ/1556م) الذي زين بخطه الفسيفساء الخارجية، والذي عمل أيضا في الجامع السليماني في استانبول، بل وحرص أيضا على ذكر خوجا سنان (ت 996هـ/1588م) كبير المعماريين العثمانيين ومهندس ذلك الجامع، وربط بينهما وبين التعميرات التي أمر بها السلطان في القدس.

وبناء على استخدام أنماط فنية مختلفة في تصميم البلاط يمكننا الافتراض بأن إنتاج هذه الفسيفساء الرائعة لم يمر عبر مرحلة واحدة وإنما عبر العديد من مراحل الإنتاج. ومن الأدلة الصريحة على ذلك قبة السلسلة المنتصبة شرقي قبة الصخرة، حيث يوجد فوق محرابها نقش فسيفسائي مكون من سطرين ويبلغ طوله حوالي ثلاثة أمتار، وينص على أن قاشاني الفسيفساء تم تجديده بأمر من السلطان سليمان عام 969هـ/1562م. ويتكون بلاط النقش من كتابة باللون الأبيض على أرضية بنية غامقة يعلوها زجاج شفاف، وهي تطابق من الناحية الفنية فسيفساء باب قبة الصخرة الشمالي. وعليه يمكننا القول بأن تاريخ نقش الترميم في قبة السلسلة قريب من تاريخ صنع الرسومات على بلاط تحت زجاج شفاف في قبة الصخرة المجاورة.

وعلى الأرجح فإن المرحلة الأخيرة من صناعة القاشاني قد أعقبت مراحل التطوير التي مر بها بناء المسجد السليماني في استانبول في الفترة 957-964هـ/1550-1667م، والتي تم فيها استخدام بلاط عليه رسومات متعددة الألوان لأول مرة. ومن المحتمل أن يكون نفس المعمل الذي قام بصناعة فسيفساء تكية السلطان سليمان في دمشق قبل ذلك بقليل، أي في عام 967هـ/1560م، قد تم تكليفه أيضا بصناعة فسيفساء قبة الصخرة.

وعلى ما يبدو فإن أعمال الترميم الجديدة في قبة الصخرة قد استكملت عام 972هـ/1564م، وذلك بعد الفراغ من تغليف الأبواب الخشبية الشرقية والغربية بالبرونز بتكليف من السلطان.

إن ترميم قبة الصخرة على يد السلطان سليمان الذي استغرق ما يقرب من أربعين عاما قد دفع أوليا جلبي إلى كتابة الملاحظة التالية: (ولما كان السلطان العثماني في هذا الزمان هو أكثر حكام العالم تشريفا واحتراما... فقد جعل من هذا الصرح جنة لا مثيل لها على الأرض... لأن السلطان وحده هو القادر على أن يكون مالكا لبيت الله).

### المسجد الأقصى

بالإضافة إلى قبة الصخرة أمر السلطان سليمان بترميم المسجد الرئيسي في الحرم، ألا وهو المسجد الأقصى. ويشهد على ذلك نص مفقود كان يقع على إحدى نوافذه من الداخل، وكان يحمل تاريخا مغلوطا وهو عام 996هـ/1587م، أي أن إتمام الترميم نجز بعد أكثر من عشرين سنة على وفاة السلطان. وعلى ما يبدو فإن التاريخ الصحيح هو عام 936هـ/1529م، حيث أن تجديد النوافذ الزجاجية في قبة الصخرة قد تم في عام 935هـ/ 1528م. وعلى ذلك يمكننا القول بأن النص الزجاجي الفني المذكور في المسجد الأقصى قد تم إعداده مباشرة بعد إتمام أول أعمال الترميم التي أمر بها السلطان في الحرم الشريف.

وحسب أوليا جلبي فقد تم ترميم قبة المسجد والواجهة القبلية بأمر من السلطان. وأشار أوليا إلى أن سارخوش عبدو[3] تولى تجديد المحراب، وهو الذي عمل كذلك لدى السلطان سليمان في بناء المسجد السليماني في استانبول.

**إنشاء أبنية متفرقة**

حسب النص المذكور الذي كان على إحدى نوافذ المسجد الأقصى، فإن أعمال الترميم التي أنجزها السلطان سليمان عام 936هـ/1529م على الأرجح لم تقتصر على المسجد فحسب، وإنما امتدت لتشمل كافة الحرم. وهذا ما أكده أوليا جلبي بعبارة واضحة:

(ومن المسجد الأقصى يسير المرء عبر مرج أخضر فوق رصيف يبلغ طوله مائتي خطوة من الحجارة الرخامية اللوحية البيضاء غير المنحوتة، والتي تم رصفها بأمر من السلطان سليمان العظيم. ومن ثم يؤدي الطريق مباشرة نحو حوض مائي كبير مبني من رخام اقتطع من كتلة واحدة، حسب تعليمات السلطان سليمان نفسه. إنه مَعلم فريد لا مثيل له على الأرض. إنه رائع، ويقع في وسط الرصيف).

لقد بُني ذلك الحوض على شكل كأس إلى الشمال من المسجد الأقصى، ومن المقنع جدا نسبته إلى السلطان، حيث أنه يطابق الحوض الأصغر حجما في التكية السليمانية في دمشق والذي تم الفراغ من بنائه عام 967هـ/1560م. ولعل السلطان سليمان كان قد أمر أيضا بتجديد الطريق المرصوف بين المسجد الأقصى وصحن الصخرة.

وإلى جانب الترميم الشامل للحرم فقد تم تشييد عدد من المنشآت المتفرقة. ومنها على سبيل المثال الدرج الموصل إلى البائكة الغربية الشمالية ذات الأقواس الأربعة التي تؤدي إلى صحن الصخرة. وينسب ترميم هذا

---

[3] أي عبد الله السكير.

الحائط حسب نقش كتابي موزع على عدة أجزاء إلى السلطان سليمان، وهو يشبه بشكل ملحوظ الإفريز المسنن المستخدم في ترميم مقام النبي داود عام 930هـ/1524م بأمر من السلطان.

وهناك إفريز مسنن مطابق يزين قبة الخضر الصغيرة المنتصبة على ستة أعمدة إلى الجنوب قرب الدرج الشمالي الغربي، والتي يُعتقد أنها بنيت في نفس الوقت الذي تم فيه ترميم البائكة المجاورة. ويشير هذا الزخرف المقتبس من الهندسة المعمارية المملوكية إلى أعمال البناء الأولى التي قام بها السلطان سليمان في القدس. فعلى سبيل المثال هناك إطار مسنن مطابق على مئذنة مسجد القلعة التي رممت عام 939هـ/ 1532م وعلى بعض الأسبلة التي أمر السلطان ببنائها عام 943هـ/ 1537م في طريق الواد وعند باب السلسلة وفي طريق باب الناظر.

وبناء على ذلك فإن هذا العنصر الزخرفي التابع للمدرسة المعمارية الحلبية لا يصلح بالضرورة كدليل على ترميمات السلطان سليمان في القدس. وكان محمد بك، والي غزة والقدس، قد شيد في عهد السلطان سليمان عام 945هـ/1538م محرابا تحت قبة النبي شمال غربي قبة الصخرة وعليه إفريز مطابق، وبالتالي لم يعد بالامكان اعتبار هذا العنصر علامة مميزة.

وبخلاف ذلك فإننا نجد أفاريز مسننة بشكل مغاير استخدمت في عدة مواقع في سور الحرم وخاصة فوق وحول أبوابه، ومنها على سبيل المثال باب السلسلة وباب الحديد وباب الغوانمة، وكذلك في الباب العتم في الجهة الشمالية. فبالإمكان اعتبار هذه الأفاريز من معالم الترميم الشامل للحرم الذي قام به السلطان سليمان. إن هذه الزخارف التي استخدمت في الإطار العلوي عام 943هـ/1537م تشير إلى وجود ارتباط مع زخارف التجديد الأولى لقبة الصخرة في عام 935هـ/1528م وترميم المسجد الأقصى في عام 936هـ/ 1529م (ظننا).

**ثالثا: القلعة**

حسب أقوال أوليا جلبي فقد كان تحصين مدينة القدس من أكبر هموم السلطان سليمان. وبالفعل فقد كان أول إجراء أمر به السلطان بعد الفراغ من ترميم الحرم القدسي ضمن جهوده الرامية إلى إعادة تفعيل النظام الدفاعي هو تجديد بناء القلعة الواقعة في الجهة الغربية من المدينة. لقد تم ترميم القلعة في أوائل القرن الثامن الهجري أي الرابع عشر الميلادي بعد طرد الصليبيين من المدينة المقدسة بوقت طويل، لكنها خربت في أوائل القرن التاسع للهجرة أي الخامس عشر للميلاد ولم تعد صالحة للاستخدام وأصبحت المدينة بلا قلعة تدافع عنها. إلا أن الترميم الذي أجري في عام 938هـ/1531م وأضيف خلاله ممر شرقي للقلعة قد أخرجها من وضعها البائس بشكل نهائي.

وفي إشارة إلى مجدد حصن المدينة تم نقش اسم السلطان (سليمان الثاني) على البوابة الجديدة، مع تمجيد هدفه من البناء، ألا هو توفير الأمن لأهل القدس. وعلاوة على ذلك فقد تمت الإشارة في نقشين آخرين إلى أن السلطان قد سيطر على ميراث المماليك من خلال هذا الترميم. ويطابق النقشان المذكوران المكونان من ثلاثة أسطر في الشكل والمضمون تلك الشعارات المميزة التي كانت تطلق على سلاطين المماليك. وهي: (السلطان سليمان عز نصره) و(مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر سليمان شاه ابن عثمان عز نصره).

وفي المرحلة الأخيرة من الترميم تم في عام 939هـ/1532م تشييد مسجد في الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة، وفي مقدمته محراب ومنبر بحيث تؤدى فيه صلاة الجمعة أيضا. وكعلامة بارزة على سيطرة الإسلام تم بناء مئذنة المسجد المستديرة فوق البرج الجنوبي للقلعة. ويستدل من الكنارات المسننة التي تزين المئذنة على أنها كانت جزءا من أعمال البناء التي بدأت في القدس عام 930هـ/1524م بأمر من السلطان. ومن الملفت للنظر تلك

النافذة الصغيرة المستديرة التي تطل من المئذنة على الساحة الداخلية من الجهة الشمالية، حيث يشير إطارها العريض إلى عنصر من عناصر العمارة المملوكية، والذي كان سائدا في دمشق.

**رابعا: تزويد المدينة بالمياه**

بعد استراحة قصيرة أعقبت ترميم الحرم القدسي وتجديد القلعة أمر السلطان سليمان عام 943هـ/1536م بإنجاز مشروع معماري هام آخر، غايته تأمين وصول المياه من بركة السلطان الواقعة جنوب غربي المدينة إلى الأسبلة الخمسة التي تم إنشاؤها في الحرم القدسي وحوله. وتزودنا النقوش المنحوتة على تلك الأسبلة بمعلومات تفصيلية عن المراحل الزمنية لتلك الأعمال.

ومنها السبيل القائم في الجهة الجنوبية من بركة السلطان والتي تصب فيها قناة السبيل، وعليه نقش يشير إلى أنه أقيم بأمر من السلطان في 10 محرم 943هـ الموافق 29 حزيران 1536م. وبعد بناء استغرق نصف عام فقط وصلت مياه القناة إلى الطريق الموازي للجهة الغربية من الحرم، وذلك حسب التاريخ المدون على نقش سبيل طريق الواد، وهو الأول من رجب 943هـ الموافق 14 كانون الأول 1536م.

وبعد ثلاثة أسابيع فقط أي في 22 رجب 943هـ الموافق 4 كانون الثاني 1537م ورد الماء إلى سبيل باب السلسلة، أحد الأبواب الرئيسية في الجهة الغربية للحرم. ومن ذلك الموقع تفرعت قناة نحو الجنوب الشرقي باتجاه الكأس الواقع شمالي المسجد الأقصى، والذي أمر السلطان سليمان بتجديده ضمن جهوده لإعادة تفعيل الحرم القدسي حسب أقوال أوليا جلبي.

وتفرعت قناة ثانية في الحرم شمالا نحو سبيل البصيري الأقدم عهدا، والذي يحتمل أن يكون قد رمم في تلك الأثناء، وذلك بناء على الإفريز الدائري المسنن، ومن هناك نحو السبيل الذي تم إنشاؤه داخل باب العتم الواقع

شمالي الحرم. وقد وصل الماء إليه في الأول من شعبان 943هـ الموافق 13 كانون الثاني 1537م، أي بعد تسعة أيام فقط من افتتاح سبيل باب السلسلة. ويوجد محراب ومسطبة في الجهة الخلفية من السبيل، ويشير نقش كتابي إلى أنه قد تم ترميمهما في عهد السلطان سليمان.

ومن هناك جرى الماء شرقا نحو باب حطة الذي أنشئ على حائطه الشرقي سبيل، والذي يرجح كناره المسنن بشدة إلى احتمال تعميره في عهد السلطان سليمان أيضا. وربما تكون القناة قد صبت في بركة بني إسرائيل خارج الزاوية الشمالية الشرقية لساحة الحرم. ومن خزان المياه المذكور تم تزويد السبيل الواقع داخل باب الأسباط؛ وهو باب المدينة الشرقي. ورغم قيام البعض بإزالة نقش ذلك السبيل، فإننا نستطيع أن ننسبه إلى السلطان سليمان بناء على أوصافه المطابقة للأسبلة المذكورة.

ويدل سبيل طريق باب الناظر الذي يبعد حوالي 150 مترا فقط إلى الشمال من سبيل طريق الواد، والذي تم إنشاؤه في الثاني من رمضان 943 هـ الموافق 12 شباط 1537م، على أن تجديد شبكة المياه وإنشاء الأسبلة في المدينة وفي داخل الحرم قد تم في وقت قصير مذهل لا يتجاوز الشهرين. وكما قال أوليا جلبي فقد كان الهدف الرئيسي من هذه المنشآت تزويد الحرم القدسي بالمياه. ولكن الأسبلة التي تم بناؤها عند تقاطعات الطرق الهامة داخل المدينة تشير إلى تطوير واع للبنية التحتية للمدينة على يد السلطان.

ومن الإجراءات التي ساهمت في تقصير فترة البناء أيضا إعادة استخدام حجارة بناء قديمة، كما في الأسبلة التي بنيت داخل تجويفات في الجدران. وكذلك فإن تنفيذ تلك المشاريع يندرج أيضا ضمن الورشات التي بدأت عملها في القدس قبل ذلك بعشر سنوات بأمر من السلطان سليمان. إن الارتباط الوثيق بالهندسة المعمارية الحلبية، والذي لوحظ منذ أعمال البناء الأولى، لم يقتصر على تكرار استخدام الأفاريز المسننة فحسب، ولكنه شمل

أيضا تجهيز الأعمدة العُقدية المستخدمة في الأسبلة التي بنيت داخل تجويفات في الجدران، كما هو الحال في سبيل باب السلسلة وسبيل طريق باب الناظر، والتي تنسب أيضا إلى الزخارف التابعة للمدرسة المعمارية الحلبية منذ القرن التاسع الهجري أي الخامس عشر الميلادي.

وقد تم استخدام الأعمدة العقدية في حلب في واجهة مبنى المولوية في وقت قريب أي في عام 937هـ/1530م وفي جامع الطواشي الذي تم تجديده عام 944هـ/1537م. وعلى ما يبدو فإن ورشة البناء التي عادت من القدس وقامت بترميم وتوسيع مسجد حلب لم تستخدم الميزات الإنشائية التي استخدمت في أعمال البناء السلطانية السليمانية في فترتها الأخيرة، ألا وهي الأفاريز المسننة والأعمدة العقدية.

**خامسا: سور المدينة**

بعد الفراغ من مشروع تزويد المدينة بالمياه أخذ السلطان سليمان على عاتقه مشروع بناء ضخم آخر، ألا وهو إعادة بناء سور المدينة، والذي تم فيه اختتام مرحلة حاسمة من التاريخ الاسلامي في المدينة. وكان القائد الأيوبي الناصر صلاح الدين يوسف قد جدد سور المدينة بعد استردادها من الصليبيين عام 587هـ/1191م، ولكن تم تخريبه بعد حوالي 30 عاما بحجة تعرض المدينة لخطر حصار صليبي، وذلك في عام 616هـ/1219م. وتعرض لمزيد من التدمير مرة أخرى في عام 624هـ/1227م. وبناء على ذلك فقد تمكن فريدريك الثاني من استلام المدينة المقدسة عام 626هـ/ 1229م دون أي مقاومة.

وهكذا فقد بقيت المدينة لأكثر من ثلاثة قرون تالية تفتقر إلى نظام دفاعي فعال، إلى أن أمر السلطان سليمان عام 944هـ/1537م ببناء سور جديد للمدينة. وقد تم بناؤه في غضون أربع سنوات فقط، وبالضبط فوق أساسات البناء المتهدم الذي كان الأيوبيون قد شيدوه. وبناء على ذلك يمكننا

القول بأن البناء الجديد والذي لم يكن هناك خطر داهم يحث على بنائه، كان يرمي إلى إعادة السور إلى وضعه القديم. فالأمر هنا كما كان عند ترميم القلعة، يتعلق بمشاريع بناء تاريخية تهدف إلى منح القدس شعار الحكم الذاتي الذي فقدته زمنا طويلا.

إن خطوات بناء السور البالغ طوله حوالي 4 كم والذي يشمل سور الحرم الجنوبي وزاويته الجنوبية الشرقية وسور القلعة في الجهة الغربية، يمكن تحديدها بناء على النقوش الثلاثة عشر المعروفة بالتسلسل التالي: بدأ البناء في الجزء الشمالي الغربي حسبما تشير ثلاثة نقوش كتابية على باب العامود الواقع في الشمال الغربي وعلى البرج الأوسط وعلى برج اللقلق الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية من السور، والتي تؤرخ البناء في عام 944هـ/1537م. وفي هذه المرحلة الأولى تم أيضا تجديد باب الساهرة.

وفي العام التالي تواصل البناء نحو الجهة الشرقية، حيث تم تدوين العام 945هـ/1538م على نقش في باب الأسباط، واستمر حتى الزاوية الشمالية الشرقية لساحة الحرم، إضافة إلى الجزء الشمالي من سور المدينة الغربي الممتد حتى القلعة، وتشهد على ذلك أربعة نقوش كتابية مؤرخة في عام 945هـ/1538م على البرج الشمالي والبرج الجنوبي واثنان على باب الخليل.

وتم الفراغ من بناء السور مع إنهاء الجزء الجنوبي عام 947هـ/ 1540م، كما تشير إلى ذلك أربعة نقوش كتابية أخرى يقع اثنان منها على باب النبي داود وواحد على برج الكبريت عند الزاوية الجنوبية الشرقية، وواحد على باب المغاربة. ومن المحتمل أن يكون قد سبق ذلك بناء الشرفة البارزة في الجهة الغربية من القلعة مع جزء السور المكمل لها من الناحية الجنوبية، وكذلك ترميم الواجهة الخارجية لسور الحرم.

وقد ارتكز النظام الدفاعي في سور المدينة على نماذج أيوبية ومملوكية تتمثل في بناء أبراج عند الزوايا وبوابات ذات مداخل متعرجة. ويمكن مقارنتها على سبيل المثال بسور مدينة دمشق وبدرجة أكبر بسور مدينة حلب. وكذلك فإن الأقبية المنثـــنية في باب العامود وباب الأسباط وباب الخليل تشابه مثيلاتها في أبواب حلب والقاهرة التي بنيت في أواخر العهد المملوكي. وبناء على ذلك يمكننا القول بأن الذين قاموا بتنفيذ أعمال البناء كانوا شاميين ومصريين، ولم تأت فرق من بلاد الأتراك لبناء تلك الأسوار الضخمة. ومن الواضح أنه تم تطبيق أنظمة البناء الدفاعية المتبعة في العصور الوسطى بهدف إعادة بناء السور على نفس الهيئة التي كان عليها في العهد الأيوبي.

إن النقوش قليلة العدد الموجودة على سور المدينة لا تزودنا بمعلومات حول تنظيم عمليات البناء، ومع ذلك يمكننا الافتراض بأن محمد بيك حاكم غزة والقدس، والذي بنى محرابا تحت قبة النبي في الحرم القدسي مؤرخة في عام 945هـــ/1538م، قد لعب دورا هاما في تنفيذ مشروع بناء السور الضخم، وربما كان يدير عمليات البناء بنفسه.

**سادسا: رباط بيرم جاويش**

هناك علاقة على الأرجح بين إتمام بناء سور المدينة وإتمام رباط الأمير بيرم جاويش المؤرخ في 20 ربيع الأول 947هـــ الموافق 25 تموز 1540م. يقع هذا الرباط في الطريق الغربي الموازي للحرم بالقرب من سبيل طريق باب الناظر الذي تم بناؤه قبل ذلك بأربع سنوات، وهو يشمل أيضا مدرسة لتعليم القرآن تم ترميمها عام 947هـــ/1540م. وهناك نقشان تأسيسيان باسم واقف المبنى الأمير بيرم جاويش بن مصطفى، ولكنهما لا

يحتويان على أي معلومات عن سيرته[4]، ومع ذلك فبإمكاننا الاعتقاد بأن هذا الأمير كان قد شارك في أعمال بناء السور التي انتهت في نفس العام المذكور.

ويحمل هذا المجمع خصائص معمارية تابعة للعصر المملوكي الأخير في القاهرة ودمشق، كالتي نجدها في سور القدس أيضا. فبوابة المجمع الشمالية المنتصبة في تجويف داخل الحائط تطابق مثيلاتها في العمارة القاهرية. وكذلك فإن المداميك الأفقية والزخارف الحجرية المسننة تطابق أسلوب البناء الذي استخدم في نفس الوقت في القاهرة، كما في سبيل كُتاب خسرو باشا عام 942هـ/1535م. وكذلك الأمر في العمارة الدمشقية، ومنها على سبيل المثال ضريح المحافظ أحمد باشا المتوفى عام 942هـ/1535م. وتضاف إلى ذلك تزيينات مدخل الرباط والغرف الداخلية التي تشبه الأقبية المقرنصة والممرات المقببة التي بنيت في القاهرة ودمشق على طراز العمارة المملوكية.

هذا المجمع الغني بالزخارف يطابق في مراحل تطويره من الناحية الزمنية بناء سور المدينة. ورغم أن السور يفتقر إلى الكثير من التزيينات، وخاصة الحجارة الملونة المتقابلة التي لم تستخدم فيه على الاطلاق، بحكم الهدف من بنائه وهو الدفاع فحسب، فقد يكون البناءون الذين شيدوا السور هم أنفسهم الذين جددوا الرباط.

### سابعا: تكية خاصكي سلطان

لقد بلغ تطوير القدس ذروته النهائية بتأسيس مجمع ضخم على يد خاصكي زوجة السلطان سليمان. ويقع هذا المجمع على بعد 50م فقط غربي رباط بيرم جاويش على الطريق المؤدي إلى باب الناظر، أحد أبواب الحرم

---

[4] أنظر سيرته في فصل لاحق.

الغربية. ورغم أن الرباط خال من النقوش الحجرية فهناك ثلاث وثائق صدرت بخصوصه في ذلك الوقت للتعريف به وبمراحل تطويره. فقد حددت وقفيته المكتوبة باللغة التركية تاريخ الفراغ من تعميره في 30 جمادى الأولى 959هـ الموافق 24 أيار 1552م، ووصفت ساحته الكبرى وأجنحته وبواباته وغرفه المبوبة البالغ عددها 55. وبالإضافة إلى أجنحة النزل المخصصة لإيواء الزائرين والدراويش يضم المجمع مسجدا ومطبخا وفرنا وقاعة لتناول الطعام وغرفا لتخزين المواد التموينية وخانا ذا اصطبلات.

إن نزل الزائرين الذي تم الفراغ من تعميره قبل كتابة الوقفية عام 959هـ/1552م بقليل، تم استخدامه لإيوائهم بعد ذلك بخمس سنوات، أي بعد إصدار النسخة العربية الموسعة من الوقفية في 15 شعبان 964هـ الموافق 13 حزيران 1557م. وبعد ذلك أصدر السلطان سليمان فرمانا في 28 شوال 967هـ الموافق 22 تموز 1560م أضاف فيه المزيد من الأراضي لقائمة العقارات الموقوفة على المجمع.

هذا المجمع الضخم الذي تم ضمه إلى عمارة الست طنشق المبنية في العهد المملوكي، تم إدارجه ضمن قائمة المباني التي صممها سنان كبير المهندسين العثمانيين. ولكن من الصعب التصديق بأن مهندس البلاط السلطاني الذي كان في الفترة 957-964هـ/1550-1567م مشغولا في الإشراف على بناء المسجد السليماني في استانبول أن يكون قد شارك بنفسه في بناء هذا المجمع. وعلى الأرجح فقد اقتصر الأمر على الالتزام بمفهوم التخطيط العام المتبع في مكتب البناء الامبراطوري تحت إشراف سنان باشا، حيث أن المجمع يخلو من ملامح الهندسة المعمارية العثمانية التي سادت في نفس الفترة في استانبول.

وعلاوة على ذلك فإن البوابة الرئيسية ذات الأركان الثلاثة والإطار العقدي الذي يزين أعلى البوابة تطابق فن العمارة القاهري في تلك الفترة،

ومثال على ذلك بوابة مدرسة سليمان باشا المؤرخة في عام 950هـ/ 1543م. أما الإطار العقدي المخصص للنقش الكتابي، والذي تُرك فارغا فوق المدخل، فهو مطابق لزخارف دمشقية تزين بوابة ضريح لطفي باشا المؤرخ في عام 940هـ/1534م.

إن الارتباط الوثيق بين هذا المجمع الامبراطوري وفنون العمارة في ولايتي مصر والشام العثمانيتين ظاهر للعيان، لا سيما الفسيفساء التي تم تغليف قبة الصخرة بها والتي تنسجم مع فن العمارة في المباني العثمانية الرئيسية في تلك الفترة.

**ثامنا: الخلاصة**

لقد كان البرنامج المنتظم لإعادة تفعيل مدينة القدس على يد السلطان العثماني سليمان الأول القانوني بمثابة قاعدة جديدة لمزيد من خطوات التطوير لتصبح المدينة مركزا حضريا. وفي هذا السياق تفيدنا إحصاءات دافعي الضرائب بأن فترة حكم السلطان شهدت نموا متزايدا جدا في عدد السكان. فبينما كان عددهم لا يتجاوز 4000 نسمة عام 932هـ/1525م ارتفع العدد إلى حوالي 12000 نسمة في عام 961هـ/1553م. إن ارتفاع عدد السكان إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه خلال 30 عاما يعد مؤشرا على الجاذبية الجديدة للمدينة، والتي نتجت بشكل رئيسي عن برنامج التطوير واسع النطاق الذي أمر به السلطان سليمان.

وكما قال أوليا جلبي فإن السلطان سليمان القانوني كان بالفعل مجدد المدينة. ومن بين مشاريع البناء العديدة التي شيدها السلطان خلال تطوير المدينة يمتاز عنصران رئيسيان بشكل خاص، وهما ترميم القلعة وسور المدينة بهدف ضمان أمن السكان، وإعادة تفعيل تمديدات المياه بهدف تزويد المدينة بمياه عذبة بشكل متواصل. وقد مهدت السنوات العشر التي تم خلالها إنجاز ذلك البرنامج المتواصل، وهي 938-947هـ/1531-1540م الطريق

أمام مراحل التطوير التالية في المدينة. فقد كانت أجزاء واسعة من المنطقة السكنية داخل سور المدينة في بداية حكم السلطان، والتي استقر فيها المهاجرون الجدد، خرابا وكان لا بد من تعميرها. ومع نمو عدد السكان لم تقتصر الزيادة على نشاطات البناء فحسب، بل كان من نتائجه أيضا توسيع نطاق التجارة والصناعة، مما أدى إلى تثبيت القدس كمركز حضري مستقل.

ومن ناحية أخرى فقد تم التأكيد على المعاني الدينية من خلال إجراءات ترميم متواصلة للرموز الاسلامية في المدينة. إن أعمال التجديد التي جرت طيلة حكم السلطان في الفترة 930-972هـ/1524-1564م، إضافة إلى الزخارف التي تزينت بها أهم الأماكن الدينية في المدينة، ابتداء بمقام النبي داود ثم منطقة الحرم الشريف، قد شجعت على شد الرحال إلى القدس حيث ازداد عدد الزائرين باطراد مع ازدياد عدد السكان. إن هذا الاهتمام المتزايد بزيارة القدس خلال حكم السلطان سليمان قد دفع إلى تخصيص مبنيين ضخمين لإيواء الزائرين، وهما رباط الأمير بيرم جاويش عام 947هـ/1540م وتكية خاصكي سلطان قبل عام 959هـ/1552م. وكان هذا الأمر قد بلغ ذروته عند تزيين قبة الصخرة بالفسيفساء من الخارج، مما أضفى على هذا المبنى المركزي المقدس مظهرا خارجيا باهرا انعكس على المنطقة بأسرها.

ويؤكد ارتفاع أعداد الزائرين وتواصل أعمال البناء والتعمير في المدينة على يد السلطان سليمان على أن تلك المشاريع العمرانية الكثيرة لم تنفذها فرق جاءت من طرف البلاط العثماني، وإنما قام بها مهندسون وبناؤون شاميون. ولم يتأثر البناء في القدس على الاطلاق بفن العمارة العثمانية المعاصرة له في تركيا حتى منتصف القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي. فقد خضع برنامج البناء برمته لمدرسة العمارة

المملوكية الدارجة في دمشق وحلب، والتي استخدمت في القرن السابق في عمارة القدس.

وفي بعض الأماكن تم اقتباس فنون العمارة المملوكية المتأخرة السائدة في العاصمة المصرية. حتى أن مبنى خاصكي سلطان ذاته والذي بني قبل عام 959هـ/1552م والمنسوب إلى مهندس البلاط العثماني سنان قد خضع لتقاليد البناء الشامية والمصرية. إلا أنه وفي المرحلة الأخيرة من ترميم قبة الصخرة تم استخدام النماذج العثمانية السلطانية في تركيب الفسيفساء على القبة. بل إن هذه الفسيفساء، التي يعتقد أنه تم الفراغ من تركيبها عام 952 هـ/1545م، ثم تواصل تزيينها بشكل موسع حتى عام 969هـ/1561م، لم يقم بها فنان تركي، حيث وقّع عليها عبد الله التبريزي الذي يشير اسمه إلى موطنه وهو مدينة تبريز الواقعة شمال غربي إيران.

إن ارتباط مشاريع البناء التي قام بها السلطان سليمان بالخصائص المعمارية التقليدية في المدن الكبرى في الدولة المملوكية التي تم ضمها قبل وقت قصير إلى الدولة العثمانية، يستشف من العبارة التي قالها أوليا جلبي وذكرناها في بداية البحث. ورغم أن أوليا جلبي يزعم أن سنان مهندس البلاط العثماني قد قام بنقل مواد البناء اللازمة من استانبول إلى القدس بتكليف من السلطان، فقد قال أن المتعهدين والمهندسين والنحاتين الذين قاموا بتنفيذ البناء والترميم قد جاءوا من القاهرة ودمشق وحلب.

إن الاعتماد على طواقم البناء تلك يتناقض مع حقيقة أن التطوير المعماري في هذه المدن الثلاث، وفي عصر السلطان سليمان بالذات، قد اعتمد بشكل رئيسي على أنماط البناء المتبعة في العاصمة العثمانية. ويشير هذا الوضع الخاص إلى برنامج تطويري مستنير، فأعمال البناء التي أمر بها السلطان لم تهدف بالدرجة الأولى إلى تحديث القدس فحسب ولكن إلى تجديدها بناء على الخصائص التقليدية المحلية التي اتصفت بها. وقد ساهم هذا

المبدأ بإضفاء مظهر عام ملتزم بفنون العمارة في العصور الوسطى، والذي تجلى بشكل خاص في سور المدينة الجديد. وهكذا فإن إعادة بناء المدينة المؤرخ بشكل بارز على كثير من النقوش الكتابية وفي كتاب أوليا جلبي، قد جعلت من السلطان العثماني سليمان القانوني وبحق المجدد الإسلامي لهذه المدينة التي تعد مركزا دينيا عالميا.



القلعة

# تعمير مسجد العزير

لطالما تأملت في جدران مسجد العزير كلما صليت فيه وتساءلت عن تاريخ ترميمه على مدى العصور. ولكن كتب التراث المقدسي المتوفرة بين أيدينا تمر على هذا المسجد مرور الكرام ولا تفيه حقه. وقد استمر الأمر على هذا الحال حتى أسعفنا موسى أبو رومي في كتابه (إعرف بلدك: العيزرية 2000)، حيث سرد بشيء من التفصيل مختلف الجوانب المتعلقة بتاريخ هذا المسجد، والتي تشمل مراحل تعميره والتولية عليه والإمامة فيه.

ينسب بعض المسلمين هذا المسجد إلى العزير عليه السلام، والذي ظن البعض أنه هو المقصود في قوله تعالى: (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال أنى يحي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه)[5]، ولكن بلا دليل من القرآن العظيم ولا من الحديث الشريف.

ويقال أن الناصر صلاح الدين الأيوبي اتخذه مسجدا بعد تحرير بيت المقدس من الصليبيين. حيث استولى جنوده على قلعة صليبية كانت تقع غربي الموقع الذي يقوم فيه المسجد حاليا، ولا زالت أطلالها قائمة حتى اليوم. وقد دفن الشهداء الذين سقطوا خلال حصار القلعة في مغارة مجاورة.

ثم إن صلاح الدين أوقف بعض الأراضي المجاورة على مصالح المسجد. وبعد حين اتخذ بعض المسلمين مساكن لأنفسهم حوله واتسع الإعمار في المنطقة حتى تكونت قرية صغيرة أطلق عليها العازرية أو العيزرية.

### ترميم المسجد

تفيد المصادر التاريخية بأن مسجد العزير خضع للتعمير في عهد الظاهر بيبرس عام 670هـ/1271م. وكان على الضريح بلاطة مؤرخة في عام 1016هـ/1607م، وتم نقلها إلى المتحف الاسلامي في المسجد الأقصى

---

[5] سورة البقرة، الآية 259.

في عهد الاحتلال البريطاني. وقد يشير ذلك إلى إجراء بعض التعميرات على المسجد آنذاك.

ومن الثابت أيضا أن المسجد جدد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ويدل على ذلك نقش وضع على مدخله باللغة التركية العثمانية، وجاء فيه:

(عُمر ورُمم هذا المسجد الشريف والمقام المنيف بأمر من قبل سلطان السلطنة العثمانية السنية حضرة السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني في شهر شوال سنة 1316).

لكنني، وخلال مراجعة سجلات المحكمة القدسية، عثرت على ترميم آخر خضع له المسجد في 26 صفر 957هـ/1550م وأشرف عليه حسين النمري أحد كبار المهندسين في القدس في القرن العاشر الهجري. وكما نعلم فإن عائلة النمري توارثت وظيفة (معمار باشي في القدس الشريف) أي مهندس المدينة حتى أواخر العهد العثماني.

وتفيدنا تلك الحجة بأن (ناظر الحرمين الشريفين)، أي المسجد الاقصى والمسجد الابراهيمي كان يدعى مصطفى جلبي في ذلك العام. كما أن الاشارة إلى المسجد بمقام سيدنا عازر تفيد بأن للموقع صلة بإليعازر الذي يعتقد شطر من أهل الكتاب أنه الشخص الذي توفي لمدة ثلاثة أيام ثم أحياه الله تعالى مجددا على يد المسيح بن مريم عليهما السلام. وكذلك فإن الحجة تفيد بأن الحائط القبلي الذي نراه اليوم قد تعرض للانهيار في ذلك العام، مما استوجب الترميم وبناء الدرج المؤدي من الطريق العام إلى ساحة المسجد.

ومما جاء في الحجة المذكورة:

(قاطع مولانا حمزة جلبي كاتب الوقفين الشريفين زيد قدره، بالوكالة الشرعية عن قبل مولانا مصطفى جلبي ناظر الحرمين الشريفين زيد فضله، المعلم حسين بن نَمّر معمار باشي على عمارة مقام سيدنا عازر الكائن بقرية

العازرية ظاهر قدس شريف الجاري تحت نظر مولانا الموكل المومى إليه، وهو أن يبدل؟ الأربعة قبس الكائنة بالمقام المزبور الذي من جملتهم الباب، وسد ما انهدم من الحائط القبلي، ويبني فوق الحائط القبلي ستارة ذرعها ذراعين، ويعيد بناء ما انهدم من الحائط القبلي وخرب على حكمه، وينقض[6] الستارة الشمالية إلى أساسها ويعيد بنائها على حكم بناء البيت الشرقي، ويعمل بابان في الحائط الشمالي، وسلم حجر، ويرمم الجهة الغربية من ابتدائها إلى انتهائها. وله نظير أجرته وأجرة المعلمين والفعول[7] ومونة المعلمين... مبلغ خمسة وعشرون سلطانيا ذهبا[8] مقبوضا بيده القبض الشرعي باعترافه. وعليه الشروع في ذلك وإتمامه... وتحرر ذلك بمعرفة مولانا شمس الدين زيد فضله)[9].

ويشار إلى أن البناء الضخم الذي تم الفراغ من تشييده عام 1423هـ/2002م فوق ساحة المسجد وعند مدخلها لم يؤثر إلا قليلا على الإنشاءات القديمة المذكورة، حيث حرص المهندسون على حماية الطابع التاريخي لها.

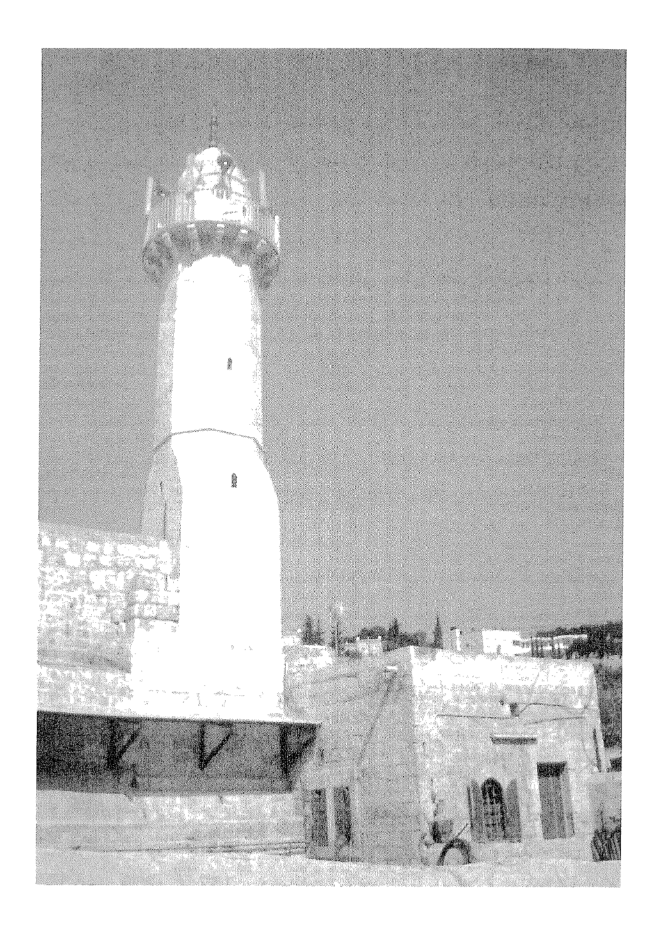
---

[6] أي يهدم.

[7] الفعول جمع فاعل، وتعني العمال غير الحرفيين.

[8] دينار ضرب في عهد السلطان سليمان القانوني، وكانت قيمته تعادل ثماني أقجات.

[9] س ش 23: 168.



مئذنة مسجد العزير قبل بناء المسجد الحديث فوق الساحة.

# تعريف المسترشد حكم الغراس في المسجد

تضم مكتبة دار إسعاف النشاشيبي في القدس مخطوطا نادرا بعنوان "تعريف المسترشد حكم الغراس في المسجد". ويدور موضوعه حول غرس الأشجار في المسجد الأقصى، حيث كانت المسألة مثار جدل خلال إقامة المؤلف في القدس. وقد رأينا عرضه لأهميته في دراسة غرس الأشجار الذي استمر في أرض المسجد عبر العهد العثماني وحتى عصرنا الحاضر. ولعله يحفز بعض الزملاء لإجراء دراسة أشمل حول الموضوع.

**المؤلف**

هو شمس الدين محمَد بن محمد الحنفي الماضي، ويعرف بابن أمير حاج أو بابن الموقت. ترجم له السيوطي في نظم العقيان ووصفه بـ (عالم البلاد الحلبية)[10]. كما ترجم له السخاوي في الضوء اللامع، والنجم الغزي في الكواكب السائرة وفي ديوان الاسلام.

ولد في حلب عام 825هـ/1442م ونشأ بها. وقد حفظ القرآن الكريم وتلقى علوم الشرع واللغة في مسقط رأسه ثم في حماة والقاهرة، حيث تتلمذ على كثير من العلماء. وأدى فريضة الحج أكثر من مرة، كانت آخرها في عام 878هـ/1474م حيث جاور بمكة المكرمة بنية الاستقرار بها. لكنه واجه فيها خصوما، فعزم على الاستقرار ببيت المقدس فسافر إليها، لكنه وجد بها أيضا من لا يرضون بفتاواه، ومنها ما ورد في المخطوط قيد البحث.

وهكذا قرر العودة إلى مسقط رأسه حلب بعد شهرين، حيث رأى أن رعاية جانبه في بلده ستكون أكثر. ولكن المرض عاجله في حلب فتوفي في 19 رجب 879هـ/1474م بعد إصابته بمرض لم يمهله أكثر من شهرين.

---

[10] نظم العقيان في أعيان الاعيان، 161.

ومن التصانيف الأخرى التي نسبت إليه: شرح المختار لابن مودود الموصلي في فروع الفقه الحنفي، وداعي منار البيان لجامع التسكين بالقرآن، وذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، والتقرير والتحبير في شرح التحرير لابن همام.

**صفة المخطوط**

هو مخطوط صغير الحجم يقع في الأوراق 350أ- 352أ من المجموع رقم 31م. وقد نسخه عبد الحافظ بن مكية النابلسي عام 1004هـ/ 1596م بخط نسخي عثماني. ولم أعثر على نسخة أخرى منه في فهارس المكتبات الأخرى المتوفرة لدي. وعليه تمليك باسم هبة الله بن عبد الغفار المفتي بالقدس الشريف، ومحمد حميد ابن المولى أحمد سنة 1175هـ/ 1762م، والشيخ فخر الدين المعري أحد أجداد عائلة عويضة.

**نص المخطوط**

تعريف المسترشد حكم الغراس في المسجد

هل يجوز إحداث غرس الأشجار في المسجد ولا سيما مع التهافت عليه والاستكثار منه ولا ضرورة تدعو إليه، من كون المسجد ذا نز[11] لا تثبت أسطواناته إلا بذلك؟ وهل يفرق في ذلك بين الواسع والضيق، وبين أن يكون ذلك المحل من المسجد قد لا يصلى فيه لسعته وبين أن لا يكون كذلك؟ وإذا قلتم بعدم جواز إحداث ذلك فيه، هل يبقى أو يقلع؟

**الجواب:** لا يجوز إحداث غرس الأشجار في المسجد إذا لم تكن الضرورة المذكورة موجودة فيه، وخصوصا إذا تهافت الناس عليه واستكثروا منه. ولا فرق في عدم جواز إحداثه فيه بين أن يكون ضيقا وواسعا، وبين أن يكون محله قد لا يصلى فيه لقلة جماعته ونحو ذلك وبين أن يكون محله

---

[11] قال في لسان العرب، 5: 416: (النز ما تحلّب من الأرض من الماء).

يصلى فيه دائما أو غالبا. وإذا أحدث فيه يقلع. والوجه في ذلك كله أظهر للمتأمل في القواعد الشرعية، فإن من المعلوم عند أهل العلم أن البقعة إذا صارت مسجدا لله تعالى صار كل جزء منها له حكم المسجدية من غير تفرقة بين كونها واسعة أو ضيقة وبين كون سعتها بحيث قد يستغني الناس عن إيقاع [كذا] الصلاة في ذلك المحل منها وبين أن لا يكون كذلك.

والحكم الثابت لكون البقعة مسجدا هو خلوصها لله تعالى وكونها محلا للعبادة من صلاة أو اعتكاف أو اقتداء بإمام فيها تباعد ما بينه وبين المقتدين تباعدا لو كان في غير المسجد لم يجز الاقتداء به، ونحو ذلك. ومن المعلوم أنه ما دامت المسجدية قائمة كان هذا الحكم ثابتا لها وأنه لا يجوز إبطاله. والغرس في جزء من المسجد كائنا ما كان إبطالٌ لهذا الحكم فيه، ولا يجوز. وإذا لم يجز إحداث الغراس لا يجوز إبقاؤه لقوله صلى الله عليه وسلم: ليس لعرق ظالم حق؛ أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب. لأن الظلم وضع الشيء في غير محله، وهذا كذلك كما بينا.

ولما تقرر من الأصل الذي لا يعلم له مخالف من أن كل صفة منافية بحكم يستوي فيه الابتداء والبقاء، كالمحرمية في باب النكاح كما يمنع ابتداء النكاح يمنع بقاؤه ولو كان عارضه عليه بعد ثبوته، ألا ترى لو كان الزوج صغيرا أو كبيرا فمكنت الزوجة ابن زوجها من نفسها ارتفع النكاح في كل من هاتين الصورتين بعد ثبوته؟ أما في الأولى فبالاجماع وأما في الثانية فعند أصحابنا ومن وافقهم خلاف الشافعي ومن وافقه نعم، اللهم إلا أن يخرج شيء من هذا بالنص، كبقاء الصلاة في حق من سبقه الحدث حتى جاز له البناء، كما هو قول أصحابنا للنص الوارد في ذلك، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: من أصابه قيء أو رعاف أو قلس أو مذي فلينصرف فليتوضأ ثم ليبن على صلاته وهو في ذلك لا يتكلم، رواه ابن ماجة وغيره. ولا نص هنا على جواز البقاء مع صفة المسجدية، فيقلع.

**تنبيه:** وما ذكره غير واحد من المشايخ من أنه لو غرس شجرة في المسجد للمسجد فهي للمسجد أو ثمرتها للمسجد ونحو هذا من العبارات المفيدة لهذا المعنى، لا يفيد أنه يحل غرس الاشجار فيه من غير حاجة شرعية وأنه يحل إبقاؤها فيه كذلك، وإنما هو لإفادة هذا الحكم له لو وقع. ولا يلزم من مجرد الوقوع الحل الشرعي له، إذ ليس كل واقع حلالا، وكم في الفروع من نظائر له، كإعطاء حكم الزيادة المتولدة من العين المغصوبة إذا أدى قيمة العين الغاصب أنها له أو لمالك العين الأول، فإنه لا يستدل على أن الغصب حلال، إلى غير ذلك مما يطول تعداده.

على أنه لو سلم إشعار المذكور يحل الإبقاء في الجملة، فليحمل المذكور على الواقع الجائز بأن كان في مسجد ذي نز والاسطوانات لا تثبت إلا بذلك فإن الغرس بهذا يخرج عن الحظر ابتداء [؟] لأنه من باب عمارة المسجد، وتلك الاشجار لا تخرج عن كونها زيادة في أسطوانات له محتاج إليها، فلا يمسه النص المذكور ولا القاعدة الشائعة جميعا بين إشارة كلامهم وصريح عبارتهم، إذ هو أولى من إبطال أحدهما، على أنه لو ذهب ذاهب إلى قيام التعارض مع عدم تأتي الجمع بينهما كما ذكرنا لقِدم عدم الجواز على الجواز، لِما عرف في الأصول من تقديم العبارة، وهي هنا عدم الجواز، على الاشارة وهي هنا الجواز، وخصوصا في هذه المسئلة، فإن العبارة على وفق يقتضي الدليل الشرعي بخلاف الإجارة.

ثم مما أوضحناه من النص والقاعدة، عُرف أنه لا يقال: لم لا يجوز البقاء نظرا إلى ما يؤول إليه غرسها من انتفاع المسجد بثمرتها، وإن كان الإبتداء غير جائز، مع أن هذا في نفسه كلام فاسد الاعتبار، كما يعرفه من يعرف الاصول، فإن من المعلوم أن المسجد ما وضع للاستغلال، وأن فعل هذا مناف لوضعه شرعا. على أنه غير خاف بقليل تأمل، أن فتح هذا الباب قد يؤدي إلى استغراق المسجد أو أكثره بالغرس، بواسطة كثرة نوادر الغارسين

فيه، فيؤدي إبقاء ذلك فيه إلى جعله بستانا ونحوه. وما أظن أن أحدا من أئمة الدين يقول به.

ثم يلزم تعين هذا أنه إذا بنى بان في المسجد للمسجد ما يستغل منه، من نحو دكان، أنه يبقى فيه لهذا القصد، وأنه إذا أشغل شاغل بقعة منه بأمتعة ونحوها، أنه يبقي ذلك بأجرة مثلها، فإن كلا من هذه الأمور لا يجوز إحداثه ابتداء. وحيث جاز البقاء في الأول للانتفاع بالثمرة يجوز في هذين للانتفاع بالغلة، إذ المشاركة في الغلة توجب المشاركة في الحكم، بل يكون الجواب في هذين بطريق الأولى، فإن الثمرة موهمة الحصول في الشجرة بعد حين، فإن كثيرا من الأشجار لا تخرج الثمرة المعتبرة، وكثير منها إن أخرجها لا تخرج إلا بعد سنين. ثم بعد ذلك قد يطرأ فيها آفة من الآفات فيدخل هذا الوهم البعيد في حكم الفوات، بخلاف هذين وخصوصا الثاني منهما، وثبوت هذا الحكم فيها لا يقول به عاقل متشرع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**تذييل:** ومن العجب العجاب، ما فاه به وفيه بعض من أخطأ الصواب، وهجم على الإفتاء على مذهب الإمام أبي حنيفة مما لا يقوم به رواية عن أحد من الأصحاب ولا دراية عند أولي الألباب، فغضب من غير ما جرم عند العوام، زاعما جواز الغرس وحرمة القلع لعلة يرى أنه من روي البعض والإبرام، واستند في هذه الدعاوى إلى ما قدمناه في التنبيه.

وقد أوضحنا فيه أن كلا من عدم جواز إحداث الغرس ومن عدم جواز إبقائه هو القول الوجيه، وإلى ما في خلاصة الفتاوى: غرس الأشجار في المسجد لا بأس به إذا كان فيه نفع للمسجد، بأن كان المسجد ذا نز والاسطوانات لا تستقر بدونها، وبدون هذا لا يجوز، انتهى. فصحف "ذا نز" بالذال المعجمة والنون والزاي المشددة أي صاحب "نزو"؛ في الصحاح النز والنذ ما يحلب من الارض من الماء، وقد نزت الارض: صارت ذات نز، انتهى؛ إلى داثر بالدال المهملة والثاء المثلثة والراء، أي خراب. فسجل على

نفسه بأنه كما لم يفهم المعنى، قد صحف المبنى. ثم هذا مع قوله: والاسطوانات لا تستقر بدونها، في إفادة كون الضبط على ما ذكرناه وما له من المعنى من الوضوح، بحيث لا يخفى على من له مسحة من فهم معنى أصل التركيب العربي، كما هو وظيفة أدنى العوام.

ثم حيث كان اللفظ على ما ذكره من التصحيف، فالواقعة التي هي مثار ذكر هذه المسئلة، إنما هي في عامر آهل وهو المسجد الأقصى، ومن المعلوم أن ما يجوز في الخراب لا يلزم أن يجوز في العامر، وخصوصا إن خرج عن المسجدية بالدثور، كما هو أحد قولي العلماء فيه. ثم يا ليت شعري ما يصنع بقوله: وبدون هذا لا يجوز، فإنه نص مفيد في إفادة أنه إذا لم يكن داثر لا يجوز الغرس فيه كما هو الصواب، وفي إفادة أنه: إذا لم يكن خرابا لا يجوز الغرس فيه، على ما وقع من التصحيف، فكيف يستدل به على جواز الغرس إذا كان عامرا آهلا ليس بذي نز.

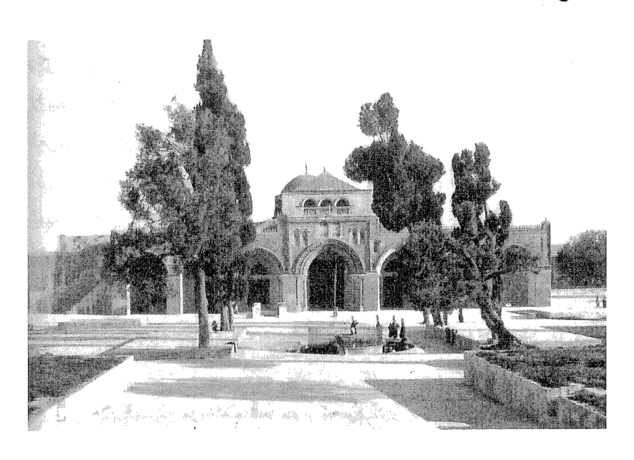
وإن هذا لجدير بقول القائل: وكم من عائب قولا صحيحا، وآفته من الفهم السقيم. وبالمثل السائر: سكت ألفا وقال خلفا. اللهم أعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وتب علينا توبة نصوحا، إنك أنت التواب الرحيم، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه والباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، إنك سبحانك ذو الفضل العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.[12]

هذه المسئلة من كلام المرحوم شمس الدين محمد بن أمير حاج الحلبي ألّفها بالقدس الشريف في عَوده من الحج سنة تسع وسبعين وثمانماية. وقد سئل عن الغرس بالمسجد الاقصى، فأجاب بما ذكر، ووافقه الشيخ كمال الدين

[12] لم يفلح ابن أمير حاج في إقناع أولي الأمر برأيه، فعاد إلى حلب، وما زالت الأشجار قائمة في المسجد.

بن أبي شريف الشافعي[13]، وخالفهما بعض الحنفية حين لجأ إليه العوام لما استبشعوا القلع، معتمدا كلام صاحب الخلاصة مع ما احتوى عليه من التصحيف، ومن الشافعية من يقصد خلاف ابن أبي شريف.

تمت الفوائد بعون الله وكرمه وإحسانه وحسبنا الله ونعم الوكيل، في نهار الاربعاء عشرين ذي الحجة الحرام من شهور سنة أربع بعد الألف، على يد أفقر عباد رب البرية عبد الحافظ بن أحمد بن عبد الحافظ بن مكية النابلسي سكنا الحنفي مذهبا، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه، ولمن كتبت هذه النسخة له ولجميع المسلمين أجمعين آمين.



أشجار المسجد الاقصى

[13] كمال الدين محمد بن محمد ابن أبي شريف (822-906هـ/1419-1501م). ولد في القدس. تلقى العلم على كبار مشايخ عصره في القدس والقاهرة. تولى مشيخة المدرستين الصلاحية والأشرفية، والتدريس في المسجد الأقصى والخانقاة الصلاحية.

# جذور بعض العائلات المقدسية

يعد البحث عن جذور العائلات من أشد موضوعات التاريخ المعاصر تعقيدا وأكثرها صعوبة. ويتأرجح قدر الصعوبة بين المعلومات المسبقة الموثقة التي دوّنها المؤرخون وبين الروايات الشفهية التي يتناقلها المعنيون بالأنساب.

لكن فصل المقال فيما بين الحقيقة والرواية من الاتصال... لا يتأتى إلا بالرجوع إلى سجلات المحاكم العثمانية وما يصاحبه من عناء التنقيب بين عشرات الآلاف من الحجج بحثا عن الأدلة التفصيلية التي تقطع الشك باليقين.

وتتناقل بعض عائلات القدس منذ عدة أجيال أنها تنتمي إلى أمير أو وزير أو قاض أو غير أولئك من المشاهير، وتزعم أنها تقيم في القدس منذ عهد عمر بن الخطاب أو صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنهما. وعند تتبع جذور عائلة بعينها على صفحات سجلات المحكمة القدسية[14] فقد يتوصل الباحث إلى نتائج تختلف كليا عما هو شائع بين الناس.

وتشير تلك السجلات إلى أن مدينة القدس خضعت لهجرة متواصلة في العهد العثماني، وخاصة بعد التعميرات التي أنجزت في عهد السلطان سليمان القانوني، حيث استقر بها العديد من أبناء المدن العثمانية الأخرى كالخليل ونابلس ودمشق وبغداد والقاهرة واستانبول، بالإضافة إلى العديد من القرى الفلسطينية.

ومع مرور الزمن لم يعد بعض أبناء تلك العائلات الناشئة يعلمون شيئا عن جذورهم. إلا أن الرغبة تراود كثيرين منهم في الاطلاع على تراث أسلافهم ومعرفة أجدادهم ومتى دخلوا القدس أول مرة ومن أي البلدان جاءوا.

---

[14] أطلق عليها (سجلات المحكمة الشرعية) بعد فصل المحاكم إلى مدنية وشرعية تحت الضغط الأوروبي. وقبل ذلك لم يطلق عليها شرعية لأن تلك المحكمة كانت تفصل بداهة في كافة القضايا مهما كان نوعها حسب الشريعة المطهرة.

وكان قضاة القدس قد دأبوا على تدوين مختلف القضايا والحجج منذ العهد المملوكي. وسلم جزء قليل من السجلات المملوكية في الحرم القدسي رغم عوادي الزمن. ويبدو أن انتقال الحكم إلى العثمانيين قد أدى في بادئ الأمر إلى شيء من الفوضى في محكمة القدس، حتى إذا ما استقرت الأحوال انتبه القضاة إلى ضرورة حماية السجلات.

ويرجع تاريخ أقدم السجلات القدسية العثمانية المحفوظة حتى يومنا هذا إلى عام 936هـ/1530م. وتعد تلك السجلات ثروة قومية ومصدرا رئيسيا في تأريخ القدس وغيرها من المدن الشامية. ويبلغ عدد السجلات التي تغطي الفترة العثمانية 605، وتضم مئات الآلاف من الحجج. وقد كتبت باللغة العربية باستثناء عدد محدود كتب باللغة التركية، وخاصة ما يتعلق بالفرمانات والخطابات السياسية. وهي محفوظة في غرفة تقع أسفل القبة النحوية في الزاوية الجنوبية الغربية من صحن الصخرة المشرفة.

وكان قاضي القدس يلقب بالحاكم الشرعي أو خليفة الحكم العزيز، وكانت صلاحياته تتجاوز صلاحيات الوالي في العصر العثماني الأول. فقد كان القاضي يبت في مختلف القضايا الحقوقية والجزائية. وهذا يعني أن الباحث يستطيع تتبع جذور مختلف العائلات التي استقرت في القدس إبان العهد العثماني من خلال الأحداث اليومية المدونة في تلك السجلات.

وتعد سجلات المحكمة من أهم الوثائق التي ترشدنا إلى دراسة مختلف الجوانب التاريخية المقدسية في الحقبة العثمانية. وبالطبع فإن مجموعات المدن الشامية الأخرى لها أهميتها بالنسبة لكل مدينة على حدة، لكنها لا تغطي سوى فترات محدودة. فسجلات طرابلس الشام على سبيل المثال تبدأ في عام 1077هـ/1666م، وسجلات الخليل في عام 1283هـ/1866م.

وسأعرض فيما يلي نماذج لبعض العائلات المقدسية التي تقصيتُ أخبارها حتى توصلت إلى نتائج مؤيدة بالأدلة القطعية حول جذورها.

## العائلات النشاشيبية

ينسب معظم الباحثين عائلة النشاشيبي المقدسية المعاصرة إلى الأمير ناصر الدين النشاشيبي ناظر الحرمين القدسي والخليلي في عهد السلطان قايتباي. ومنهم الدكتور عادل مناع حيث قال عند ترجمته لسليمان النشاشيبي المتوفي عام 1275هـ/1859م:

(وعائلة النشاشيبي من الأسر المقدسية القديمة، ظهر منها الأمير ناصر الدين النشاشيبي في القرن الخامس عشر. لكن حال العائلة تأخرت مع سقوط دولة المماليك وتقدم عليها آخرون... ولذا يمكن اعتبار سليمان أفندي وبحق زعيم آل النشاشيبي وأول أعيانهم البارزين في العصر الحديث)[15].

فعادل مناع لم يكتف بنسبة عائلة النشاشيبي المعاصرة للأمير، بل إن عبارته توحي أيضا بأن جذور عائلته ضاربة في القدس قبل عصر الأمير، رغم أن كتب التاريخ تفيد بأن ناصر الدين كان أول من دخل القدس من أبناء عائلته. ولم تذكر كتب التراجم عنه شيئا بعد انتهاء عمله ناظرا للحرمين عام 893هـ/1488م، ولا ندري هل بقي في القدس أم عاد إلى مصر. ولم يرد في أي مصدر أن ناصر الدين أعقب في القدس أو في غيرها على الاطلاق.

ومنهم أيضا الدكتور تيسير الناشف الذي قال في سياق ترجمته لمحمد إسعاف النشاشيبي: (ولد في القدس سنة 1882 في أسرة وجيهة تمتعت بالنفوذ والجاه في فلسطين منذ جدها الأول أحمد بن رجب النشاشيبي من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق)[16]، وهو والد الأمير ناصر الدين المذكور.

إلا أن تيسير الناشف لم يذكر لنا شيئا عن نفوذ أحمد بن رجب في فلسطين، ولعل السبب هو عدم وجود أي مصدر يشير من قريب أو بعيد لدخوله إلى فلسطين أو استقراره فيها.

---

[15] أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، ص 354.

[16] مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين، ص 19.

وكذلك فقد كتب الدكتور صبحي غوشة مقالة في صحيفة القاهرة بتاريخ 2001/6/19 جاء فيها: (لقد راجعت بعض المصادر حول الأصول اليمنية لعائلة الحسيني والأصول القيسية لعائلة النشاشيبي، ولم أجد معلومات حول الموضوع باستثناء أن عائلة النشاشيبي جاءت مع صلاح الدين الأيوبي).

وقبل الغوص في أعماق هذا البحث أطلب من عادل مناع أن ينشر لنا أي دليل يثبت انتساب سليمان النشاشيبي إلى الأمير ناصر الدين النشاشيبي، وأطلب من تيسير الناشف أن يثبت وجود أي علاقة بين محمد إسعاف النشاشيبي وأحمد بن رجب النشاشيبي سوى تشابه اسم العائلة، وأخيرا أطلب من صبحي غوشة أن يطلعنا على أدلة تثبت أن جدود عائلة النشاشيبي المقدسية المعاصرة قد دخلوا القدس مع صلاح الدين. وبالطبع فإن الأدلة ينبغي أن تخضع لقواعد البحث التاريخي، وليس لمجرد روايات تناقلتها الأجيال المتأخرة.

لقد قمت بتتبع تاريخ عائلة النشاشيبي المقدسية على صفحات سجلات المحكمة يوما بيوم، ابتداء من العهد الاردني ورجوعا إلى أول صفحة في السجلات العثمانية، وتوصلت إلى نتيجة لا لبس فيها ولا غموض، حيث جاءت موثقة بحجج الإرث والشراء والتوظيف، أبا عن جد حتى وصلت إلى جد العائلة الأكبر. وقد استغرق ذلك مني جهدا طويلا يعلمه من لهم دراية بسجلات المحاكم العثمانية.

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن كلمة النشاشيبي مشتقة من صناعة النشاب، حيث يطلق على صانعها أو المتاجر بها نشابي أو نشاشيبي. فلو أن الباحثين تفكروا مليا بهذا الأمر لوضعوا مقدمة ترشدهم إلى احتمال وجود أكثر من عائلة كانت تمارس تلك المهنة في فلسطين وغيرها من البلدان. وبالتالي فلا ارتباط أصلا بين زيد النشاشيبي وعمرو النشاشيبي ما لم يثبت

بالدليل القاطع أنهم ينتمون إلى جد واحد. وسنحصر بحثنا هذا بالعائلات النشاشيبية المقدسية وبعض نشاشيبية المدن الأخرى الذين استقروا في القدس.

وتفيد السجلات بأنهم كانوا يمارسون مهنتهم في سوق خاص بهم وكانت تجمعهم روابط مختلفة. وتؤكد السجلات أن كلمة نشاشيبي أو نشابي كانت تطلق بمعنى واحد. وكانت عائلات معينة تتوارث صناعة وبيع النشاب، وذلك تبعا لنظام المهن والوظائف الذي ساد في العهد العثماني، حيث كانت كل عائلة تختص بمهنة معينة وتتناقلها من جيل إلى جيل على مدى القرون[17].

ونشير أيضا إلى أن البارود كان قد أخذ يحل شيئا فشيئا في فلسطين منذ أوائل العهد العثماني محل السيف والرمح والقوس والنشاب وغيرها من الأسلحة التقليدية. لكن عملية التغيير استمرت مئات السنين حيث تواصل إنتاج (الأسلحة التقليدية) جنبا إلى جنب مع (الأسلحة الحديثة).

ومن الأدلة على ذلك حجة وردت في عام 1115هـ/1704م وتضمنت جردا للأسلحة التي كانت موجودة في قلعة القدس، وجاء في مقدمتها:

(دفتر يتضمن تسليم ما بداخل القلعة المنصورة الكائنة بالقدس الشريف من المدافع والأجربة والبارود والنشاب والأدرع وغير ذلك الموضوع جميع ذلك داخل القلعة المذكورة بيد الحاج شاهين بلوكباشي)[18].

**عائلة الشرايحي**

ومن العائلات التي احترفت صناعة النشاب في القدس منذ العهد المملوكي عائلة الشرايحي. وكان أشهر أبنائها (زين الدين محمود بن البدري حسن النشابي بمدينة القدس) حسبما وصف في عام 973هـ/1565م والذي

[17] ومن الأمثلة الحية على ذلك تجارة بيع اللحوم التي ما زالت ثلاث عائلات مقدسية تتوارثها منذ عدة قرون وحتى يومنا هذا وهي عائلة غوشة والكالوتي والبدرية.

[18] س ش 202: 224.

تكرر ذكره في عشرات الحجج. وفي عام 991هـ/1583م أصبح من الخبراء في هذه المهنة فأطلق عليه (المعلم محمود بن حسن الشرايحي النشاشيبي). وتفيد السجلات أن محمود كان يمتلك في عام 993هـ/1585م دارا في حارة الشرف الواقعة في الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة. ومع تنامي ثروته اشترى العديد من البساتين خارج سور القدس، وخاصة في مناطق الشيخ أحمد الثوري والسيفي منجك ودير يزيد.

وقد استمر محمود في صناعة وبيع النشاب حتى عام 1009هـ/1600م على الأقل حيث وردت الحجة التالية:

(ادعى الحاج خليل بن محمد الفقيه على محمود بن حسن الشرايحي، وقال أن له قِبَله 19 غرش ثمن نشاب، سئل، أجاب بالاعتراف بـ 16 غرش، دفع له سبعة غروش وتأخر 9 غرش فصدقه، وذكر أيضا أنه اشترى هو وعبد الكريم بن صريصير بثمان غروش. ألزم بـ 11 غرش بتاريخه)[19].

وكان آخر ذكر له في السجلات عام 1031هـ/1621م؛ فيما تردد ذكر عائلة الشرايحي في سجلات المحكمة حتى القرن الثاني عشر الهجري، ولم أعثر على حجج تتعلق بها بعد ذلك.

## عائلة صريصير

ومنها أيضا عائلة صريصير التي هاجر أجدادها من الشام إلى القدس قبل العهد العثماني. وكان العديد من أبنائها ضمن طائفة المشارقة المقيمين في حارة المغاربة في القدس، كما استقر بعضهم في حارة الزراعنة التي تعد جزءا من حارة النصارى. ومن بين مشاهيرهم (عز الدين بن صريصير

[19] س ش 82: 160.

النشابي) المذكور في عام 939هـ/1532م و(المعلم خليل بن أحمد بن صريصير النشابي) في عام 944هـ/1538م.

وقد وردت حجة في عام 944هـ/1537م تتعلق بمتاجرة أحد أبناء صريصير بالنشاب مع تاجر من عائلة فواز النشاشيبية وجاء في مقدمتها:

(ادعى المعلم شهاب الدين ابن صريصير على شهاب الدين بن الشيخ فواز أنه باعه نشاب منحوت ومشرب ونصول وريش وعِدة المنحوت والمشرب وعدة المنحوت وعدة المشرب، وأن ثمن المنحوت وثمن المشرب ؟ ونصول ؟ وريش ؟ فأجاب بالإنكار، وطلب البينة من المدعي على وفق دعواه فأحضر تقي الدين بن أبي بكر العنبوسي وشهد على ذلك بوجهه...)[20].

ومن مشاهيرهم في القرن الحادي عشر (عبد الكريم بن حسن النشاشيبي) الذي تزوج في عام 1020هـ/1612م بمخطوبته (علما المرأة الكاملة ابنة العلامة النحرير الفهامة الشيخ إسمعيل الشهير نسبه الكريم بابن الخريشي[21]). وظهر منهم أيضا (حسن ابن المرحوم المعلم أحمد بن صريصير النشابي).

وقد انقرضت عائلة صريصير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. ويستدل على ذلك من آخر ذكر لها والذي يتعلق بمآل وقفهم إلى غيرهم، وذلك في عام 1213هـ/1798م حيث تم تعيين محمد بن خليل النعاجي[22] ناظرا على وقف جده لأمه محمد بن عبد الكريم صريصير، وهو آخر عقبهم في القدس.

---

[20] س ش 6: 648.

[21] نسبة إلى قرية خُريش من أعمال نابلس.

[22] يتكرر ذكر عائلة النعاجي في السجلات منذ حوالي أربعة قرون وما زالت ذريتها تقيم في القدس.

### عائلات أخرى

ومن العائلات النشاشيبية الأخرى التي ظهرت في القدس عائلة بنيدق، ومن أبنائها (الشيخ أبو اليسر ابن الحاج أحمد بن بنيدق النشاشيبي) الذي تكرر ذكره ما بين عامي 941هـ/1534م و963هـ/ 1556م. ومنها أيضا عائلة النشاشيبي اللدية الأصل، ومن أبنائها (عبيد بن مصطفى النشاشيبي) المذكور في عام 1063هـ/1652م و(شعبان بن الحاج صالح النشاشيبي) في عام 1094هـ/1683م.

ونذكر أيضا عائلة المحروق، ومن أبنائها (شهاب الدين النشاشيبي) المذكور في عام 1008هـ/1600م. وكذلك عائلة العلم ومن أبنائها (علي بن إبراهيم بن العلم النشابي) المذكور في عام 968هـ/1561م وابنه حسن في عام 969هـ/1561م. ومنها أيضا عائلة الجعبي الخليلية والتي كان بعض أفرادها يقيمون في القدس في القرن الحادي عشر ومنهم (شمس الدين بن برهان الدين الجعبي النشاشيبي) الذي كان يمتلك دارا في حارة الشرف عام 1042هـ/1633م. وأخيرا نذكر (الحاج برهان بن ناصر المعروف بابن النشاشيبي الترابلسي) الذي ورد ذكره في عام 1033هـ/1624م.

### عائلة فواز

أما عائلة فواز فهي العائلة النشاشيبية الوحيدة التي استمر عقبها في القدس منذ حوالي 500 عاما وحتى يومنا هذا. فبعد تتبع سجلات المحكمة تبين لي أن العائلات النشاشيبية الأخرى انقطعت أخبارها، باستثناء عائلة الجعبي أو الجعبة الخليلية التي كان أبنائها يتنقلون بين القدس والخليل. فذرية الشيخ فواز هم الذين يعيشون بيننا اليوم في القدس باسم آل النشاشيبي.

وقد أثار تتبع أخبار عائلة فواز النشاشيبي في سجلات المحكمة التباسا لدي على مدى القرنين العاشر والحادي عشر، حيث تبين في نهاية المطاف وجود عائلتين تحملان اسم فواز، ويحمل أبناء كل منهما أسماء متطابقة مثل

علي وحسن وحسين ومصطفى؛ وقد كلفني ذلك جهودا مضاعفة في عملية البحث. وتنتسب العائلة الأخرى إلى فواز بن عويدات الجالودي من أهل القرن العاشر الهجري.

إن جد عائلة النشاشيبي الأكبر هو (الشيخ زين الدين فواز الفقيه الحنبلي النشابي) المتوفي في حدود عام 937هـ/1531م. وتقطع الأدلة التي عثرت عليها بأنه ينتمي إلى دمشق. أما مسألة جذوره فتحتاج إلى دراسة مستقلة. وقد أعقب زين الدين فواز ثلاثة أولاد، وهم محمد وأحمد وحسن. ورغم أن حسن كان أقلهم شهرة فإنه هو الوحيد الذي أعقب في القدس.

وقد استمرت علاقات المصاهرة والميراث بين عائلة فواز وبعض العائلات الدمشقية حتى القرن الثاني عشر الهجري على الأقل. ففي عام 1003هـ/1595م:

(أشهد عليه البدري بدر الدين بن المرحوم الحاج حسن ابن فواز القدسي النشاشيبي إشهادا شرعيا، وهو بالأوصاف المعتبرة شرعا، أنه وكل وأناب مناب نفسه ابن خالته الحاج إبراهيم بن الشيخ محمد المشهور نسبه المبارك [؟] الدمشقي في قبض وخلاص ما جره إليه الإرث الشرعي من قبل والدته الحرمة فاطمة بنت الحاج محمد النصاب بحق النصف، وفي المخاصمة والمرافعة إلى السادة الحكام وولاة أمور الإسلام، وفي إيجار ما هو جار في استحقاقه بطريق الوقف من قبل جده لأمه الحاج محمد المزبور، على حسب ما يرى فيه الحظ والمصلحة. أقامه في ذلك مقام نفسه ورضي بقوله وفعله وكالة شرعية مفوضة)[23].

وفي عام 1141هـ/1729م:

(حضر يوم تاريخه أدناه الحاج إسمعيل ابن الحاج حسين النشاشيبي وموسى ومحمد وصادقة وبدري وصفية وفاطمة أولاد الحاج مصطفى

---

[23] س ش 76: 416.

السمينة[24] وبنات أولاد الشيخ علي فواز، وذكروا لمولانا وسيدنا الحاكم الشرعي المشار إليه أن من الجاري في وقف جدهم جميع البستان الكاين بدمشق الشام بالشاغور، وأن أجرة البستان المرقوم في كل سنة ثمانية وعشرون غرشا أسدية، من ذلك حصة الحاج إسمعيل المرقوم النصف مع نصف الأجرة أربعة عشر غرشا أسدية، وحصة أولاد الحاج مصطفى الربع سبعة غروش أسدية يقنوها في كل سنة، وحصة بنات أولاد الشيخ علي فواز الربع سبعة غروش أسدية. وطلبوا من مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي حجة شرعية بذلك. فعند ذلك أمر الحاكم الشرعي أن يكتب لهم حجة شرعية. وقد أشهدوا على أنفسهم المستحقون أن الذي يستحقه الحاج إسمعيل النصف وأولاد الحاج مصطفى الربع وبنات أولاد الشيخ علي الربع، وذلك بعد أن حضر كل واحد من موسى ومحمد وبدري وصادقة وصفية وفاطمة أولاد الحاج مصطفى السمينة وأشهدوا على أنفسهم أنهم قبضوا وتسلموا من الحاج إسمعيل المرقوم ما يخصهم من أجرة البستان وقدره الربع سبعة غروش أسدية عن واجب سنة 1141 بالتمام بالحال. تحريرا في ثاني عشري شهر رمضان المعظم سنة إحدى وأربعين ومائة وألف)[25].

وفي عام 1168هـ/1754م:

(حضر يوم تاريخه محمد السمينة وخواته وهن صفية وفاطمة وبدري وصالحة وقبضوا وتسلموا من محمد بشه النشاشيبي الناظر والمستحق بوقف جده الحصني بدمشق الشام، وأقروا واعترفوا أنهم قبضوا وتسلموا استحقاقهم من الوقف المزبور من الناظر بالتمام والكمال عن سنة 1166 وعن سنة 1167 ولم يبق لهم قبله الدرهم الفرد بسبب أجرة السنتين الذي قبضهما من

---

[24] مصطفى بن حسن بن علي فواز، ويلقب بابن السمينة.

[25] س ش 223: 55.

الشام، وأن حصة صالح بن موسى [4 غروش] عن إيراد السنتين باقية عند المتولي والناظر محمد المزبور)[26].

**توارث المهنة**

تشير سجلات المحكمة إلى توارث المهنة لدى مختلف العائلات النشاشيبية. ومن الحجج الكثيرة التي تؤكد على ذلك، تلك الصادرة في عام 971هـ/1564م، وفيها:

(ادعى إبراهيم بن حسن بن فواز بطريق التوكيل الشرعي عن والده المزبور... على الشيخ نور الدين بن علي بن المرحوم الأمير إبراهيم العلم أن آخر ما يستحقه موكله في ذمته سلطاني ذهبا بقية ما جره إليه الإرث الشرعي من قبل أخيه[27] المرحوم أحمد بن فواز من جهته ثمن ريش ونشاب ونصول وتوز، كان ابتاع ذلك منه في حال حياته قبل وفاته وتسلمه؛ يطالبه بذلك ويسأل سؤاله عن ذلك، فسئل فأجاب بالإنكار وأن يثبت مُدعاه، فالتمس يمينه مرارا فنكل عنها. فألزم الحاكم المومى إليه بذلك بطريق النكول على قاعدة مذهبه الشريف ومعتقده المنيف، فدفعه له، فقبضه منه)[28].

وتفيد السجلات أيضا بأن المواد الأولية لصناعة النشاب غالبا ما كانت ترد من مدينة حلب مرورا بمدينة نابلس. وأحيانا كان النشاب يستورد جاهزا للاستخدام. ففي عام 937هـ/1531م:

(أشهد عليه بدر الدين حسن بن الشيخ زين الدين فواز... أنه قبض من عبد الكريم بن أحمد بن صريصير النشابي الحاضر معه مبلغ تسعة عثمانية وذلك من ثمن النشاب الذي وضع يده [عليه] عبد الكريم القابض المذكور قبل تاريخه وتصرف فيه، وادعى البدري حسن أن كميته ستة آلاف

---

[26] س ش 234: 185.

[27] كذا، والصحيح عمه.

[28] س ش 45: 241.

ومائة وخمسين، ولم يصدقه عبد الكريم إلا على وصول ستة آلاف، وادعى البدري حسن أن عبد الكريم اشترى منه ذلك بمدينة حلب بسعر كل ألف: ألفا درهم حلبية. ولم يصدق عبد الكريم على ذلك، وأوقف ادعاء البدري حسن على التحرير والثبوت)[29].

وفي عام 967هـ/1560م اشترى حسن بن أحمد بن صريصير من حمزة بن الحاج محمد الحلبي النشابي كمية كبيرة من النشاب في حلب. وبعد حين ورث درويش بن حمزة الحلبي عن أبيه تصدير النشاب إلى القدس. ففي أوائل عام 985هـ/1577م باع درويش لشهاب الدين بن محمد المحروق المقدسي عشرين ألف عود نشاب خام وأرسلها مع عبد القادر بن جمعة المكاري[30] إلى القدس؛ حيث اعتقله مدير شرطة نابلس خلال مروره بها واتهمه بسرقة النشاب.

ووصل النبأ إلى القدس في رمضان عام 985هـ/1577م حيث:

(كفل شهاب الدين بن محمد المحروق الحاج درويش بن الحاج حمزة الحلبي النشابي عند إسماعيل بن أحمد الشامي المكاري، على أن يتوجه صحبته في غدى تاريخه إلى مدينة نابلوس ويواجه سوباشيها بسبب مسك رفيقه عبد القادر بن جمعة المكاري بسبب حملِه النشاب المنحوت الجاري في ملكه، وعِدته عشرون ألف منحوتة ويطلقه من سجن السوباشي المزبور كفالة مرعية)[31].

ولسبب ما، تم عزل مدير شرطة نابلس من منصبه. وفي جمادى الأولى عام 986هـ/1578م:

---

[29] س ش 1: 289.

[30] شخص يؤجر الخيل والعربات للسفر والنقل، وقد يتولى النقل بنفسه.

[31] س ش 57: 476.

(ادعى عبد القادر بن جمعة المكاري على الرجل المدعو علي طيلان صوباشي سابقا بمدينة نابلوس أن درويش بن الحاج حمزة الحلبي استأجر مني أربعة بغال، ثلاثة ذكور وواحدة أنثى، قيمتها ثمانون سلطانيا ذهبا وحِملها عشرون ألف عود نشاب خام من مدينة حلب ليوصلها... فنزلت بالأحمال في خان سوق السلطان في نابلوس، فجاء علي صوباشي المزبور فافترى علي افتراء عظيما وأخذ الأبغال والنشاب، وسجنني مدة مديدة حتى أحضِر حجة شرعية بأن النشاب المزبور في يدي أمانة، فأحضرت الحجة الشرعية، فلم يرفعني إلى حكم الشرع حتى أكرهني إكراها يخاف منه التلف، فجاء بي مجروحا عند النائب... فألزِم علي صوباشي المذكور أن يدفع لعبد القادر المذكور ما أخذ منه وكفل عليه بسبب ذلك)[32].

وكان شهاب الدين أحمد بن فواز النشاشيبي قد أعتق عبده المدعو مرجان، فاقتبس مهنة سيده السابق، حيث وردت حجة تتعلق بمتاجرة مرجان بالنشاب في مدينة حلب عام 970هـ/1562م.

**نقابة النشاشيبية؟**

لقد كان للسلاخين واللحامين والمكاريين والطحانين والخبازين والترّابين[33] وغيرهم من الحرفيين والمهنيين في مدينة القدس إبان العهد العثماني نقيبا منتخبا يمثلهم أمام الدولة والقضاء ويعالج ما يستجد بينهم من مشكلات. أما النشاشيبية فلم أعثر في السجلات على ما يشير إلى وجود نقابة خاصة بهم على غرار أصحاب المهن الأخرى.

لكنني وقعت على حجج كثيرة تفيد بأن العائلات النشاشيبية كانت تتعاون فيما بينها في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. فقد تملّك أكثرهم

---

[32] س ش 58: 563.

[33] كانوا يتولون نقل التراب من وإلى البلدة داخل السور بهدف البناء أو الترميم أو التخلص من الأتربة الزائدة.

مساكن في طريق باب السلسلة[34] وحارة الشرف لقربهما من سوق النشاشيبية، وكانت تربطهم صلات المصاهرة، وغالبا ما كانوا يشتركون في شراء البساتين خارج السور، وكانوا يحصلون على قروض مشتركة، وكان بعضهم يكفل بعضا في سداد الديون.

ومن الأمثلة على ذلك حجة وردت في عام 1028هـ/1619م وجاء فيها:

(لما كان مترتبا في ذمة بدر الدين بن علي النشاشيبي ومحمود بن حسن الشرايحي وعبد الكريم بن حسن صريصير لمحمد علي بن حجازي السكري مبلغ قدره ثمانية وأربعون غرشا سوية... حضر يوم تاريخه أدناه حسن بن علي الوكيل الشرعي عن بدر الدين بن علي النشاشيبي ودفع للحاج محمد بن أبي النصر السكري الوصي الشرعي على محمد علي بن حجازي المزبور ستة عشر غرشا نظير ما في ذمة بدر الدين)[35].

كما وردت حجة أخرى في عام 1029هـ/1620م تتعلق بقرض وكفالة مالية، وجاء فيها:

(ترتب ليتيمة خليل بن عويس بمباشرة وصيها علي بن حسن شربانة في ذمة كل من عبد الكريم بن حسن صريصير ومحمود بن حسن الشرايحي بطريق الأصالة عن أنفسهما والكفالة عن بدر الدين بن فواز سوية بينهم مبلغ قدره ستة غروش)[36].

بل وكان بعضهم يؤازر بعضا في التصدي لمحاولات رفع أجرة الدكاكين التي كانوا يمارسون أعمالهم فيها. ومن ذلك أن حسن بن علي فواز

---

[34] كان يطلق عليه (خط داود) في العهد المملوكي وأوائل العهد العثماني، ويمتد من باب السلسلة إلى قلعة القدس عند باب الخليل.

[35] س ش 101: 355.

[36] س ش 104: 109.

استأجر من الحاج أحمد العيوني شيخ المغاربة دكانا بسوق النشاشيبية لمدة عام بأجرة قدرها أربعة غروش وأربعة وعشرين قطعة مصرية[37]. وفي عام 1044هـ/1634م تم تعيين الحاج عيسى بن عامر شيخا جديدا على طائفة المغاربة، فرفع الأجرة إلى ستة غروش. وفي عام 1045هـ/1636م أخذ شيخ المغاربة يطالب حسن بن علي بالمزيد، فتم فض الخلاف بينها في المحكمة على النحو التالي:

(تنازع الحاج عيسى بن عامر شيخ السادة المغاربة القاطنين بالقدس الشريف والناظر على أوقافهم مع حسين بن علي فواز بسبب الدكان سكنه، الكائنة بمدينة القدس الشريف بخط داود بسوق النشاشيبية، وحضر الحاج علي بن عبيد النصرشي [بخصوص] إجارة الدكان المزبورة مدة سنة من تاريخه تسعة غروش. حضر حسين المزبور وذكر أنها جارية في إيجاره السنة ستة غروش، وأن زيادة أجرتها إلى تسعة غروش زيادة ضرر. وحضر كل واحد من عبد الكريم بن حسن ابن صريصير النشاشيبي والسيد علي بن عبد العال وحسن بن فواز و... و... وأخبروا مولانا الحاكم المومى إليه على طريق الشهادة أن زيادة أجرة الدكان المزبورة في السنة إلى تسعة غروش زيادة ضرر، وأن قيمة أجرتها في كل سنة ستة غروش وأن أجرة الدكاكين الملاصقة لها دون ذلك، شهادة شرعية بوجه الحاج عيسى الناظر المزبور... ولما ثبت مضمون ذلك لدى مولانا الحاكم الشرعي المومى إليه، أدام الله نعمه عليه، ثبوتا شرعيا، أبقينا الدكان المذكورة بيد حسين المستأجر المزبور بالستة غروش المزبورة بالسنة المذكورة إبقاء شرعيا)[38].

---

[37] عملة قليلة القيمة، حيث كان القرش يعادل حوالي أربعين قطعة مصرية. ومنها أطلقت العامة في بلاد الشام لفظ (مصاري) على النقود.

[38] س ش 125: 171.

وترشدنا هذه القضية كما غيرها من القضايا إلى سرعة حل المشاكل العالقة بين الرعايا في الدولة العثمانية باليسر والعدل والرأفة، خلافا لما حل بعدها من أنظمة قضائية ومحاكم نظامية (تشفط) قضايا العباد كما يشفط الثقب الأسود الكواكب التي تضل طريقها وتمر بمحاذاته. وكما نعلم فالقضية العصرية لا بد لها من الدخول في سراديب مظلمة ودهاليز مغبرة تصيب المظلوم بالدوران والإعياء قبل أن يفقد صوابه.

وكثيرا ما يفارقنا صاحب القضية المظلوم إلى العالم الآخر وترث ذريته ذلك الهم الأعظم وتتناقله الأجيال، فيما يؤجل القاضي النظر فيها سنوات بعد سنوات. وفي نهاية المطاف يحكم القاضي لصالح الطرف الظالم، بسبب موت الشهود وضياع البراهين والتقادم والتصرف والرأفة بأيتام الظالم الذي مات أيضا قبل أن يعيد الحق لأصحابه.

## سوق النشاشيبية

ولنعد إلى العهد العثماني بحثا عن سوق النشاشيبية، حيث تفيد السجلات بأنه كان يقع في الجزء الغربي من طريق باب السلسلة بالقرب من خان السلطان وسوق الباشورة. ونذكر فيما يلي بعضا من الحجج المتعلقة بالسوق وموقعه.

ففي عام 985هـ/1577م وردت حجة حول (الدكان الكائنة بالقدس الشريف بسوق النشابية بخط داود بالصف القبلي). وفي عام 991هـ/1583م وردت حجة أخرى حول (الدكان الكائنة بالقدس الشريف بخط داود... بسوق النشاشبية). وفي عام 1002هـ/1594م وردت حجة بيع (الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بخط داود بالقرب من دكاكين النشاشبية). وفي عام 1018 هـ/1609م (استقرت إجارة الدكان الكائنة بالقدس الشريف بخط النشاشيبية

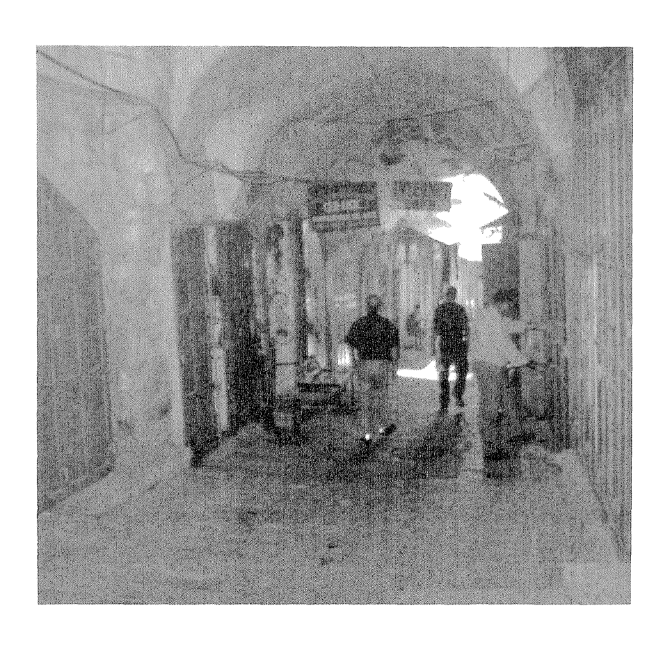
من جهة الشمال الجارية في وقف المغاربة... على نحس ولد[39] مينابين النصراني الأرمني).

ويرجع تاريخ آخر حجة عثرت عليها حول (سوق النشاشيبية بالقدس الشريف) إلى عام 1099هـ/1687م. لكن حجة أخرى أشارت في عام 1171هـ/1758م إلى وجود قهوة خاصة بهم، وأولها: (حضر يوم تاريخه عبد الرحمن آغا عسلي زاده الناظر على وقف جده وذكر لمولانا الحاكم الشرعي أن من الجاري في الوقف جميع قهوة النشاشيبية...)، إلا أن تلك الحجة لم تحدد موقع القهوة.

هذا بعض ما عثرت عليه من معلومات حول العائلات النشاشيبية وصناعة النشاب وأربابها وسوقها في القدس الشريف في العهد العثماني. ولعل متابعة الحديث عن جذور عائلة النشاشيبي المعاصرة في فترة ما قبل الشيخ زين الدين فواز الفقيه الحنبلي تحتاج إلى دراسة مستقلة. أما تحليل مئات الحجج الشرعية المتعلقة بتاريخ العائلة وكبار مشاهيرها وأملاكها في القدس على مدى القرون الخمسة الماضية فلا يسعه إلا كتاب مستقل.

---

[39] كان كاتب المحكمة يطلق لفظ (ولد) بدلا من (بن) على أهل الذمة، وذلك على سبيل تحديد هوية الشخص. حيث لم تكن هناك دائرة داخلية تصدر بطاقات شخصية. فكانت المحكمة تلجأ إلى ما يتيسر لديها من أوصاف تحدد هوية الشخص كالدين والمذهب والمهنة والحارة التي يقيم فيها. وفي بعض الحجج يتم وصف وجه الشخص وجسمه.



سوق النشاشيبية في القسم الغربي من طريق باب السلسلة

# عائلة مطاوع

في عام 1421هـ/2000م طلب مني أحد أبناء عائلة زين المقدسية تقصي جذور عائلته من خلال سجلات المحكمة. وبعد مراجعتها بدقة توصلت بشكل قطعي إلى أن جد العائلة الأكبر هو مطاوع بن حرب القلنداوي الذي استوطن بعض أبنائه في القدس في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، أي أواخر القرن السابع عشر الميلادي.

ولن يتسع المجال هنا للحديث عن سلالته، وسنكتفي بالحديث عن بعض أبنائه الذين استقروا في القدس. وسنتناول في هذا السياق موضوعات تشير إلى الحياة العامة في العهد العثماني من خلال أمثلة تتعلق بذريته. كما سنسلط أضواء جديدة على قرية قلندية. ولعل ذلك يثير الرغبة لدى بعض الباحثين نحو التعمق في تاريخها وتدوين ما يتيسر من معلومات قد تطويها الأيام ما لم نسارع إلى حفظها على صفحات الكتب.

لقد كان أجداد عائلة مطاوع يقيمون في قرية قلندية ويمارسون فيها مختلف المهن الريفية الشاقة في العهد العثماني، والتي لم يكن ليقدر عليها سوى قلة من أبناء المدن، كالزراعة ونقل البضائع على الطرقات غير الآمنة في تلك العصور.

وقد ساهمت علاقات أبناء مطاوع مع تجار القدس في ترغيب بعضهم بالإقامة فيها ومصاهرة أهلها. ومع مرور الأعوام استقروا في المدينة واقتبسوا أنماط الحياة السائدة فيها، ولم يعد يربطهم بقرية قلندية سوى القليل، فيما آثر إخوانهم البقاء فيها.

وقد ورد ذكر مطاوع بن حرب في عقد بيع أرض في قلندية عام 1089هـ/1678م حيث كان كرمه يحد قطعة الأرض المباعة. وتردد ذكره في السجلات حتى عام 1110هـ/1698م، حيث كان وكيلا عن ابنته عفيفة

في عقد قرانها على شاب مقدسي. ومن أبنائه الذين استقروا في القدس ياسين ونجم وزين.

## أبناء مطاوع

ورد ذكر ياسين بن مطاوع (ت 1128هـ/1715م) في حجة تجارية في القدس عام 1090هـ/1679م. وكان أكبر سنا ومكانة من أخوَيه زين ونجم، ولربما سبقهما إلى الإقامة في القدس. وكان يزود بعض تجار القدس بالأرز عام 1103هـ/1692م. وكان على علاقة تجارية مع المدعو زاخو النصراني في القدس عام 1108هـ/1696م. واشترى من حنا بن يوسف الماروني حصة من دار كان يملكها في القدس عام 1116هـ/1704م. كما كان يتاجر بالصابون عام 1122هـ/ 1710م.

وقد ورد اسم ياسين مقترنا بالشيخ يونس الحسيني شيخ المسجد الأقصى كشاهدين على عقد بيع عام 1108هـ/1697م. وتزوج من فاطمة ابنة أبي بكر الحسيني الأنكوري عام 1110هـ/1698م، وكان والدها أحد كبار أعيان القدس في عصره حسبما ورد في السجلات. وتوفي ياسين في القدس عن أربع نساء، وأعقب محمد ومالك وخير الدين.

وأصبح ابنه محمد من مشاهير القدس الشريف حيث انضم إلى القوات العثمانية، وتزوج في عام 1121هـ/1709م من عائشة ابنة عبد الكريم جوربجي، متسلم القدس في أواخر القرن الحادي عشر الذي أوقف عدة عقارات فيها، وأشهرها مسجد الجوربجي الواقع في حي باب العامود. أما بقية أبناء ياسين فلم يرد لهم ذكر في محكمة القدس، وربما عادوا إلى قلندية.

واستقر نجم بن مطاوع (ت بعد 1153هـ/1740م) كذلك في القدس ومارس مهنة الخياطة، وأصبح يدعى بالأستة نجم الخياط. وورد ذكره في عام 1127هـ/1715م معرّفا في المحكمة بسيدة من إحدى عائلات القدس.

وكان يملك دارا في حوش الخطيب في حي باب العامود عام 1136هـ/ 1723م. ويستدل من السجلات أن ابنه الوحيد مصطفى لم يعقب.

واستقر أيضا زين بن مطاوع (ت بعد 1157هـ/ 1744م) في القدس، ولقب بالخُضَري ابتداء من عام 1110هـ/1698م ، حيث كانت تلك مهنته ومهنة كثير من ذريته من بعده. وقد تكرر ذكر أولاده وأحفاده في السجلات. وهو جد عائلة زين المقدسية المعاصرة.

## ممتلكات ذرية مطاوع

تشير السجلات إلى أن ذرية مطاوع بن حرب قد تملكت في العهد العثماني عدة دور في القدس تقع في قناطر خضير ومحلة باب العمود ومحلة باب الساهرة وواد الطواحين ومحلة النصارى وحوش المنارة الحمراء بخط بني زيد وعقبة الظاهرية وراس عقبة المولى وخط باب حطة ومحلة الشرف وخط مرزبان في محلة باب القطانين.

ونعرض فيما يلي نماذج مختلفة لحجج تتعلق بذرية مطاوع ونلقي الضوء على بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية في العهد العثماني.

## حجج تجارية

في عام 1057هـ/1647م:

(ألزِم خير الدين بن مصلح الجاموس لمطاوع بن حرب ولأحمد بن محمد من قلندية بمائة قطعة مصرية ثمن أربعة عشر حملا حطبا للدباغ بعد الدعوى والطلب والإنكار وإقامت البينة إلزاما شرعيا)[40].

وفي عام 1136هـ/1723م:

---

[40] س ش 140: 473.

(اشترى الحاج علاء الدين ابن المرحوم الحاج موسى أبي لحية... من علي بن يوسف الشهير بأبي السعادات ومن زين ابن المرحوم الحاج مطاوع بالوكالة عن قبل أخته عفيفة ابنة الحاج مطاوع زوجة المرحوم كمال ابن أحمد الشهير بأبي السعادات... بشهادة كل واحد من أخيها نجم الخياط ابن مطاوع المزبور وعلي بن يوسف المرقوم... وذلك جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة باب العمود بحوش الخطيب... ويحدها قبلة دار بيد نجم الخياط... وغربا دار بيد الخطيب الظهيري... بشهادة كل من زين المزبور ونجم الخياط)[41].

وفي عام 1151هـ/1738م ورد ذكر محمد بن زين شيخ الخضرية ضمن قائمة كبار تجار القدس في حجة إقرار باستلام أثمان بضائع اشتراها منهم متسلم القدس قبل مغادرته المدينة:

(حضر يوم تاريخه في مجلس الشرع الشريف ومحفل الدين المنيف كل واحد من مفخر السادات السيد خليل شابندي التجار والسيد فضلي شيخ العطارين والحاج كمال شعلة وصالح قصاب باشي ورمضان عسكر والسيد علي صلاح الدين وشهوان الخبازين ومحمد ابن زين شيخ الخضرية وحجازي ابن صالح شيخ القطانين... بالقدس الشريف وأقروا واعترفوا وأشهدوا على أنفسهم، وهم بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا، بحضور صالح آغا، من غير إكراه لهم في ذلك ولا إجبار... أنهم ليس لهم بذمة قدوة الأكابر... الحاج مصطفى آغا متسلم القدس الشريف مدة إقامته بالقدس الشريف حقا مطلقا وأن جميع ما قدموه له... وصلهم ثمن ذلك بالتمام... كاتبه الفقير السيد محمد صنع الله)[42].

---

[41] س ش 218: 358. محمد صنع الله بن محمد صنع الله الخالدي (ت 1205هـ/1790م).

[42] س ش 229: 245.

**دعاوى قضائية**

في عام 1218هـ/1803م:

(ادعى كل واحد من الحاج بدر وأخويه الحاج إبراهيم والحاج موسى أولاد زين الخضري على السيد سليمان قطينة الحاضر معهم بالمجلس الشرعي، وقالوا في تقرير دعواهم عليه أن السيد سليمان المرقوم قد أحدث معصرة تحت داره الكائنة بالقدس الشريف بعقبة الظاهرية الملاصقة لدارنا من الجهة القبلية، وجعل فرن المعصرة والمصطاح؛ هو محل ما يدق فيه السمسم وقبوله، واقع سفلي دارنا، فبسبب دق السمسم ودخان الفرن يوهن ما فوقه من البناء ويشققه ويحصل من ذلك ضررا ببنيان دارنا، ونطلب رفع ما أحدثه من سفلي دارنا بالوجه الشرعي. سُئل المدعى عليه سليمان المرقوم؛ أجاب أن القبو الذي جعل فيه الفرن سفلي بيت له والمدخنة ملاصقة لبابه، فبين المدخنة والحائط المشترك بين الدارين مقدار سبعة أذرع بذراع المعمل والمصطاح، محل ما يدق فيه السمسم، بينه وبين الحائط المشترك بين الدارين البيت الذي به المدخنة، فيحصل في ملكه لا في ملك المدعين المرقومين. وطلب من مولانا الحاكم الشرعي الكشف والوقوف على ذلك ليظهر لجنابه ما هنالك، فعيّن مولانا الحاكم الشرعي للكشف والوقوف كاتبه محمد حسين الخالدي والسيد محمد الدقاق والسيد أحمد باشي جوقدار وخليل بك محضر باشي وعمر باشي النمري ومحمد العفيفي ومصطفى مرقصطة. فحصل الكشف والوقوف على المعصرة المرقومة وفرنها ومحل ما يدق فيه السمسم، فوجد ذلك كما قدّره المدعى عليه سليمان المزبور. فعادوا جميعا وأخبروا مولانا الحاكم الشرعي بذلك على سبيل الشهادة بوجه المدعين المرقومين، وزادوا في شهادتهم إن حصل من ذلك ضرر يكون ذلك الضرر في ملك سليمان المرقوم، لا في ملك المدعين المرقومين زيادة شرعية. فقبلت شهادتهم بذلك القبول الشرعي. فعند ذلك عرّف مولانا الحاكم الشرعي المدعين

المرقومين أنهم ممنوعين من المعارضة للسيد سليمان المرقوم بسبب ما يدعونه من الضرر، حيث ثبت عدم الضرر لهم من ذلك، سيما وقد صرح كثير من العلماء الأعلام أن المالك له التصرف في ملكه وإن أضر بجاره، وهذا بالطريق الأولى حيث لا ضرر على الجارين منه، تعريفا شرعيا، وأذن للمدعى عليه سليمان المرقوم بأعمال المعصرة المرقومة وإشغالها كأمثالها إذنا شرعيا)[43].

وفي عام 1226هـ/1811م:

(ادعى الحاج بدر زين على الحاج نبهان المكاري الحاضر معه بالمجلس الشرعي وقال في تقرير دعواه عليه: إن الحاج نبهان المرقوم في سنة 22 باعني حلاوة وطلعة [كذا] عاطلة، وذهب إلى الشام ثم حضر إلى القدس. وطلب المذكور استرداد الحلاوة منه، ثم توسطت [كذا] المصلحون بينا [كذا] على أن الحاج نبهان المرقوم يدفع لي خمسين غرشا أسدي، فدفع لي من ذلك عشرين غرش وبقي لي ثلاثين غرش، وأطلب ذلك منه. سُئل المدعى عليه؛ أجاب بأن الصلح وقع على عشرين غرش، وطال بينهما النزاع، ثم تسوطت [كذا] المصلحون بينهما ثانيا على أن الحاج نبهان المرقوم يدفع إلى الحاج بدر المذكور اثنا عشر غرش أسدي، وكل منهما يبري ذمة الآخر من هذه الدعوى. فأذن الحاج نبهان إلى سعيد العبد بدفع ما بقي بذمته وقدره اثنا عشر غرش ونصف إلى الحاج بدر، فقبل الحاج بدر ذلك، وكل منهما أبرأ ذمة الآخر بقوله: لا حق لي قبلك حقا مطلقا)[44].

وفي عام 1246هـ/1831م:

---

[43] س ش 286: 9.

[44] س ش 290: 68. يلاحظ أن النص أقرب إلى اللهجة العامية، حيث ازداد الجهل في فترة ما بين حملة نابليون والحكم المصري بشكل خاص.

(ادعى علي بن المرحوم يوسف زين على كل واحد من الحاج محمد مقبل وعلى محمد بن خليل مقبل وعلى خليل بن مصطفى زين مقبل الحاضرين معه بالمجلس الشرعي، قائلا في دعواه عليهم أن من المنحصر فيه من أصل وقف جده محمد مقبل الحصة الشائعة وقدرها الربع ستة قراريط من أصل كامل من جميع الدار القائمة البناء بالقدس بباب العمود بحوش غير نافذ، المشتملة على معزل سفلي وإيوان... وبيت به فم صهريج ومرتفق، وعلى معزل ثاني يصعد إليه بسلم من حجر يشتمل على بيوت وساحة سماوية ومطبخ وحوضين وصهريج... المحدودة قبلة دار جلاجل وشرقا دار السيد محمد آغا العفيفي وشمالا دار جارية في وقف الصخرة وغربا باب الدار والحوش، وأن المدعى عليهم يؤجرون الدار ويقبضون أجرها ولم يدفعوا له ما يخصه، وطالبهم بذلك بالوجه الشرعي. سُئل المدعى عليهم، سألهم عن ذلك؛ فأبرزوا من أيديهم كتاب الوقف أعلاه مؤرخ في 1154 فلم يصدقهم عليها. فأبرز المدعي من يده سندا يتضمن ثبوت تصرف والده في ربع الدار المذكورة أعلاه مؤرخ سنة 1234 فلم يصدقوه عليها، وأحضر للشهادة كل واحد من جناب السيد مصطفى الخالدي والسيد إبراهيم الخالدي، فشهدا بوجه المدعى عليهم بما نصت الحجة المذكورة من ثبوت التصرف، فقبلت شهادتهما القبول الشرعي. فلما ثبت ما قامت ونصت به الحجة أمر مولانا الحاكم الشرعي المدعى عليهم بدفع أجر ربع حصة الدار إلى المدعي علي كما هو ثابت لوالده)[45].

## أحوال شخصية

في عام 1110هـ/1698م:

[45] س ش 314: 150.

(تزوج زين بن الحاج مطاوع الخضري بمخطوبته بدرية ابنة محمود بن علوان البكر البالغ الخلية عن الموانع الشرعية. أصدقها على بركة الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم صداقا جملته تسعون غرشا عددية، الحال لها من ذلك خمسون غرشا عددية، والباقي بعد الحال من ذلك وقدره أربعون غرشا عددية مؤجلة على الزوج إلى أقرب الأجلين تأجيلا شرعيا. زوّجها منه بذلك على ذلك كذلك وكيلها جدها محمد بن أبي رجب بالوكالة عنها، الثابت وكالته بشهادة كل واحد من خاليها رجب وعصوب العارفين بها تعريفا شرعيا، زواجا صحيحا شرعيا مقبولا من الزوج لنفسه قبولا شرعيا)[46].

وفي عام 1128هـ/1715م تم تسجيل:

(دفتر يتضمن ضبط ومبيع تركة المرحوم يس ابن المرحوم مطاوع القلنداوي المتوفي بالقدس الشريف، والمنحصر إرثه الشرعي في زوجاته الأربع وهن السيدة فاطمة خاتون ابنة السيد أبي بكر الأنكوري وكافية بنت وهدان من قرية البيرة وحمدة بنت أحمد القلعي من قرية الجديرة ورحمة بنت يونس من قرية قلندية بحق الثمن سوية بينهن، وفي أولاده وهم الحمل المشتملة عليه كافية المذكورة ومحمد بشه ومالك وخير الدين وعزيزة البالغين ونزيا ومناهر القاصرين بحق الباقي)[47].

وفي عام 1224هـ/1809م:

(فرض مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي برسم نفقة وكسوة القاصر محمد ولد الحاج بدر زين فيما لا بد له ولا غنى عنه من رضاع وثمن لحم وأدم وخبيز وغسل أثواب ودخول حمام وغير ذلك من اللوازم اللازمة شرعا، ما قيمة ذلك وقدره في كل يوم يمضي من تاريخه أدناه خمسة عشرة فضة

---

[46] س ش 200: 94.

[47] س ش 209: 508.

مصرية، وأذن جناب مولانا إلى الحاج بدر زين بالاستدانة وإنفاق الخمسة عشرة مصرية في كل يوم وبالرجوع بنظير ذلك على مال القاصر المرقوم، المنجر إليه إرثا من والدته خديجة بنت بصل الرملي، فرضا وإذنا صحيحين شرعيين)[48].

**شراء عقارات**

في عام 1221هـ/1806م:

(اشترى الحاج بدر زين بماله لنفسه دون مال غيره من مصطفى بن مصطفى فرارة الحاضر معه بالمجلس الشرعي فباعه بيعا باتا ما هو له وجار في ملكه وطلق تصرفه وحيازته الشرعية، وآيل إليه بعضه إرثا من أمه خديجة بنت معتوق وبعضه إرثا من والده... وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها إحدى عشر قيراط من أصلٍ كامل في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بخط بني زيد بحوش المنارة الحمرة... بثمن وقدرهماية وعشرين زلطة[49])[50].

وفي عام 1234هـ/1819م:

(اشترى السيد الحاج عبد القادر بن المرحوم السيد محمد أبي قادرية بماله لنفسه دون مال غيره من بائعه السيد مصطفى زين الوكيل الشرعي عن قبل زوجته السيدة نفيسة بنت المرحوم محمد أبي قادرية المذكور أعلاه، الثابت وكالته عنها بشهادة وتعريف محمد فرحات ومحمد الرملي العارفين بها شرعا في هذا البيع الآتي ذكره فيه وقبض الثمن الذي سيعين فيه، بشهادة المذكورين أعلاه، الحاضر معه بالمجلس الشرعي، فباعه بيعا باتا ما هو لها

---

[48] س ش 292: 86.

[49] عملة بولونية الأصل، مغشوشة مخلوطة، أي نحاس بداخلها فضة، كانت تعادل 30 بارة أو ثلاثة أرباع الغرش الأسدي.

[50] س ش 288: 53.

وجار في ملكها وطلق تصرفها وحيازتها الشرعية وآيل إليها ذلك إرثا من والدها محمد المرقوم، الآيل لوالدها شرا بموجب حجة شرعية مؤرخة في اليوم الثامن والعشرون من شهر رمضان سنة 1209، ويدها واضعة على ذلك دون المعارض والمنازع لها في ذلك إلى حين صدور هذا البيع البات، وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها الثلث ثمانية قراريط من أصلٍ كامل أربعة وعشرون قيراط في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف الواقعة بمحلة باب حطة، المشتملة على ثلاثة بيوت ومنافع ومرافق وحقوق شرعية، شركة المشتري عبد القادر المذكور بحق الثلثان من الستة عشر قيراط الباقية في الدار المذكورة... بثمن قدره ثلثماية غرش أسدية ثمنا حالا مقبوضا بيد الوكيل البائع مصطفى المرقوم من يد المشتري المذكور... ثم بعد تمام ذلك كله أشهد البائع الوكيل على لسان زوجته الموكلة نفيسة المذكورة أنها أبرأت ذمة أخيها عبد القادر المشتري المرقوم من دعوى الغبن الفاحش مع الإغرار البراة الشرعية)[51].

## تعيين امرأة متولية شرعية

في عام 1250هـ/1834م:

نصب قاضي القدس (حاملة هذا الكتاب الشرعي وناقلة ذا الخطاب المستطاب المعتبر المرعي السيدة حسب بنت السيد محمد بيك الزعيم ابن السيد خليل بيك ابن الحاج مقبل الواقف متولية شرعية وناظرة معتبرة مرعية على وقف جدها لأبيها الحاج مقبل بيك بن سليمان بيك الشهير بابن دخل الله، الكائن وقفه بالقدس الشريف بموجب كتاب وقفه المؤرخ في سنة 1145 لتعاطي أمور التولية والنظارة على الوقف المرقوم بما فيه الحظ الأوفر والمصلحة التامة لجهة الوقف المرقوم ومباشرة أموره وما يلزم له من التعمير

---

[51] س ش 302: 107.

والترميم اللازمة شرعا، لأنه ليس لهذا الوقف متوليا وناظرا، ولكون أن المتولية الآن هي السيدة حسب المرقومة أرشد الموقوف عليهم وأليق من باقي مستحقي الوقف، بشهادة كل واحد من السيد خليل بن السيد مصطفى زين والسيد علي ابن يوسف زين هما من المستحقين في الوقف المرقوم وشهادتهما بذلك لدى مولانا الحاكم الشرعي. وأذن جناب مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي إلى المتولية السيدة حسب المرقومة بتعاطي مباشرة أمور التولية والنظارة على الوقف المرقوم من إيجاره وقبض أجوره وتعميره وترميمه وجميع لوازمه اللازمة شرعا، وصرف ما يقبض بعد التعمير والترميم واللوازم الشرعية على مستحقي الوقف المرقوم على حسب شرط الواقف المرقوم في كتاب وقفه المحكى تاريخه أعلاه، وبالاستنابة عند الحاجة، نصبا وإذنا صحيحين شرعيين صادرين مقبولين شرعا القبول الشرعي)[52].

**جذور مطاوع بن حرب**

روى لي المهندس شريف عوض الله أحد أبناء قرية قلندية روايات تناقلتها الأجيال، مفادها أن القرية كانت قديما تضم مجموعتين هما حامولة مطاوع وكانت من حزب قيس، وحامولة مناع وكانت من حزب اليمن. وقال أن حامولة مطاوع كانت أكثر عددا وأشد بأسا، وأنه تم إجلاؤها إلى قرية تقع جنوب شرقي حيفا، ورجح شريف أنها قرية بيار عدس.

وأشار السيد شريف إلى أن جانبا من مقبرة قلندية ما زال يطلق عليه (قبور مطاوع) حتى يومنا هذا. كما أن بعض بيادر القرية يطلق عليها (نوادر

---

[52] س ش 319: 37.

مناع) نسبة إلى جدهم الأعلى. وقد تفرع من مناع عدة عائلات مثل نزال[53] ومرار، ثم تفرع من نزال كل من حمدية وعوض الله وحسين.

وتساءل المهندس شريف عن عدة أراض لا يعرف أحد أصول تسميتها، مثل كرم مخلوف وكرم حسان وكرم زيدي. لكن الخوض في هذا الأمر يحتاج إلى دراسة مطولة تختص بتاريخ قلندية وتستخرج من بطون السجلات، حيث أن كتب التاريخ لم تعط القرية حقها من العناية.

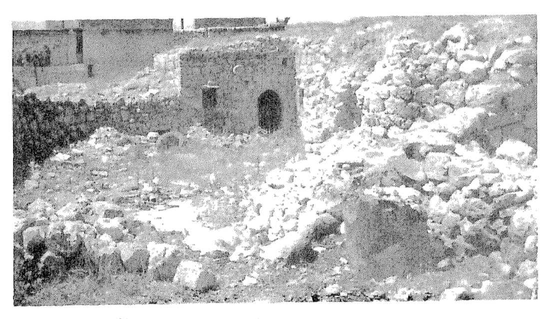
وبعد بحث مستفيض وزيارات ميدانية إلى مدينة قلقيلية التي لجأ إليها بعض سكان بيار عدس بعد النكبة، تبين لي أن حامولة مطاوع لم تهاجر إلى بيار عدس. وبالتالي فقد تضاءل الأمل بالعثور على جذور مطاوع من خلال أحفاد يفترض أنهم أبناء عمومة ذريته التي استوطنت القدس. وهكذا لم يبق أمامي سوى العودة إلى سجلات محكمة القدس، حيث تكرر ذكر حرب في عدة حجج ومنها الحجة التالية الصادرة في عام 1050هـ/1640م:

(ادعى يونس بن أحمد من أهالي قرية قلندية الكائنة ظاهر القدس الشريف على حجازي الكريدي من القرية المزبورة، وقال في تقرير دعواه عليه أنه عشية أمس تاريخه أدناه ضربه بسكين عقفا في رأسه، وأخذ غنمه وبقره بغير وجه شرعي، وطالب بما يترتب عليه شرعا وبرّد غنمه وبقره إليه، وسأل سؤاله عن ذلك. سئل فأجاب بأنه كان عشية أمس تاريخه بكرمه الكائن بأرض القرية المزبورة، وأن بقر المدعي المزبور نزل إلى كرمه وأنه أخرجهم من الكرم، فإذا بالمدعي المزبور قام عليه هو وجماعة من أهالي القرية المزبورة وضربوه، ثم إنهم تركوا دوابهم في السهل وإني أخذتها... ثم

[53] وردت حجة في سجلات المحكمة حول تحصيل الضرائب من قرى القدس في شوال 1081، ومن ضمنها قلندية حيث دفعت مبلغ 36 قرشا، وورد ذكر مشايخ النواحي، ومنهم يسين ونزال وعلوي. أنظر س ش 181: 448.

إن جماعة حاكم العرف[54] بالقدس الشريف قد أخذوا الدواب، وأنكر ضرب المدعي المزبور بسكين عقفا في رأسه، وذلك بمحضر فخر أقرانه حسن آغا صوباشي مدينة القدس الشريف. ثم حضر حرب من أهالي قرية قلندية المزبورة واعترف أنه تسلم من حاكم العرف بالقدس الشريف سبعة وثلاثين رأسا من الغنم وأربعة حمير وجملين وثمانية روس باقية من التمسكات أخذها حجاز المزبور من دواب أهالي القرية)[55].

وبعد مراجعة دامت عدة أشهر تبين أن جد العائلة هو: مطاوع بن حرب بن أحمد بن يونس بن رمضان بن فليفل الكريدي. وهذا يعني أن أحد أجداده كان قد هاجر من جزيرة كريت اليونانية إلى قلندية في العهد المملوكي على الأرجح. وكانت تلك الجزيرة تسمى اقريطش في العهد الإسلامي الأول ثم أطلق عليها كريد.



مبان في قلندية من عهد مطاوع بن حرب الكريدي

[54] وهو لقب الوالي في بداية العهد العثماني. ويطلق عليه أحيانا حاكم السياسة. ويقابله في السلطة حاكم الشرع أي القاضي الذي يصدر الأحكام حسب الشريعة الاسلامية، بينما يتولى حاكم العرف تنفيذها إضافة إلى مهامه الإدارية الأخرى. لكن سلطات القاضي ضعفت أمام الوالي في أواخر العهد العثماني.

[55] س ش 129: 183.

# عائلة البدرية

لقد كانت عائلة البدرية من العائلات المقدسية التي أشكلت عليّ جذورها، فبعض أبنائها يعتقدون إلى أنهم هكاريون مقدسيون، فيما يعتقد آخرون أنهم ينتمون إلى بلدة شرفات. وسأعرض فيما يلي خلاصة لنتائج (الحفريات) التي أجريتها بحثا عن آثار القوم.

**بدر الدين الهكاري**

يقول بعض أبناء العائلة أنهم ينتسبون إلى الشهيد بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري، والذي وقف المدرسة البدرية التي تقع في الصف الغربي من طريق القرمي في خط مرزبان شمالي المدرسة اللؤلؤية وجنوب غربي زاوية القرمي. وكان الهكاري قد وقفها على الشافعية عام 610هـ/1213م. لكنها هدمت ولم يتبق منها سوى بابها. وتقيم إحدى العائلات المقدسية حاليا في البناء الذي تجدد في موقعها.

ويقول مؤيدو هذا الرأي أن ثمة تحريفات أحدثها بعض المتمكنين في سجلات المحكمة القدسية بهدف اغتصاب حق آل البدرية من حقوقهم الموقوفة في القدس.

وخلال مراجعة سجلات المحكمة القدسية عثرت على حجة وردت عام 1281هـ/1864م وتشير إلى أن آل البدرية كانت لهم دار قرب المدرسة البدرية وتقع (بخط مرزبان قرب الشيخ القرمي رضي الله تعالى عنه الواقعة داخل حوش غير نافذ)[56].

ويشار إلى أن هناك مدرسة أخرى في القاهرة تحمل اسم المدرسة البدرية. وكذلك توجد زاوية بهذا الاسم ذكرها ابن حجر العسقلاني في أنباء الغمر بأبناء العمر فقال (زاوية البدرية تجاه الأسدية ظاهر دمشق).

---

[56] س ش 347: 321.

**التنبل**

أخبرني أحد أبناء عائلة البدرية أن لقب التنبل أطلق على أحد أجدادهم بعد إقدامه على بيع منزل العائلة القديم المجاور للمدرسة البدرية؛ فنبزه القوم بهذا اللقب لتفريطه بمنزل الأجداد.

ومن الحجج العديدة التي ورد فيها ذكرهم بهذا اللقب، حجة بيع دونت في عام 1235هـ/1820م، وجاء فيها:

(اشترى السيد داود بحلق بالوكالة الشرعية عن قبل زوجته أمونة بنت المرحوم موسى أبو يعقوب بمال زوجته أمونة الموكلة المذكورة لنفسها دون مال غيرها من محمد الدقمقجي الوكيل الشرعي عن قبل رقية بنت السيد علي التنبل، الثابت وكالته عنها في هذا البيع الآتي ذكره فيه وقبض ثمنه الذي سيعين فيه، بشهادة وتعريف مولانا السيد محمد أفندي الدقاق وزوجها الحاج عطية العارفين بها شرعا، الحاضر معه بالمجلس الشرعي، فباعه لزوجته أمونة الموكلة بيعا باتا ما هو لرقية الموكلة وجار في ملكها وطلق تصرفها وحيازتها الشرعية وآيل لرقية الموكلة إرثا من والدها المذكور الآيل لوالدها المرقوم شرا بموجب حجة شرعية مؤرخة في نصف شهر شعبان سنة إحدى وتسعين وماية وألف ويدها واضعة على ذلك لحين صدور هذا البيع البات، وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطا من أصل كامل أربعة وعشرون قيراطا في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة باب حطة، المشتملة على بيت فوقاني وبيت تحتاني وصهريج ماء ومرتفق ومطبخ ومنافع ومرافق وحقوق شرعيا ويحدها قبلة دار ابن حسن الرقاص وشمالا دار جعفر بيك وشرقا دار الزغنين وغربا دار اشتية وبه الباب، بجميع حقوق ذلك كله شرعا بيعا باتا صحيحا شرعيا، بثمن قدره وبيانه مايتين غرشا أسديا وخمسين غرش أسديا مع صرة مجهولة مستهلكة بالمجلس بعد قبضها مع الثمن المزبور ثمنا حالا بيد محمد الدقمقجي البايع الوكيل

المرقوم، مقبوضة بيده من يد داود الوكيل عن زوجته من مال زوجته أمونة المذكورة القبض الشرعي بالحضرة والمعاينة قبضا شرعيا)[57].

وفي عام 1271هـ/1854م اشترى محمد الحسيني بالوكالة عن أخته بيهان من (علي ابن حسن التنبل بن علي البدرية الوكيل الشرعي عن أمه خانم... جميع الدار الكبيرة القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة الواد سفل عقبة الدباغ بداخل حوش غير نافذ يعرف بحوش مراد المشتملة على علوي وسفلي... المحدودة قبلة دار بيد جناب السيد محمد طاهر... الحسيني مفتي القدس الشريف وتمامه دار أبو عيد سابقا... وشرقا الطريق السالك وشمالا كذلك الطريق السالك وفيه باب الحوش... وغربا زقاق الحوش المذكور)[58].

وفي عام 1304هـ/1887م تم تسجيل:

(دفتر يتضمن ضبط ومبيع تركة المرحوم أسعد بن حسن بن علي البدرية من أهالي القدس الشريف المتوفي باليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تاريخه، والمنحصر إرثه الشرعي في زوجته السيدة فطوم بنت المرحوم حسن بن سليمان الفقاعي بحق الثمن، وفي ولديه هما داود وإسحاق الصغيرين الحاصلين لها من فراش زوجها المتوفي أسعد المذكور بحق الباقي بينهما مناصفة انحصارا شرعيا، وذلك بمعرفة... علي ابن حسن التنبل)[59].

**قرية شرفات**

روى لي أحد أبناء عائلة البدرية أن أجدادهم ينتسبون إلى قرية شرفات الواقعة شمال غربي بيت جالا. وقال أن جدتهم تدعى بدرية الهكاري، وكانت قد استقرت في القرية في بداية العهد العثماني، وأنها مدفونة هناك.

---

[57] س ش 303: 112.

[58] س ش 364: 22.

[59] س ش 374: 128.

وأثناء البحث في هذا الاتجاه عثرت على حجة تتعلق بوقف السيفي منجك مؤرخة في عام 894هـ/1489م وتتضمن بندا يشير إلى أنه خصص (قرية شرفات تماما... على شيخ الزاوية بقرية شرفات أحمد البدري ثم على ذريته، وعليهم قراءة القرآن على الواقف وإهداء ثواب ذلك له)[60]. وهذا يدل على أن بدريي قرية شرفات يقيمون فيها منذ عهد المماليك.

**قزموز**

تتكرر في سجلات المحكمة حجج كثيرة تتعلق بعائلة قزموز. وقد يكون لعائلة البدرية علاقة بها، وذلك حسب الحجة التالية الصادرة في عام 1213هـ/1798م والتي تتضمن حصر إرث أحد أبناء العائلة، وجاء في مقدمتها:

(دفتر يتضمن ضبط ومبيع تركة المرحوم السيد محمد البدرية ابن السيد علي قزموز المتوفي بالقدس الشريف والمنحصر إرثه الشرعي في زوجتيه خديجة بنت السيد عيسى أبو اصبيح وعايشة بنت إبراهيم الزمار بحق الثمن سوية بينهما وفي بنتيه القاصرتين عن درجة البلوغ السيدة عايشة والسيدة صفية بحق الثلثان مناصفة بينهما وفي أخته السيدة عايشة بحق الباقي)[61].

لكنني لم أعثر على أي ارتباط آخر بين العائلتين. ولعل ذلك يدفعنا إلى الافتراض بأن اسم (علي قزموز) مركب ولا يشير إلى انتسابه إلى عائلة قزموز. ومما يدعم هذا الافتراض وجود حجج أقدم لعائلة البدرية لم يرد فيها ذكر قزموز.

---

[60] أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، 35.

[61] س ش 280: 55.

**ما تفيده السجلات**

بعد مراجعة سجلات المحكمة القدسية عثرت على أقدم حجة ورد فيها ذكر العائلة، وذلك في عام 1198هـ/1784م حيث (تزوج يوسف آغا بن محمد الجوقدار بمخطوبته السيدة حسب ابنة السيد شحادة البدرية)[62]. وفي عام 1207هـ/1793م توفي زوجها المذكور فتم ضبط تركته في (دفتر يتضمن مبيع متروكات المرحوم يوسف آغا جاويش الشهير بالكوجك المتوفي بعكا والمنحصر إرثه الشرعي في زوجته السيدة حسب بنت المرحوم السيد شحادة البدرية بحق الربع وفي ورثته الغائبين عن القدس الشريف بحق الباقي)[63].

وقد عثرت على حجة مؤرخة في عام 1208هـ/1793م وتشير إلى ارتباط العائلة بمدينة حلب، وجاء فيها: (تزوج السيد محمد نور الله شيخ الحرم بمخطوبته رقية بنت السيد علي التنبل الحلبي... زوّجها أخوها علي بالولاية عليها)[64].

ومما يشير إلى ارتباط آخر بالشام حجة تفيد بأن أحد سادة عائلة العظمة الدمشقية كان وكيلا عن إحدى بنات عائلة البدرية في عقد زواجها، وذلك في عام 1226هـ/1811م حيث:

(تزوج علي ابن الحاج حسن الفقاعي بمخطوبته أمونة بنت شحادة البدرية المرأة الكاملة، أصدقها جملته ماية زلطة، الحال لها خمسين زلطة والباقي بعد الحال وقدره خمسين زلطة مؤجلة لها على الزوج المرقوم لأقرب الأجلين. زوّجها السيد موسى بيك العضمة بالوكالة عنها بشهادة إبراهيم

[62] س ش 264: 122.

[63] س ش 274: 99.

[64] س ش 275: 27.

الفقاعي ومحمد الفقاعي ثبوتا شرعيا، زواجا صحيحا شرعيا مقبولا من الطرفين القبول الشرعي)[65].

وكان موسى بيك المذكور قد تزوج إحدى نساء عائلة البدرية حسب حجة حصر الإرث التي تم ضبطها في عام 1229هـ/1814م، وجاء في مقدمتها:

(دفتر يتضمن ضبط ومبيع تركة المرحوم موسى بيك العضمة بن سعودي الدمشقي المتوفي بالقدس الشريف المنحصر إرثه الشرعي في زوجاته السيدة فطومة بنت الشيخ أحمد جار الله وحسب بنت محمد البدرية وأسماء بنت محمد القصاص بحق الثمن، وفي ولده القاصر علي بحق الباقي)[66].

**الفلح**

في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ظهر لقب آخر للعائلة وهو الفلح. ومن ذلك حجة وردت عام 1266هـ/1849م، وجاء فيها:

(اشترى الشاب الكامل السيد حسين بن السيد إبراهيم الفلح الشهير بالبدرية بماله لنفسه دون مال غيره من كل واحد من السيد الحاج حسين بن المرحوم الحاج سليمان الفقاعي الأصيل عن نفسه والوكيل الشرعي عن والدته صفية بنت المرحوم الحاج حسين الفقاعي [وعن أخواته وبنات أعمامه] ومن والده إبراهيم الفلح المذكور... فباعوه أصالة ووكالة... وذلك جميع الدار الخربة القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة السعدية المشتملة على طبقة علوية وثلاث بيوت سفلية وصهريج ماء ومرتفق، يحدها قبلة دار الحاج إبراهيم الحتو وشرقا دار خربة بيد الشيخ أحمد الديسي وشمالا الطريق وبه الباب

---

[65] س ش 294: 111.

[66] س ش 287: 170.

وغربا دار سكن أولاد بدر زين بجميع حقوق ذلك... بثمن قدره وبيانه خمسماية غرشا أسديا صاغا ميريا ثمنا حالا مقبوضا)[67].

وفي عام 1300هـ/1883م تم تسجيل:

(دفتر يتضمن ضبط ومبيع تركة المرحوم حسين بن إبراهيم الفلح القصاب المتوفي بالقدس الشريف بمحلة باب العامود في اليوم الخامس من شهر صفر الخير سنة ثمانية وتسعين ومايتين وألف والمنحصر إرثه الشرعي في زوجته المرأة بيهان بنت حسن البدرية بحق الثمن، وفي أولاده إبراهيم ويوسف وزينب ورقية وبكرية البالغين وداود الصغير التي [كذا] سنّه عشر سنوات، المولودون من الزوجة الأولى المتوفية قبل زوجها من ثمانية سنين، وهي نسب بنت خليل طوطح، وعايشة الصغيرة التي سنها ثلاث سنوات وفاطمة الصغيرة التي سنها سنتين المتولدون من بيهان الزوجة المرقومة)[68].

## الخلاصة

بناء على ما تقدم نرجح أن تكون عائلة البدرية قد هاجرت من حلب إلى القدس خلال القرن الثاني عشر الهجري. لكننا لا نقطع بعدم وجود صلة بينها وبين القدس قبل ذلك، فقد يكون اسم العائلة قد تبدل من قرن إلى آخر، حيث تكررت هذه الظاهرة لدى كثير من العائلات المقدسية في سجلات المحكمة، بل وقد رأينا اسم عائلة البدرية يتحول إلى الفلح والتنبل خلال قرن واحد. وربما يكون بعض أبنائها قد هاجروا إلى حلب ثم تنقلوا ما بين المدينتين. وعليه فإن القطع بأصول هذه العائلة يتطلب مزيدا من البحث والتقصي.

[67] س ش 332: 45.

[68] س ش 370: 107.

## حجج خليلية في سجلات المحكمة القدسية

علاوة على طول الفترة الزمنية التي تغطيها سجلات المحكمة القدسية فإنها تضم أيضا عددا لا يستهان به من القضايا المتعلقة بمدن وقرى فلسطينية أخرى، حيث كانت سلطات قاضي القدس الشريف تمتد إلى مناطق أخرى في بعض العصور. كما أن بعض حجج المناطق الأخرى كانت تدون في محكمة القدس بسبب وجود المعنيين فيها على سبيل الإقامة الدائمة أو المؤقتة، فكانوا يدونون قضاياهم في المحكمة الأقرب وهي القدسية.

وفيما يتعلق بتاريخ وتراث مدينة الخليل فلا شك أن سجلات المحكمة الخليلية تعد مصدرا أوليا هاما، لكنها لا تغطي سوى في فترة محدودة تبدأ في عام 1283هـ/1866م فحسب، حيث فقدت السجلات السابقة على ذلك التاريخ. فعندما يصل الباحث الخليلي عند ذلك التاريخ رجوعا، فلن تسعفه فيما قبله سوى السجلات القدسية، عسى أن يجد ضالته فيما تم تدوينه على صفحاتها.

وسنعرض في هذا الفصل نماذج متفرقة من الحجج الخليلية التي وردت في سجلات محكمة القدس، والتي سيجد كثير من الباحثين والمعنيين بالتراث الخليلي فيها مادة جديدة قد تحفزهم على الرجوع إلى ذلك الكم الواسع والغني بالأحداث والوقائع التي مرت بها مدينة الخليل والتي ما زالت مسطورة حتى يومنا هذا. وسنحذف بعض الحشو والعبارات التي لا تفيد القارئ.

### حجج تتعلق بالوظائف

فيما يلي بعض الحجج التي تشير إلى سلطة قاضي القدس المتعلقة بالتعيينات في الوظائف الرسمية في مدينة الخليل:

في عام 1018هـ/1608م:

(حضر لدى المولى... حسام الدين أفندي الذي يوقع على الكتاب بتوقيعه الشريف... الشيخ محمود ابن مولانا... الشيخ أحمد بن عمارة الخليلي، وأبرز من يده مكتوبا شريفا من حضرة الوزير الأفخم والمشير الأعظم صاحب الهمم العلية والمبرات المتزايدة المتكاثرة محمد باشا بإيالة مصر القاهرة، يسّر الله تعالى مطالبه ونجّح مقاصده ومآربه، خطابا لحضرة... مولانا قاضي القدس الشريف دام له الفضل والتشريف، من خلاصة مضمونه المنيف أنا نصبنا وأنبنا مناب أنفسنا في مباشرة الخدمة الفراشية بداخل حجرة سيدنا الخليل عليه صلوات الملك الجليل مولانا العلامة العمدة الفهامة الشيخ أحمد المزبور وقبض معلومها المعين لها مع الصرا [كذا] الواردة من مدينة قسطنطينية المحمية، نصبا وإقامة صحيحين شرعيين مقبولين من الشيخ أحمد المزبور لنفسه قبولا شرعيا. وطلب الشيخ محمود المزبور من مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، أن يأذن له في مباشرة الخدمة المزبورة وقبض معلومها المرقوم حسبما وكّله وأنابه والده المزبور في ذلك. فعند ذلك استخار الله تعالى كثيرا واتخذه هاديا ونصيرا، ونصب مولانا الشيخ محمود المزبور نائبا في ذلك)[69].

وفي عام 1032هـ/1623م:

(قرر مولانا وسيدنا... الشيخ محمد أفندي ابن السيد محمود أفندي... حامل هذا الكتاب وناقله فخر المدرسين عمدة المحققين زبدة المدققين مولانا الشيخ شمس الدين ابن الشيخ سعد الدين الحموي[70] سبط بني جماعة في ربع وظيفة بوابة تربة سيدنا يعقوب، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، بما لذلك من المعلوم وقدره في كل يوم ربع عثماني، عوضا عن متصرفها

[69] س ش 89: 190.

[70] وهو أحد أجداد عائلة الخطيب المقدسية المعاصرة.

المرحوم الشيخ محمود ابن الشيخ أحمد من أولاد عمارة الخليلي بحكم وفاته)[71].

**حجج تتعلق بالفتن**

تحتوي سجلات القدس على العديد من الحجج التي تتعلق بالفتن التي كانت تقع في مدينة الخليل وما حولها من القرى. فقد كان التحقيق فيها ثم عقد الصلح بين أطراف النزاع يجري تحت إشراف الوالي العثماني وغيره من كبار المسؤولين في محافظة القدس. وإليك بعضا من الحجج التي استخرجتها من السجلات بهذا الخصوص:

في عام 1048هـ/1638م صدرت الحجة التالية:

(لما كان صدر سابقا على تاريخه أدناه بين طائفة بني دار وطائفة المجاورين، كلتا الطائفتين من أهالي الخليل، على نبينا وعلى سائر الأنبياء صلوات الملك الجليل، مخاصمة وجدال ومنازعة وقتال، واتصل خبر ذلك إلى مسامع... حضرة محمد بك ميرلواء القدس الشريف دام له العز والتشريف، وقصد دفع القتال بين الطائفتين المزبورتين... فأحضر... جماعة من الطائفتين المزبورتين إلى مجلس الشرع الشريف لصدور الصلح والإصلاح بين الطائفتين المزبورتين، منهم القاضي محمد بن القاضي بدر شيخ بني دار والمتكلم عليهم والشيخ خليل بن الشيخ حسين والشيخ صالح التميمي، فالقاضي محمد المزبور بالأصالة عن نفسه وبالوكالة عن كل واحد من صلاح بن عبد الملك وغرس الدين القصراوي ونور بن عبد الرحمن وأبي السعود بن عباس ومحمد عُرف بأبي سلطان ويحيى الصاحب وفرحات بن محمد بركات وعبد العزيز بن عبيد، الثابت وكالته عنهم فيما يأتي بيانه من المكاتبة والإشهاد على الرسم المعتاد، بشهادة كل واحد من محمد بن

---

[71] س ش 105: 750.

شرف والشيخ طعمة بن غرس الدين ثبوتا شرعيا، الجميع من طائفة بني دار، والشيخ محمود بن الشيخ أحمد شيخ طائفة المجاورين المزبورة والمتكلم عليهم وأحمد بن بدر الدين المغربي والحاج أحمد ابن خليل حمودة ومحمود بن إبراهيم الدويك وخليل بن أبي سنينة وداود بن عبد اللطيف، فالشيخ محمود المزبور بالأصالة عن نفسه وبالوكالة عن كل واحد من حسين كشكول وأحمد بن عبد السميع ومحمد بن حصوة، وأحمد بن بدر المزبور بالأصالة عن نفسه وبالوكالة عن أخيه محمد... وصدر بين الجماعة المزبورين بالأصالة والوكالة على أن طائفة بني دار المزبورة فريق أول وطائفة المجاورين فريق ثان، وأن كل فريق من الفريقين المزبورين لم يبق يستحق ولا يستوجب قبل الفريق الآخر حقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا ولا مخاصمة ولا منازعة ولا مشاحنة ولا وجها من الوجوه الشرعية، ما عدا الديات الصادرة بين الطائفتين المزبورتين والمقسطة، فإن حق ذلك باق لصاحبه، وأنه إذا صدر من أحد الطائفتين المزبورتين أمر مخالف للشرع الشريف ومنعوا الحاكم من إجراء ما يجب على فاعل ذلك فعليهم العهدة الصادرة في ذلك والقيام بها. تراضوا على ذلك كذلك، وثبت مضمون ذلك لدى مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه خلد الله النعم عليه ثبوتا شرعيا)[72].

وفي عام 1057هـ/1647م:

(حضر الحاج محمد المغربي الوكيل عن طائفة المجاورين بمدينة السيد الخليل، الثابت وكالته بشهادة كل واحد من شمس الدين البكري والشيخ إسمعيل المرواني والشيخ خليل النقيب وذكر بالوكالة ؟ أن طائفة المجاورين أرسلوه ليصلح بينهم وبين طائفة بني دار وأقاموه مقام أنفسهم ورضوا بقوله على أن ديات قتلا [كذا] بني دار تكون على طائفة المجاورين، وأن جميع ما

---

[72] س ش 127: 446.

ضاع لطائفة بني دار من الأسباب تدفع إليهم والذي لم يوجد يدفعون قيمته سواء أخذ ذلك لطائفة المجاورين أو الفلاحين أو العرب)[73].

وفي عام 1058هـ/1648م وردت الحجة التالية:

(سبب تحرير الحروف هو أنه بالمجلس الشرعي المحرر المرعي أجلّه الله تعالى، بين [يدي] مولانا وسيدنا العالم الكبير الشهير محرر دقائق التفسير مقرر قواعده أحسن تقرير أقضى قضاة الإسلام أولى ولاة الأنام معدن العلم والفضل والكلام وراث علوم الأنبياء الكرام صدر أساطين العلماء الأعلام سند الموالي العظام ماضي النقض والإبرام مميز الحلال عن الحرام العالم العامل الفاضل الكامل الفاصل بين الحق والباطل الحاكم الشرعي المولى الولي مولانا عبد الكريم أفندي الموقع خطه الكريم أعلاه، حضر دام فضله وعلاه بمحضر فخر الأكابر والأعيان حاوي المفاخر والعرفان عمدة أولي الفخر والشان علي آغا متسلم مدينة القدس الشريف حالا، لما حضر كل واحد من الحاج سليمان ابن الحاج بدر الدين المعروف بالمغربي وحسن ابن الحاج أحمد حمودة، كلاهما من أكابر المجاورين بمدينة سيدنا الخليل على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء صلوات الملك الجليل، بالأصالة عن أنفسهما وبالوكالة الشرعية عن قبل كل واحد من الحاج محمد المغربي ونور الدين ابن علي الرقعاوي وإبراهيم بن إبراهيم أبي مرخية وأحمد ابن عبد السميع والحاج محمود ابن إبراهيم الدويك وكريم الدين ابن يوسف قاسم وسليمان ابن محمد الرازم والحاج عبد الرحمن ابن إبراهيم النتشة والحاج جعفر بن رمضان المعروف بابن الجعبة والحاج أحمد بن سعيد والحاج صالح بن بطرخ؟ وحسن بن محمد القيسي والحاج محمد بن عبد اللطيف ومحمد الشهير بأبي علي المشرقي والشيخ علي ابن أبي السعود والشيخ خليل مسودة والشيخ خليل بن شمس الدين البكري والشيخ إسمعيل ابن الشيخ إبراهيم المرواني

---

[73] س ش 140: 8.

والشيخ محمد إسماعيل أبي الوفا وعبد القادر بن صالح عسيلة ومحمد الكركي والشيخ علي ابن عطايا والسيد شرف الدين ابن شرف ومحمد بن علي كشكول الشهير بعوجان وسليمان بن إسماعيل المعروف بابن سياج، الجميع من أكابر طائفة المجاورين بالمدينة المزبورة، الثابت وكالتهما عن الجماعة المزبورين فيما يأتي بيانه فيه من المكاتبة والإشهاد على الرسم المعتاد والصلح والإصلاح، بشهادة كل واحد من الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ محمد المزواني وفخر أقرانه صالح ابن إبراهيم البيطار البكوباشي بقلعة مدينة سيدنا الخليل، ثبوتا شرعيا بحضور كل واحد من فخر الخطباء الشيخ شاهين ابن الشيخ جمال الدين المزبور وفخر الفاضلين الشيخ خليل ابن الشيخ حسين والحاج نجم الدين ابن القاضي نور الدين وكمال بن القاضي عبد الباسط والشيخ محمد بن عبد الوهاب العصراوي والشيخ عبد العزيز بن علاء الدين عبيد وسليمان ابن محمد بن بركات وحجازي ابن نمر الصاحب ومحيي الدين ابن يحيى وحسن ابن أبي السعود بن عباس وحسن بن القاضي نور الدين وعلي بن داود القاضي والحاج إبراهيم بن عبد النبي جلال وإبراهيم بن عمر أبي حبل وصلاح الدين ابن صالح عبيد وصالح بن شهاب الدين بن عبد الملك، الجميع من أكابر طائفة التميمية الدارية بالمدينة المزبورة والمتكلمون على بني دار، وتنازعوا فيما كان صدر بين طائفة المجاورين بالمدينة المزبورة وبين طائفة التميمية من بني دار من نهب أموال وأسباب طائفة بني دار وهدم دورهم وطال النزاع بينهم في ذلك، فاصطلحوا على أن ما كان وقع بين الطائفتين المزبورتين من خصوص بيان القتلا سابقا على تاريخه أدناه قبلوا به وأبقي الأمر في ذلك بموجب الحجة السابقة الصادرة لدى صدر الموالي روح الله أفندي قاضي القدس الشريف سابقا، وتبقى بموجب الحجة المزبورة لطائفة بني دار المزبورين على طائفة المجاورين دية واحدة، وأن ما وقع من النهب لطائفة بني دار وهدم دورهم المترتب عليها الدعاوى

الشرعية والأيمان والمطالبات المرعية جعل الحاج سليمان وسعد المزبوران بالأصالة عن أنفسهما والوكالة عن المزبورين عليهما وعلى الموكلين المزبورين لطائفة بني دار المزبورين ثلاثة آلاف غرش أسدي منها ألف غرش حالا وبقية ذلك من غير تكرار ألفا غرش، مقسط ذلك على طائفة المجاورين المزبورين على أربعة أقساط في مدة أربع سنين تمضي من غرة محرم الحرام لسنة تسع وخمسين وألف، وأن ما هو موجود وقائم من المواشي والخيل والبغال والحمير يرد لبني دار وعلى طائفة المجاورين المزبورين عطيتها؟ ودفعها لأربابها من طائفة بني دار، وأن عدة الدبس التي هي ملك أحمد القاضي يحضرونها طائفة المجاورين له، وتوافقوا على ذلك وتراضوا بذلك واصطلحوا على ذلك وقبل كل منهم بذلك على ذلك كذلك من غير إكراه لكل منهم ولا إجبار ولا تهديد ولا إنذار، وثبت مضمون ذلك لدى مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه خلد الله النعم عليه ثبوتا شرعيا)[74].

وفي عام 1082هـ/1672م صدرت حجة مشابهة لما سبق حول فتنة وقعت بين طوائف الأكراد والمغاربة والتميمية في مدينة الخليل.

## حجج تتعلق بالمعاملات والأحوال الشخصية

في عام 983هـ/1576م صدرت الحجة التالية:

(بمجلس الشريعة الغراء بمحروسة القدس الشريف أجله الله تعالى، لدى مولانا... الحاكم الحنفي... بمحضر المندوب في ذلك من جانب... علي بك ميرلوا القدس الشريف... إدعى الخوجه جمال الدين بن المرحوم الشيخ سعد الدين... على الشيخ أبي الصفا ابن الشيخ أمين الدين الأنصاري والشيخ شهاب الدين الموقت والشيخ عبد القادر المصري والشيخ محمد نور الدين، الجميع من السادة الخدام بحضرة سيدنا خليل الرحمن عليه السلام، وقرر في

---

[74] س ش 140: 246.

تقرير دعواه أنهم سابقا ضمنوا عنده هم والشيخ محمد بن قاسم الإمام ومحمد جلبي ابن المرحوم علي آغا نائب الناظر بحرم سيدنا الخليل عليه السلام... مولانا محمود جلبي سرولي جلبي كاتب أوقاف الحرمين الشريفين في مبلغ قدره مايتا سلطاني ذهب وعشرون سلطانيا مما له في ذمته من الدَين الشرعي، وقدره ثلاث ماية سلطاني ذهب، اللازم ذلك ذمته له ثمنا عن خمسة عشر قنطارا من الصابون القدسي بوزن مرسلا ابتاعه منه سابقا وتسلمه... وسأل سؤالهم عن ذلك، فأجابوا بالاعتراف، وألزم عليهم بدفع المبلغ المزبور، وحكم عليهم بأدائه للمدعي)[75].

وفي عام 1034هـ/1625م:

(اشترى إبراهيم بن عبد الكريم المشهور بابن أبي سلطان الخليلي بماله لنفسه دون غيره من الرجل المدعو يحيى بن عبد الكريم الخليلي الوكيل عن قبل الحرمة المدعوة صالحة بنت ديب الخليلي الثابت وكالته عنها... بتعريف أخيها شقيقها علي... وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها الثلث... من جميع الغراس العنب والتين غير ذلك القائم أصوله بالقسمة بأرض واد التفاح ظاهر مدينة الخليل عليه السلام، ويعرف بقصر أبي سلطان شركة عم الموكلة محمد... ويحد القسمة المزبورة قبلة غراس محمد... وشرقا كذلك وشمالا غراس بيد خير الدين بن عيد السمين وغربا بيد محمد... بثمن قدره اثنا عشر غرشا فضية أسدية)[76].

وفي عام 1058هـ/1648م صدرت حجة بيع دار تقع في محلة المشارقة في مدينة الخليل بين أخوين من عائلة كسكسونة، وحجة أخرى تتعلق ببيع دار تقع بخط المدرسة في محلة الشعابنة في الخليل.

وفي عام 1246هـ/1831م:

---

[75] س ش 57.

[76] س ش 110: 130.

(ادعى الحاج أبو سيف بن عبد الرحمن الهواري على خليل بن طه أبو الفيلات الخليلي الحاضر معه بالمجلس الشرعي قائلا في تقرير دعواه عليه أن الفرس الخضراء تباعة[77] خليل المدعى عليه في مرعاها مع حصان لي ضربته في رجله فعطبته، وبعدها عالجته فبعته، وفي عرف أرباب الخيل يضمن قيمته الحصان، وأطلب منه بالوجه الشرعي. سئل المدعى عليه، أجاب بأن الفرس كانت في المرعى في مدينة السيد الخليل ولا أدري هي ضربت الحصان أم لا. وطلب كل منهما الحكم الشرعي في ذلك، فعرف مولانا المدعي المذكور: حيث أن الدابتين المذكورتين في المرعى ولو عطب الحصان فلا ضمان على صاحب الفرس، ومنعه مولانا من معارضة خليل المذكور المدعى عليه منعا شرعيا)[78].

وفي عام 1259هـ/1843م صدرت حجة تتضمن حصر إرث:

(المرحومة الحرمة بهجة بنت المرحوم داود الرقعاوي المتوفية بمدينة سيدنا الخليل على نبينا وعليه صلاة الملك الجليل، المنحصر إرثها الشرعي في زوجها السيد سليمان البرادعي بحق النصف وفي ابن عمها السيد عمر الرقعاوي بحق الباقي انحصارا شرعيا، وذلك بمعرفة وحضور السيد عمر زين الوكيل الشرعي عن قبل خاله السيد سليمان الزوج المرقوم)[79].

---

[77] لعل المقصود من تباعة: الجارية في ملك.

[78] س ش 315: 130.

[79] س ش 327: 310.

# حقوق المستهلكين والمنتجين

يعتقد كثير من المثقفين المقدسيين أن حقوق الرعايا لم يكن لها اعتبار في النظام القضائي العثماني، فهم يجزمون بأنه كان تعسفيا ومتخلفا وارتجاليا. لكن مراجعة سجلات محكمة القدس تقدم لنا صورة مغايرة تماما، حيث يبين كثير من الحجج مدى اهتمام السلطات الحاكمة آنذاك بالحفاظ على العدالة والأمن بين كافة المواطنين والحيلولة دون تعدي بعضهم على بعض.

وتشير عشرات الحجج إلى أن الحاكم الشرعي، أي القاضي، كان يعين نقيبا أو شيخا لكل مهنة يتحدث باسم أعضائها ويعالج مشاكلهم ويمثلهم أمام القانون. وكان القاضي لا يتهاون أبدا في مسائل الغش التي كان بعض الرعايا يقعون ضحية لها.

ونضرب مثالا على ذلك شكوى قُدمت ضد القِربية، وهم صانعو القِرب التي كانت من أهم أدوات نقل المياه وغيرها من السوائل، حيث لم تستخدم في تلك العصور أوان زجاجية أو بلاستيكية أو معدنية لذلك الغرض.

فقد اشتكى المستهلكون في القدس من أن بعض القرب يسيل منها الماء بسبب عدم خياطتها بدقة وإتقان. فتوجه عدد منهم في أحد أيام ربيع الأول 1069هـ/ كانون الأول 1658م، إلى قاضي القدس لتقديم شكوى ضد نقابة القربية والتحقيق معهم بهذا الخصوص. وكان مما دونه لنا كاتب المحكمة:

(حضر لدى مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه جم غفير وخلق كثير من المسلمين الأخيار المتقين الأبرار، وذكروا بأن جماعة القربية الذين يصنعون القرب ويدبغونها ويخيطونها، يُظهر دباغها غشا ويخيطونها خياطة غير مضبوطة ومتقنة، بحيث إذا وضع الماء بها لا تمسكه ويظهر منها ومن سائر جوانبها لعدم إتقان الدباغة والخياطة، وإن في ذلك غشا وضررا عاما على المسلمين وعلى حجاجهم. وطلبوا من مولانا الحاكم الشرعي المومى إليه

النظر في هذه القضية والتحرير عليها، وإحضار جماعة الدباغين للقرب والخياطين لها وسؤالهم عن ذلك والتحرير على ما هنالك. أجابهم إلى سؤالهم، وأحضر كل واحد من... ومصطفى بن الحاج خليل شيخ القربية الآن بالقدس الشريف). ورغم أن القربية أنكروا عدم الالتزام بأصول صناعتهم، فقد (نبّه الحاكم الشرعي على الجماعة المزبورين أعلاه تنبيها محكما مؤكدا بأنهم من الآن فما بعد إذا اشتروا جلودا لعمل القرب يكون جلودا تركمانية أو بلدية... وأن تدبغ دباغا طيبا ويخيطونها خياطة مضبوطة متقنة بحيث أنه لا يسيل الماء منها)[80].

وقد نقل العسلي في وثائقه[81] حجة مؤرخة في رجب 1106هـ/1695م تفيد بأن أعضاء طائفة اللحامين لا يجوز لهم ممارسة مهنة الدباغة. وحدث أن لحاما تعاطى (قلع صوف الخرفان) فتقدم الدباغون بشكوى إلى القاضي لمنعه من ممارسة الدباغة والتنبيه على غيره من اللحامين أيضا. ومن مبررات ذلك أن الدباغين يدفعون ضرائب مقابل ممارسة تلك المهنة، فمن الظلم أن يزاحمهم فيها من لا يدفعون ضرائب عليها.

ونقل حجة أخرى[82] مؤرخة في شوال 1198هـ/1784م تفيد بأن محمد ابن عبد الله العين كارمي ادعى على الجراح اليهودي سلمون، حيث قال أن أخاه صالح بن عبد الله كان مريضا في خصيته، فعالجه اليهودي لكنه توفي. فأخذ القاضي إفادات غيره من الجراحين وعرض الأمر على الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسيني فأفتى بتبرئة الجراح اليهودي. وقد وردت فتواه في هذه القضية في مخطوط الفتاوى الحسنية الحسينية أيضا[83].

---

[80] س ش 156: 178.

[81] وثائق مقدسية تاريخية، 3: 51-52، عن س ش 196: 360.

[82] وثائق مقدسية تاريخية، 2: 288، عن س ش 265: 34.

[83] مخطوط رقم 231م، ص 475أ في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

## الصرتان الرومية والمصرية

حظيت بيت المقدس منذ فجر الاسلام بمكانة خاصة في قلوب المؤمنين. ورغم إحجام الخلفاء عن اتخاذها عاصمة لدولتهم فقد أبدوا عناية خاصة بتطويرها ودعمها على مختلف الأصعدة. وإذا كان الأمويون قد عمروا منشآت ضخمة في منطقة المسجد الأقصى وجنوبيها، فإنهم قد سنوا أيضا سنة اتبعتها غالبية الدول التي تولت الحكم من بعدهم، ألا وهي إرسال هبات مالية إلى سكان القدس وخاصة لموظفي المسجد الأقصى.

وقد تواصل ذلك الدعم في العهد العثماني، حيث كانت ترد إلى المدينة دفعتان رئيسيتان سنويتان وهما الصرة الرومية[84] والصرة المصرية. وكان توزيع الصرتين يخضع لنظام محدد تحت إشراف مسؤولين مختصين. ففي العاصمة العثمانية تم إنشاء دائرة خاصة يترأسها مسؤول كبير يدعى أمين خاص أو أمين الصرة[85] ويدير عددا من الموظفين الذين يشرفون على سجلاتها وحصصها السنوية. وكانت الحصص توزع على جماعات معينة كالمؤذنين والمقرئين أو على السكان حسب أحياء المدينة. وكانت قوائم المنتفعين تجدد كل عام حسب التغيرات التي تطرأ عليها من حذف وإضافة وتعديل حصص.

وكانت تلك الحصص تعد ملكا شخصيا لا يزول إلا بالوفاة أو البيع أو التنازل. وكانت أيضا تورث من جيل إلى جيل. وإذا توفي مالك الحصة ولم يكن له وريث فيحق للقاضي منح الحصة لمن يراه أهلا لذلك.

---

[84] يقصد بالرومية تلك التي كانت ترد من الأستانة، حيث كان المسلمون يطلقون على الأناضول والبلقان: بلاد الروم، منذ العصر الاسلامي الأول، واستمرت تلك التسمية حتى بعد الفتح العثماني لها. بل إن أهل الشام ومصر أطلقوا لقب الروم على العثمانيين أنفسهم. فالمقصود من لفظ الرومي في سجلات المحاكم العثمانية الانتماء إلى منطقة الأناضول أو البلقان.

[85] وثائق مقدسية تاريخية، 2: 275.

وبالإضافة إلى الصرة الرومية الرسمية كانت ترد صرر أخرى من الأستانة لدعم المقدسيين. ومنها صرة عباس باشا المخصصة للإنفاق على مصحفين كانا في المسجد الأقصى وعلى شراء زيت لإنارته. وكذلك صرتا باش قادين وهي محسنة تركية، إحداهما كانت مخصصة للخطباء والأئمة في المسجد الأقصى والأخرى للمدرسين والوعاظ والمقرئين[86].

وكان كامل العسلي قد نشر عدة حجج تتعلق بالصرر الرومية والمصرية ضمن وثائقه المقدسية. وننشر في هذا الفصل بعضا من الحجج التي استخرجتها من سجلات المحكمة القدسية بهدف إلقاء مزيد من الأضواء على الدعم المالي للمقدسيين في قرون مضت وعصور أدبرت.

وتشير هذه الحجج إلى عدة حقائق، منها أن موظفي الحرم الشريف كانوا يحصلون على هبة من الصرة الرومية وكمية من الحبوب علاوة على المرتب الرسمي. وتؤكد وجود غرفة في الحرم الشريف كانت مخصصة لتخزين زيت الزيتون. وتفيد أيضا أن موظف الحرم كان من حقه التنازل عن وظيفته لمن يشاء، كما في مختلف الوظائف الرسمية.

وتؤكد إحدى الحجج المدرجة على أن قسما ثابتا من الصرة كان مخصصا لنساء القدس. ويرشدنا ذلك بالإضافة إلى الحجة التي وردت في فصل عائلة مطاوع حول تعيين امرأة مقدسية في منصب (متولية شرعية) على وقف جدها، يرشدنا إلى أن حقوق المرأة في العهد العثماني الأول كانت أفضل بكثير مما آلت إليه الأمور بعد صدور التنظيمات التي عرفت بالكلخانه[87].

## موظفو المسجد الأقصى

[86] وثائق مقدسية تاريخية، 3: 59. وردت تلك الصرر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة.

[87] فرمان (إصلاحات) أصدره السلطان عبد المجيد عام 1255هـ/1839م تحت ضغط الدول الأوروبية مقابل إجبار إبراهيم باشا على الانسحاب من الشام.

في عام 1055هـ/1645م:

(قرر مولانا وسيدنا... محمد أفندي... حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي فواز ابن المعلم حسن المشهور نسبه المبارك بابن فواز في وظيفة بوابة حاصل الزيت الكائن بالمسجد الأقصى الشريف بما لذلك من المعلوم وقدره في كل يوم عثمانيان[88] وفي كل سنة غرارة[89] حنطة مع ما يتبع ذلك من الصدقات المعتادة والصرة الرومية، عوضا عن خاله الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد السمين[90] بحكم فراغه له عن الوظيفة في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه. وأذن له مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه خلد الله النعم عليه بمباشرة الوظيفة المزبورة وبقبض معلومها المعين أعلاه)[91].

وفي عام 1061هـ/1651م:

(قرر مولانا وسيدنا... المولى إبراهيم أفندي... حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي الرجل المدعو فواز بن حسن علي فواز في نصف وظيفة الجاويشية[92] بالمسجد الأقصى الشريف بما لذلك من المعلوم وقدره في كل يوم عثماني، مع ما يتبع ذلك من الصرة الرومية والصدقات المعتادة على جاري العادة، عوضا عن الشيخ عبد القادر ابن المرحوم الشيخ محمد السمين بحكم فراغه له عن ذلك في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه)[93].

وفي عام 1061هـ/1651م:

---

88 وحدة نقد قليلة القيمة كانت متداولة في القدس في القرن الحادي عشر للهجرة.

89 مكيال للحبوب يتسع لحوالي 600 كغم من القمح.

90 عائلة مقدسية انقرضت في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة.

91 س ش 135: 505.

92 قسم من الجيش الانكشاري العثماني يماثل ما يسمى بالشرطة العسكرية في العصر الحاضر.

93 س ش 145: 203.

(قرر مولانا وسيدنا... المولى شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي... حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي حسن بن المرحوم علي بن فواز في ثلاثة سلطانية من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف المحمية من جماعة الصلحاء، عوضا عن الشيخ عبد القادر بن المرحوم الشيخ محمد السمين بحكم فراغه له عن ذلك في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه) [94].

**نساء القدس**

في عام 1064هـ/1654م:

(قرر مولانا وسيدنا المولى محمد أفندي الموقع خطه الكريم أعلاه، دام فضله وعُلاه، حاملات هذا الكتاب الشرعي وناقلات ذا الخطاب المرعي عايشة ونور وحبيبة بنات حسن فواز في أربعة سلطانية ونصف سلطاني من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف، ما هو من جماعة الصلحاء سلطانيان، وما هو من حجرات العمارة سلطاني، وما هو من جماعة نساء محلة باب حطة نصف سلطاني، وما هو من جماعة نساء مأمونية[95] وبسطامية[96] سلطاني، عوضا عن والدتهم صالحة بنت المرحوم الشيخ محمد السمين بحكم وفاتها) [97].

---

[94] س ش 145: 321.

[95] المدرسة المأمونية أو الميمونية: تقع داخل باب الساهرة على بعد 200 متر. وقفها فارس الدين ميمون القصري خازندار صلاح الدين الأيوبي عام 593هـ/1196م. درست في القرن الثالث عشر الهجري، ودخلت تحت تصرف آل العسلي. حولها الأتراك إلى مدرسة حكومية عام 1309هـ/1892م. يُعرف ما تبقى منها حاليا بالمدرسة القادسية.

[96] زاوية تقع في الصف القبلي من عقبة البسطامي في حارة السعدية. وقفها عبد الله بن خليل البسطامي في القرن الثامن الهجري. لها مسجد وضريح.

[97] س ش 149: 28.

وفي عام 1071هـ/1660م:

(قرر مولانا وسيدنا العالم الكبير الشهير... إبراهيم أفندي بن خرم الموقع خطه الكريم بأعالي نظيره دامت فضائله ومعاليه لحاملات هذا الكتاب الشرعي وناقلات ذا الخطاب، وهن عايشة ونور وحبيبة بنات النقيب حسن النشاشيبي، في خمسة سلطاني ذهبا من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف السنية من جماعة الصلحاء، فما هو لعايشة من ذلك ثلاثة سلطانية وما هو لنور وحبيبة سوية بينهما سلطانيان، عوضا عن الزيني[98] محموذ ابن المرحوم الشيخ محمد السمين بحكم فراغه لهن عن ذلك في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه) [99].

وفي عام 1153هـ/1740م:

(قرر مولانا وسيدنا مفخر قضاة الاسلام... حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المعتبر المرعي مصطفى ابن الحاج زين[100] الخضري في ثلاثة سلطانية من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية إلى القدس الشريف السنية؛ سلطانيتان من جماعت كتاب وسلطاني من جماعة هنود، عوضا عن والدته فاطمة ابنة الشيخ خليل نوح بحكم وفاتها وانحلال ذلك عنها. وأذن مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي لمصطفى المرقوم بقبض وتناول الثلاثة سلطانية من الصرة المزبورة تقريرا وإذنا صحيحا شرعيا. ثم حضر الشيخ محمد ابن الشيخ خليل نوح وصدّق على صحة ذلك التصديق الشرعي) [101].

وفي عام 1209هـ/1795م:

---

[98] أي زين الدين. اعتاد الناس في العهد العثماني على مثل هذا الاختصار، ومنه سعدي أي سعد الدين وبهائي أي بهاء الدين.

[99] س ش 157: 424.

[100] جد عائلة زين المقدسية المعاصرة.

[101] س ش 231: 36.

قرر الحاكم الشرعي (عبد الرحمن بن عبد الرحيم البشوتي في عُشر سلطاني ذهبا من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من الأستانة لأهالي القدس من جماعة باب العمود، وفي عُشر سلطاني ذهبا من الصرة المزبورة من جماعة مجاورين درقدس، عوضا عن متصرفة ذلك بنت أخيه رقية بحكم فراغ وكيلها محمد زين الخضري الثابت وكالته عنها في هذا الفراغ وقبض العوض، بشهادة وتعريف زوجها أحمد طوطح وإبراهيم قويدر، ثبوتا وتعريفا شرعيا مؤرخ في محرم الحرام سنة 1187، شركة أخ الفارغة وعمها المقرر بحق بقية السلطانيتان المرقومان، وأذن مولانا لعبد الرحمن بقبض وتناول عُشري السلطاني ذهبا في كل سنة من الصرة وبالاستنابة عند الحاجة تقريرا وإذنا صحيحين شرعيين. وقد تعوض الفارغ الوكيل المرقوم لموكلته رقية من يد المقرر نظير فراغه له عن ذلك مبلغا قدره سبعة زلطة عَوضا حالا مقبوضا بيد الفارغ الوكيل لموكلته بالحضرة والمعاينة القبض الشرعي)[102].

### حجج أخرى متفرقة

في عام 1067هـ/1657م:

قرر الحاكم الشرعي (لحاملة هذا الكتاب الشرعي وناقلة ذا الخطاب المرعي آمنة بنت فخر أمثاله شاهين الشهير بالشقطي سلطاني ذهبا من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف المحمية من جماعة محلة الشرف، عوضا عن نور العين بنت المرحوم مصطفى الخياط بحكم فراغها لها عن ذلك... وعرّف بالفارغة زوجها عبيد بن مصطفى النشاشيبي)[103].

وفي عام 1171هـ/1757م:

[102] س ش 276: 126.

[103] س ش 152: 260.

قرر الحاكم الشرعي (حامل هذا الكتاب الشرعي الشيخ بركات[104] الدمشقي في نصف سلطاني ذهبا من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى أهالي القدس الشريف السنية من جماعت مؤذنين حرم شريف... عوضا عن حسن بيك ابن عبد المعطي العسلي بحكم فراغه له عن ذلك)[105].

وفي عام 1191هـ/1777م:

قرر الحاكم الشرعي (أولاد السيد أحمد بركات الرفاعي في نصف سلطاني ذهبا من الصرة الواردة في كل سنة من الأستانة العلية من جماعت مجاورين، وفي نصف سلطاني ذهبا من الصرة المرقومة من جماعت باب حطة، عوضا عن متصرف ذلك سابقا السيد أمين فتح الدين بحكم فراغه لهم عن ذلك، الآيل إليه ذلك بموجب دفتر الكتاب. وأذن مولانا الحاكم الشرعي لأولاد السيد أحمد بقبض ذلك في كل سنة وبالاستنابة عند الحاجة. وتعوض السيد أمين نظير ذلك عشرين زلطة صرفها في تجهيز وتكفين السيد خليل فتح الدين)[106].

---

[104] جد عائلة بركات الدمشقية الأصل التي تنتمي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. انقرضت في القدس في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ولا صلة لها بعائلة بركات المعاصرة.

[105] س ش 241: 55.

[106] س ش 259: 23.

## مقبرة محمد المنسي

تقع هذه المقبرة الصغيرة خارج باب النبي داود. وقد اعتاد آل الدجاني وبعض سكان الحي المجاور دفن موتاهم من الأطفال فيها حتى نهاية عهد الاحتلال البريطاني. لكن كتب التاريخ لم تتطرق لها أو للشيخ محمد المنسي إلا نادرا. فقد ذكره عبد الغني النابلسي في الحضرة الأنسية فقال: (ثم مررنا في الطريق على القبر المشهور بالشيخ المنسي ويقال أنه صحابي... وقيل إنما سمي بالمنسي لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم في يوم الفتح نسيته مقتولا في ذلك المكان حتى شُعر به فدفنه بعض الإخوان) ، كما ذكره النابلسي في كتابه الحقيقة والمجاز[107].

وذكره أيضا عارف العارف فقال أن الشيخ المذكور: (صحابي وإنه الجد الأول للعائلة الدجانية[108]. ذكره الحنبلي[109] في تاريخه فقال إنه اشترك في فتح بيت المقدس[110] وتوفي فيها. ودفن في محلة بالقرب من خليفة الله سيدنا داود عليه السلام. كان أمير الأمراء موسى باشا أراد أن يعمل عليه قبة. وعين من حفر الحدود وجور الجور ورمى الحجارة. عندئذ قام النصارى ومنعوه. ولما جاء خلفه مصطفى باشا راح أهل القدس يرجونه صدقة عنه وعن ولده أن يجعل عليه قبة. فصدر أمره إلى معمار باشي القدس الشريف بأن يعمر به قبة من حجارة قصر النقيب)[111].

وكان العارف قد استقى ما ورد من حجة شرعية مؤرخة في عام 1117هـ/1705م، وهي عبارة عن عريضة قدمها بعض أهالي القدس للوالي، ويبدو أن مضمونها لا يستند إلى دليل تاريخي. وإليك نصها:

---

[107] عن بيت المقدس في كتب الرحلات، ص 268، 281.

[108] لكن آل الدجاني ينسبون أنفسهم إلى الإمام زيد حفيد الإمام علي كرم الله وجهه. و لم تذكر كتب الأنساب شيخا يدعى محمد المنسي من ذرية الإمام علي.

[109] لم يحدد العارف من هو الحنبلي. لكنه ليس مجير الدين الحنبلي صاحب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل. وكذلك لم أعثر على ذكر للمنسي في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

[110] لم أعثر على ذكر لصحابي أو مجاهد بهذا الاسم شارك في الفتح العمري.

[111] المفصل، 510-511. لم يفصل العارف بين النص المنقول من سجل المحكمة وبين تعليقاته الخاصة.

(جناب افتخار الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام صاحب الدولة والاحترام حضرة مولانا وسيدنا مصطفى باشا. نعرض بين أياديكم الكريمة أن بقرب خليفة الله سيدنا داود عليه السلام الشيخ محمد المنسي، رجل من أكابر المجاهدين، حين فتحت بيت المقدس دهكته الناس وتوفي ودفن في محلة بالقرب من خليفة سيدنا داود عليه السلام بتربة النصارى. سلطانم، إن سلفكم حضرت موسى باشا كان مراده أن يعمل عليه قبة وعين من فحر بحفري الحدود وجور الجور وأرمى الأحجار، ثم قاموا النصارى الكفرة ومنعوه. سلطانم، صدقة عنكم وعن ولدكم، أنتم تجعل عليه قبة وتشهر هذا الرجل وتفعلوا هذا الثواب، ولكم الأجر والثواب من الكريم الوهاب، وما تفعلو من خير فإن الله به عليم، فإنه رجل من المغازين والمجاهدين ومذكور في تاريخ الحنبلي أدام الله أيام سعادتكم آمين)[112].

وفي محاولة للبحث عن جذور الشيخ محمد المنسي ومقبرته، أسوق فيما يلي معلومات يسيرة قد تمهد الطريق أمام بعض الباحثين المعنيين باستجلاء الأمر واستخراج المزيد عنه من سجلات المحكمة.

فقد ورد ذكر المدعو (غانم بن منسي)[113] في عام 1039هـ/1629م. وورد ذكر (أرض المنسي)[114] في عام 1040هـ/1631م. وفي عام 1060 هـ/1650م وردت حجة تشير إلى أن أحمد الجوربجي بدمشق الشام الشهير نسبه بابن عثمان قد اشترى من عبد القادر بن محمد الرفاعي العلمي (الغراس والزيتون وأرض الحاكورة القائم أصول ذلك بها المعروفة بحاكورة المنسي بظاهر مدينة القدس بالقرب من السيد داود عليه السلام)[115].

---

[112] س ش 203: 48.

[113] س ش 116: 67.

[114] س ش 117: 41.

[115] س ش 145: 23.

## أضواء جديدة على بعض المشاهير

يواجه المؤرخون والباحثون بعض المصاعب عند تقصيهم لأخبار علماء القدس ومشاهيرها خلال العهد العثماني، حيث لا تتوفر مطبوعات تترجم لهم سوى ما ورد في كتب تغطي فترات محددة. وتعد سجلات المحكمة القدسية والمخطوطات المحفوظة في مكتبات القدس من أهم المصادر الأولية في ترجمة أولئك العلماء والمشاهير.

وسنحرص في هذا الفصل على ذكر معلومات جديدة لم تنشر من قبل حول بعض مشاهير العهد العثماني، إضافة إلى ترجمة أعيان ذاع صيتهم في ذلك العهد لكنهم لم يدخلوا كتب التاريخ بعد، وإنما بقيت أخبارهم مسطورة في سجلات المحكمة وبعض المخطوطات.

### بيرم جاويش بن مصطفى[115]

(ت عام 970هـ/1562م)

لقد ترجم بعض المؤرخين لبيرم جاويش بن زين الدين مصطفى جاويش، وخاصة فيما يتعلق بإشرافه على بناء سور القدس. ولن نكرر هنا معلومات سابقة عنه، بل سنضيف إليها بعض ما ورد عنه في سجلات المحكمة.

فحول علاقته بدمشق تشير السجلات إلى أن بيرم جاويش تولى بعض المناصب فيها قبل استقراره في القدس. كما أنه تزوج من ليلى خاتون وهي

[115] السجلات الشرعية 4: 591؛ 39: 157، 158، 467؛ 40: 32، 34، 33؛ 41: 16، 568؛ 43: 193؛ 44: 170، 368؛ 54: 149؛ 56: 303، 652، 653؛ 103: 193؛ 110: 61، 70؛ 115: 488؛ 122: 616؛ 146: 408.

ابنة الجاويش عيواد أحد قادة الجيش العثماني في دمشق الشام. وكذلك فقد استقرت ذرية بيرم كلها في دمشق بعد وفاته.

ولعل أهم إنجاز قام به إلى جانب الإشراف على بناء سور القدس وقفه لمبان تقع في طريق الواد عند تقاطع طريق باب الناظر وعقبة التكية. فقد وقف رباطا وجعله وقفا للتعليم في عام 947هـ/1540م، والذي تحول لاحقا إلى مدرسة حكومية. وعين أوقافا عديدة للانفاق على ذلك الرباط، ومنها قرية بني نعيم. ووقف أيضا المبنى المقابل للرباط من جهة الشمال وجعل فيه مكتبا[116] لتعليم الأطفال، وتقع فيه حاليا مكتبة الصدقات.

ولقد كانت هذه الإنجازات التي خلدت ذكراه ثمرة لحياة عسكرية وقيادية حافلة، يستدل عليها من سجلات المحكمة التي تفيد بأن بيرم كان من كبار قادة الجيش العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني، حيث كان سباهيا وتيماريا على عدة إقطاعات، ومن بينها قرية صوبا. وكان لقب السباهي أو التيماري يطلق على ملاكي بعض أنواع الإقطاعات الضخمة التي كانت تمنح لكبار قادة الجيش العثماني الذين أبلوا بلاء حسنا في القتال. وكان يتوجب عليهم تزويد الجيش بجنود فرسان وقت الحرب، والحفاظ على الطرق وتطوير الزراعة وقت السلم.

ومن الوظائف التي حظي بها بيرم جاويش التولية على الرسوم التي كانت تجبى من الحجاج الأجانب الذين كانوا يدخلون كنيسة القيامة. وكان هذا من خصائص النظام العثماني، حيث كان الرجل المرضي عنه يسيطر على العديد من الوظائف التي تهدف بالدرجة الأولى إلى زيادة مدخولاته، ثم يورثها لعقبه. ولعل ذلك النظام كان يهدف إلى توريث الولاء للسلطان العثماني من خلال ترسيخ طبقات اجتماعية لا هم لها سوى المحافظة على مصالحها.

---

[116] أي كُتاب أو مدرسة.

ومما أفادت به السجلات أيضا أن بيرم جاويش كان يمتلك مصبنة في حارة باب العامود، وأنه انتفع بكامل سوق القطانين بعقد إيجار واستئجار، أي أنه استأجره ثم أعاد تأجيره لعامة الناس.

وفي عام 967هـ/1560م اشترى بيرم مزرعة في قرية بيت مزميل، وحاكورة ملاصقة لسور القدس من الخارج قرب باب العامود في منطقة كانت تعرف بأرض منجك. وفي عام 969هـ/1562م اشترى مزرعة في قرية بيت ساحور الواد، وهو الاسم القديم لقرية السواحرة.

**ذريته وأوقافه**

تشير السجلات إلى أن بيرم جاويش توفي في القدس الشريف عام 970هـ/1562م. وقد دفن في الطابق الأرضي من مكتبه في طريق الواد، وما زال ضريحه ظاهرا وسط مكتبة الصدقات، إلا أن تاريخ الوفاة لم يدون عليه.

وتفيد السجلات أن بيرم أعقب مصطفى وقورد وخديجة على الأقل، وأنه تزوج من عدة نساء، حيث كانت زوجته جيهان بانو بنت عبد الله من ضمن ورثته، فيما طالبت أخرى بمهرها فحسب حيث توفي بعد طلاقها. كما أنه أعتق بعض عبيده وجواريه قبل وفاته.

وبالإضافة إلى حجج وقفياته التي تم تسجيلها قبل وفاته، فقد تكرر سرد قائمة بها عام 1034هـ/1624م[117]، ومنها (جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بخط واد الطواحين المنسوب وقفها للمرحوم بيرم جاويش المجاور لمكتب المرحوم بيرم جاويش المزبور من الجهة الشمالية) والتي وقفها على قراءة ما تيسر من القرآن الكريم في القدس.

[117] س ش 110: 61، 70.

ورغم أنه اشترط في كتاب وقفه أن يتولى أحد ذريته الإشراف على أوقافه، فقد تم تعيين المدعو (ماي أبا بكر بن الحاج اسكندر الرومي) في وظيفة النظارة على أوقاف بيرم جاويش بسبب عجز أولاده عن خدمة النظر لصغر سنهم. ثم تولى الإشراف عليها أخوه السباهي سفر جلبي بن مصطفى جاويش.

ويبدوا أن إقامة ذريته في دمشق كانت غالبا ما تحول دون تعيين متولي من بين أحفاده. فقد تم تعيين عبد القادر بن موسى ابن غضية متوليا على أوقافه حتى ذي القعدة، 1038هـ/1629م حيث انتقلت التولية إلى محمد بن محمد الخليلي.

وكان بعض أحفاده يتولون الإشراف عليها من دمشق. ففي عام 982 هـ/1575م وكلت (خديجة خاتون بنت المرحوم بيرم جاويش ابن مصطفى الزعيم بلواء القدس الشريف كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان) زوجَها محمد جاويش بن قراكوز[118] من جاويشات دمشق بتأجير (الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بخط واد الطواحين سفل عقبة الست بمفارق الطرق... الراكبة على الطريق السلطاني الملاصقة لرباط بيرم جاويش المزبور المخلفة عن بيرم جاويش... المتوصل إليها من باب الرباط المزبور).

وفي عام 1044هـ/1634م طالب أحد أحفاد بيرم بتعيينه متوليا على وقف جده في القدس، وهو (محمد جلبي ابن المرحوم درويش الينكجري بدمشق الشام من ذرية بيرم جاويش) بحجة (أن بيرم جاويش المزبور مشترط في كتاب وقفه أن النظر والتكلم على وقفه المزبور من بعده لأولاده وذريته).

وفي عام 1062هـ/1652م كانت إحدى حفيداته وتدعى خديجة أيضا متولية على وقفه، حيث كانت ترسل وكيلا عنها من دمشق لمتابعة أمور الوقف. وفي عام 1108هـ/1697م أرسلت (فاطمة بنت درويش جوربجي

---

[118] وتعني العين السوداء باللغة التركية.

ابن حسن بك الناظرة على وقف جدها الأعلى بيرم جاويش) المدعو سليمان بن عبد الله لمتابعة حسابات وقفه في القدس الشريف.

## صفي الدين النشاشيبي
(ت 960هـ/1553م)

تؤكد سجلات المحكمة أن صفي الدين محمد بن زين الدين فواز الحنبلي كان أبرز مشاهير عائلة النشاشيبي في العهد العثماني، رغم أن مؤرخي القدس الشريف لم يترجموا له على الإطلاق. فهو أحد عشرات المشاهير الذين ذاع صيتهم في القدس خلال العهد العثماني، لكن أخبارهم لم تخرج من صفحات السجلات إلى كتب التاريخ بعد.

ونستثني من ذلك موقعين ذكر فيهما الشيخ صفي الدين. فقد نقل عارف العارف في كتابه (المسيحية في القدس) عن أسطفان حنا أسطفان وثيقة تشير إلى أن محكمة القدس رفضت في 6 شعبان 941هـ/1534م دعوى أقامها (الشيخ شفيع الدين محمد بن الشيخ زين الدين فواز الحنبلي) بأن إحدى الساحات الملاصقة لدير السريان كانت في الاصل تابعة لأحد المساجد. وبعد مراجعة دقيقة لسجلات المحكمة نقطع بأن الشيخ المذكور هو صفي الدين، حيث لم يكن هناك أي شيخ يدعى شفيع الدين الحنبلي في القدس. ولعل أسطفان أخطأ في قراءة الاسم.

وكذلك فقد ذكره كامل العسلي شاهدا على حجة تحت اسم (محمد الحنبلي) عام 953هـ/1546م في كتابه (وثائق مقدسية تاريخية)[119] دون التعريف به، حيث أن الوقوف على حقيقة محمد هذا يحتاج إلى بحث مطول.

[119] وثائق مقدسية تاريخية، 3: 47، عن س ش 17: 23.

وكان صفي الدين قد تولى قضاء القدس قبل تاريخ أول سجلات المحكمة التي تم الحفاظ عليها، حيث تكرر ذكره قاضيا للحنابلة في السجلات التي تحمل الأرقام 1- 25 أي في الفترة 937-959هـ/1531-1552م. ووصف في عدة حجج بـ (سيدنا أقضى القضاة الصفوي صفي الدين محمد بن المرحوم الشيخ زين الدين فواز الحنبلي خليفة الحكم العزيز بالقدس الشريف).

ومن جملة القضايا التي فصل فيها الشيخ صفي الدين خلال فترة حكمه، قضية وردت في عام 948هـ/1541م حول أراضي قرية أم طوبى جنوب شرقي القدس، وجاء فيها:

(بين يدي مولانا الأفندي صالح... حضر... مولانا العلامة الشيخ حسام بن المرحوم مولانا العلامة السيد يعقوب الناظر الشرعي على المدرسة الحسنية بالقدس الشريف وعلى أوقافها... وفخر الأماثل وزين الأقران محمود بن إبراهيم التيماري على قرية أم طوبى... وادعى على سنان بن جعفر التيماري على قرية دير بني عبيد، عمل القدس الشريف، أنه واضع يده على [قسم] من جملة أرض قرية أم طوبى المزبورة الجارية في الوقف وفي تيمار محمود المزبور... فعند ذلك ندب من قِبل مولانا القاضي صفي الدين بن المرحوم الشيخ زين الدين فواز الحنبلي خليفة الحكم العزيز بالقدس الشريف، أيده الله تعالى، للكشف والتحرير على الحد المزبور المتنازع فيه، فتوجه مولانا الحاكم الحنبلي المندوب المشار إليه أعلاه وصحبته جماعة من المسلمين وثقاة العدول... حصل الوقوف على الحد المزبور بحضور المدعين والمدعى عليهم... وحرر على ذلك التحرير الشرقي على ما تقتضيه الشريعة المطهرة ليصل كل ذي حق إلى حقه على وجه العدل والإنصاف من غير ظلم ولا حيف، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: من ظلم شبرا من أرض طوق به يوم القيامة إلى سبع أرضين. فعند ذلك تبين واتضح لدى مولانا

الحاكم الحنبلي المندوب المشار إليه أن الحد الشرقي المتنازع فيه من جملة حقوق أراضي القرية المزبورة)[120].

ومن الوظائف الأخرى التي مارسها الشيخ صفي الدين إلى جانب القضاء (وظيفة القراءة بربعة السلطان بقبة الصخرة الشريفة في كل يوم عقب صلاة الصبح ووظيفة قراءة الجزء بربعة أويس بك بالصخرة الشريفة) ووظيفة البوابة برباط كرد. ومعلوم أن أشهر العائلات المقدسية كانت تتنافس في تولي مختلف الوظائف في الحرم الشريف مهما كان مستواها خلال العهد العثماني.

وكذلك فقد كان الشيخ صفي الدين يتاجر بالزيت علاوة على وظائفه الرسمية. كما أنه تملك عدة منازل ومزارع داخل القدس وخارج أسوارها. وورد أنه أدى فريضة الحج في عام 951هـ/1544م.

## شهاب الدين النشاشيبي

(ت عام 964هـ/1557م)

اشتهر شهاب الدين أحمد بن فواز النشاشيبي في القدس من خلال تجارته وثروته. ففي عام 940هـ/1534م (ادعى المعلم شهاب الدين أحمد بن الشيخ زين الدين فواز على المعلم عز الدين بن صريصير بأربعة آلاف وأربعمائة عود نشاب... وألفا ومائتا منحوت وثلاثين خرمة ريش، وأن الثمن عن ذلك كله ؟ فضة حلبية، ويطالبه بذلك لكونه أودعه ذلك بمدينة نابلس ولم يأذن له في بيع ذلك. فأجاب بأنه أذن له في بيع ذلك...)[121].

---

[120] س ش 13: 310.

[121] س ش 4: 287.

وفي عام 943هـ/1536م (أجّر المعلم شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ فواز الحنبلي) دارا تقع مقابل قلعة القدس[122]. وأجر دارا أخرى في عام 944هـ/1537م تقع في حارة النصارى[123]. وفي عام 956 هـ/1549م كان (الحاج أحمد بن الشيخ زين الدين فواز النشابي) شاهدا على عقد زواج[124].

وكذلك فقد ساهمت صلة القربى بشقيقه القاضي صفي الدين محمد في شهرته حيث ذكر (الحاج أحمد بن الحاج فواز عُرف بأخي القاضي)[125] شاهدا في إحدى القضايا عام 961هـ/1554م.

وبعد وفاة شهاب الدين أحمد تم حصر إرثه فكان من ضمنه ثمن البضائع التالية التي كانت له في ذمة غيره من تجار النشاب:

(مبيعات أحمد بن زين العابدين: نشاب وريش ودبس ومقص بقيمة 3082 بارة. مبيعات محمد بن الفقيه: نشاب وريش بقيمة 387 بارة. مبيعات عبد الساتر: نشاب وريش بقيمة 33 بارة. مبيعات ابن بنيدق: نشاب وريش بقيمة 402 بارة. مبيعات عبد القادر بن صريصير: نشاب بقيمة 15 بارة)[126].

## أحمد التميمي

(ت بعد 1206هـ/1792م)

ينتمي الشيخ أحمد بن عبد الغني التميمي الخليلي إلى الصحابي الجليل تميم بن أوس الداري الذي صحب الرسول صلى الله عليه وسلم وغزا معه

---

[122] س ش 6: 300.
[123] س ش 6: 657.
[124] س ش 22: 10.
[125] س ش 28: 175.
[126] س ش 33: 348.

وروى عنه، وسأله أن يقطعه مدينة الخليل قبل الفتح الاسلامي فأقطعه. وقد توفي عام 40هـ/660م ودفن في قرية بيت جبرين من أعمال الخليل. وإليه تنتمي العائلات التميمية في الخليل والقدس ونابلس والكرك ومصر وغيرها.

ومن مشاهير هذه العائلة في العهد المملوكي علي بن عمر بن عبد الرحمن التميمي الذي نسخ في عام 919هـ/1513م كتاب المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة[127] للكمال بن أبي شريف المقدسي (ت 906هـ/1501م).

وفي العهد العثماني ظهر منهم الشيخ صالح التميمي الذي أرسلت إليه الحكومة المصرية عام 1249هـ/1834م خلال احتلالها بلاد الشام تطلب منه تقديم الوثائق والمستندات التي تثبت حق عائلة التميمي بوقف الصحابي تميم الداري رضي الله عنه[128].

ومن مشاهيرها الذين استقروا في مصر الشيخ (أحمد الخليلي التميمي خادم مذهب النعمان بالأزهر) الذي أجاز الشيخ محمد الجوخدار (ت 1297 هـ/1879م) بطريق المراسلة إجازة عامة وخاصة في المذهب الحنفي سنة 1266هـ/1850م[129].

**سيرته**

ذكر عمر رضا كحالة أن الشيخ أحمد التميمي توفي حوالي عام 1193هـ/1779م[130]، بينما ذكر خير الدين الزركلي أنه توفي بعد 1202 هـ/1788م، وقال أنه كان (من المشتغلين بالحديث. فلسطيني، من أهل الخليل) استنادا إلى مخطوط وضعه التميمي بعنوان (حسن القرع على حديث

[127] مخطوط رقم 145م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.
[128] المحفوظات الملكية المصرية، 3: 385، رقم 3327.
[129] علماء دمشق في القرن الثالث عشر، 2: 765.
[130] معجم المؤلفين، 1: 277.

أم زرع) وهو محفوظ في المكتبة الأزهرية في القاهرة[131]. ولم يذكر كلاهما أي معلومات أخرى عن الشيخ.

لكن فهرسة المخطوطات المقدسية ساهمت في إلقاء المزيد من الأضواء على سيرة التميمي، حيث تفيد بأنه كان خطيبا ومصنفا ونساخا وصوفيا. ففي مكتبة المسجد الأقصى المبارك مخطوط بعنوان (البحر المورود في المواثيق والعهود) لعبد الوهاب الشعراني، كان الشيخ أحمد بن عبد الغني التميمي قد نسخه في ربيع الأول عام 1203هـ/1788م[132].

وفي أحد المخطوطات الناقصة في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي صفحتان بخط الشيخ أحمد التميمي، وفيهما رد على سؤال ورد إليه من مدينة اللد عام 1206هـ/1792م حول قول أحدهم بأن المقتول بقي له عمر ورزق لكن القاتل قطع عليه أجله ورزقه، فأجاب التميمي جوابا مفصلا جاء فيه: (إعلم أن اعتقاد ذلك جهل محض، بل كفر لما يلزم عليه من تغيير الأقدار الإلهية ونسبة الجهل إلى الله عز وجل، حيث علم أجلا مسمى وجاء هذا القاتل وقطعه وغيّر ذلك القلم. قال أهل السنة المقتول ميت بأجله في وقته المقدر له).

وورد في نهاية الجواب: (كتبه على عجل الفقير أحمد بن عبد الغني الخليلي التميمي عفى الله عنه في أحد وعشرين خلت من رجب الفرد سنة 1206 من الهجرة).

### علاقته بالشيخ محمد البديري

يبدو أن ثمة علاقة كانت تربط الشيخ أحمد التميمي بالشيخ محمد البديري (ت 1220هـ/1805م)، ولعله كان أكبر سنا من البديري. ومن

---

[131] الأعلام، 1: 152.

[132] فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الاقصى، 1: 128؛ رقم 115.

الأدلة على ذلك عبارة مكتوبة على أحد المخطوطات[133] المحفوظة في مكتبة البديري تشير إلى أنه كان ملكا للشيخ أحمد بن عبد الغني التميمي وعليه ختمه، كما تشير إلى أنه كان خطيبا في المسجد الابراهيمي الشريف. وعلى ما يبدو فإن التميمي أهدى ذلك المخطوط للبديري.

ويحتوي مخطوط آخر في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي[134] على رسالة طويلة للبديري بعنوان (كلمات تتعلق ببراءة السيد الكريم يوسف بن يعقوب) نسخها عبد اللطيف باب الدين القاسمي القدسي عام 1198هـ/1783 م. ويتلوها تقاريظ بخط عدد من العلماء ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الغني التميمي الخليلي.

**مخطوطاته في القدس**

تحتوي مكتبة دار إسعاف النشاشيبي على أربعة مصنفات للشيخ أحمد التميمي. وأهمها رسالة الفتح المبين بشرح عقيدة السيد محمد تقي الدين.

وتفيد الرسالة بأن التميمي زار دمشق في السابع عشر من رمضان 1188هـ الموافق تشرين الثاني 1774م، والتقى بالشيخ تقي الدين محمد بن عبد الله النابلسي الأصل الدمشقي الموطن (ت 1207هـ/1793م)، حيث أهداه متن رسالته (عِقيدة الغيب)، وفي رابع ذي الحجة 1193هـ الموافق كانون الأول 1779م فرغ التميمي من تأليف كتاب الفتح المبين الذي شرح فيه عقيدة الغيب. والنسخة المذكورة بخط عمر بن عبد اللطيف باب الدين نسخها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

أما مخطوطاته الأخرى في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي فهي:

- حُسْنُ القرع على حديث أم زرع.

---

[133] فهرس مخطوطات المكتبة البديرية، 1: 122؛ رقم 6/34.

[134] مخطوط رقم 244م.

- التحفة السنية في مناقب السادة البدرية، وموضوعه الصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر، وقد نسخه بخط يده.
- مجموع نسخ فيه موضوعات متفرقة منقوله من كتب التفسير واللغة والشعر والتراجم والفتاوى للقرطبي والجفري الحضرمي والجلال السيوطي وابن حزم، إضافة إلى نصوص وضعها بنفسه.

## الشيخ محمد البديري
(ت 1220هـ/1805م)

لقد ترجم للشيخ محمد البديري ابن حبيش كثيرٌ من معاصريه أمثال المرتضى الزَبيدي وعبد الرحمن الجبرتي وحسن الحسيني وغيرهم. وفي العصر الحاضر نشر كامل العسلي بعضا من مصنفاته، كما أن خضر سلامة[135] أضاف معلومات جديدة حول البديري وعائلته لم يسبق نشرها من قبل. وفي هذا الفصل سيجد القارئ الكريم مادة جديدة تم استخراجها من بعض المخطوطات وسجلات المحكمة القدسية.

**سيرته**

هو محمد بن بدير بن محمد الشافعي، جد عائلة البديري المقدسية المعاصرة. ولد في القدس عام 1160هـ/1747م وتوفي فيها عام 1220هـ/ 1805م. وحبيش هو جده الرابع، وتمتد جذوره إلى الأندلسيين الذين نزحوا إلى المغرب. وكان محمد قد سافر مع والده إلى مصر في السابعة من عمره، والتحق بالأزهر وتلقى العلم على كبار مشايخه وتعلم الفقه على المذاهب الأربعة، حتى أذن له بالتدريس في الأزهر.

---

[135] أمين مكتبة المسجد الأقصى المبارك ومدير المتحف الاسلامي.

ولازم البديري الشيخ محمود بن محمد الكوراني (ت 1195هـ/1781م)[136] ست سنوات وأخذ عنه الطريقة الخلوتية. وبعد إقامة بمصر دامت حوالي ثلاثين عاما عاد إلى القدس. وقال عنه الجبرتي: (الإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذي هو الآن بالقدس الشريف والمشار إليه في التسليك[137] بتلك الديار)[138].

وزار البديري دمشق عام 1192هـ/1778م والتقى بالشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري (ت 1221هـ/1806م)[139]، والذي زار البديري[140] في القدس والخليل عام 1203هـ/1788م. وقد أدى البديري فريضة الحج عام 1193هـ/1779م، وعين شيخا على تربة الشيخ حيدر في حارة الشرف عام 1210هـ/1796م. وكان يدرس العلوم الشرعية والصوفية في المسجد الأقصى وفي خلوته بباب الناظر.

**أملاكه ومسكنه**

كان البديري يمتلك عدة دور في القدس والخليل، ورث بعضها واشترى البعض الآخر. وكان يسكن في داره الواقعة خارج باب الناظر والملاصقة له من الجهة الجنوبية، ويتوصل إليها عبر مدخل يقع مقابل مدخل دائر الأوقاف الاسلامية.

وتعد تلك الدار من أقدم مباني القدس، حيث يُعتقد أن معاوية بن أبي سفيان نزل بها، ولذا أطلق عليها قديما دار معاوية. وقد اشتراها في عام 782 هـ/1380م الشيخ تاج الدين أبو الوفا محمد بن علي الحسيني البدري (ت

---

[136] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 2: 61.

[137] أي ضم مريدين جدد لتلك الطريقة الصوفية.

[138] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 1: 349.

[139] أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، 257.

[140] توجد في المكتبة البديرية إجازة عامة من الكزبري للبديري.

803هـ/1401م)[141] وأسس بها الزاوية الوفائية. وسكنها أيضا عالم الرياضيات الشهير شهاب الدين أحمد ابن الهائم (ت 815هـ/1412م) [142]، فأطلق عليها دار ابن الهائم. واشتراها أيضا مصطفى البكري الخلوتي (ت 1162هـ/1749م) [143] فنسبت إليه.

وأخيرا اشتراها محمد بن بدير، حسب عبارة وردت على مخطوط فتح المبين في المكتبة البديرية: (من وقف الفقير محمد بدير على طلبة العلم بالقدس الشريف ومقره بخلوته بداره المعروفة سابقا بدار الأستاذ البكري)[144]. وتقع تلك الخلوة في إحدى غرف الطابق السفلي التي كان قد اتخذها مصلى ومقرا لمكتبته، ثم دفن فيها. وما زالت موقوفة على فريته حتى الآن.

وقد أوقف الشيخ البديري عقاراته عام 1205هـ/1791م وجدد الوقفية عام 1206هـ/1792م، والتي اشتملت على دار تقع في محلة الشرف مقابل مقام الشيخ حيدر اشتراها عام 1193هـ/1779م، ومعصرة تقع في حارة النصارى كانت جارية في وقف أبي الفول واشتراها عام 1195هـ/1781[145]، وعقارات في مدينة الخليل اشتراها عام 1199هـ/1785م[146]. ومنها أيضا ثلث مصبنة تقع في باب العامود، ونصف دار ومعصرة في يافا[147].

---

[141] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2: 149.

[142] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2: 110؛ شذرات الذهب، 6: 355؛ الاعلام، 1: 226.

[143] تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، 158؛ عجائب الآثار، 1: 246.

[144] فهرس مخطوطات المكتبة البديرية، 1: 70.

[145] وثائق مقدسية تاريخية، 3: 69.

[146] وثائق مقدسية تاريخية، 3: 70.

[147] للمزيد عن الوقفية، أنظر وثائق مقدسية تاريخية، 2: 303-306.

**مكتبته ومؤلفاته**

خلف البديري مكتبة متواضعة وقفها على طلبة العلم. وقد أضيفت إليها كتب أخرى بعد وفاته حتى أصبحت تحتوي على 230 مخطوطا مفردا و 70 مخطوطا مجموعا، وتضم 636 كتابا ورسالة. وقد أصدر خضر سلامة فهرسا بمحتوياتها عام 1407هـ/1987م. وتعد الرسالة القشيرية أقدم مخطوطاتها حيث نسخت عام 562هـ/1167م. وما زالت مكتبة الشيخ محفوظة في خلوته تحت إشراف السيد عبد الله البديري.

وقد عد خضر سلامة ثمانية عناوين من تأليف الشيخ موجودة في مكتبته المذكورة؛ إضافة إلى رسالة (إرشاد العمال إلى ما ينبغي في يوم عاشوراء من الأعمال) ذكرها ضمن مجموعة مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى. ويرى الأستاذ خضر أن الشيخ البديري (لم يكتسب شهرته من مؤلفاته بل نتيجة تصوفه وتدينه وربما ثرائه الذي أتاح له الدراسة)[148].

وفي مكتبة جامعة محمد بن سعود في الرياض مخطوط[149] عليه إجازة منحها الشيخ محمد البديري لمحمد بن محمد العامري الحسيني الغزي (ت 1214هـ/1799م).

**مخطوطاته في مكتبة دار إسعاف**

تضم مخطوطات مكتبة دار إسعاف النشاشيبي عددا من مصنفات الشيخ البديري يزيد كثيرا عما نجده في المكتبة البديرية نفسها. ولعل السبب في ذلك هو أن كثيرا من مخطوطات الدار كانت في حوزة مفتي القدس الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسيني (ت 1224هـ/1809م) الذي تزوج ابنة البديري في محرم 1203هـ/1788م.

---

[148] فهرس مخطوطات المكتبة البديرية، 1: 15.

[149] الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية ومتعلقاتها، 3: 308.

وقد ورد في مخطوط (الفتاوى الحسنية الحسينية) سؤالان وجههما الشيخ البديري للشيخ حسن، أحدهما حول خلاف وقع بين رجلين تشاركا في شراء سمسم واستخراج السيرج منه[150]، والآخر حول خلاف وقع بين ثلاثة شركاء في مصبنة، حيث كان أحدهم قد أوقف حصته[151]. ورغم أن المخطوط لا يتطرق إلى أسماء الأطراف المعنيين، حسبما جرت به العادة في كتب الفتاوى قديما، إلا أن البديري كان أحد تلك الأطراف بالتأكيد. فالمعصرة المذكورة هي تلك التي كان يملك نصفها في يافا، وأما المصبنة فهي التي كانت تقع في باب العامود وكان يملك ثلثها حسبما ورد في وقفيته.

ويعد التصوف الغرض الرئيسي لرسائل ومنظومات الشيخ البديري إلى جانب موضوعات متفرقة في الفقه الشافعي والعقيدة. وإليك بيان بعناوين مخطوطاته في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي:

- رسالة في الصيد بالرصاص.
- اللطيفة الجمالية في الصلاة الكمالية.
- الكلمة الجلالية الجمالية في بيان الصلاة الكمالية، (نسختان).
- سلطان البرهان في الإنابة عن الإيمان.
- مدائح نبوية وصلوات محمدية.
- رسالة في رفع الرأس قبل الإمام[152].
- الكشف الرباني والكشف الشيطاني.
- كلمات مقتبسة من أنوار الفيض السري وآيات منزلة من أطوار التجلي البدري.
- الكوكب الأشرف في كشف الغطاء عن كنت كنزا لا أعرف.

---

[150] مخطوط الفتاوى الحسنية الحسينية، رقم 231م، ص 121أ.

[151] مخطوط الفتاوى الحسنية الحسينية، رقم 231م، ص 434ب.

[152] توجد نسخ أخرى منه في المكتبة البديرية وجامعة برنستون.

- رسالة في مولد السيد الكليم.
- رسالتان ضمن مجموع:
* كلمات تتعلق ببراءة السيد الكريم يوسف بن يعقوب.
* تذييل على الكلمات في براءة يوسف.

وتتلوهما 15 صفحة تضم تقاريظ على الرسالتين المذكورتين بخط محمد سعد الدين بن عبد الغني النابلسي ومحمد كمال الدين الحسيني الشهير بابن الغزي الدمشقي ومصطفى الديار بكري وحسن العطار وأحمد زايد الغزي ومحمد بن أحمد بن محمد الباقاني وأحمد بن عبد الغني التميمي الخليلي وعثمان بن محمود بن حامد الكردي وأحمد بن عبيد العطار ومحمد خليل بن علي مراد الحسيني المفتي بدمشق.

- إعراب المنظومة الموسومة بعقد الدر في كشف النضر. والمتن للمؤلف نفسه.
- الإسعاد في تحقيق بانت سعاد.
- مجموع في الشعر، يضم:
* منظومة عقد الدرر، أو منظومة التوسل بأسماء الله الحسنى.
* قصيدة، أولها: لقد شمت من تلقاء حبكم برقا.
* قصيدة في هزيمة نابليون في عكا[153].
- حل الصيد في جوف الفرا، وهي منظومة في التوسل بالمخلوقين.
- منظومة السور المنيع والنور الشفيع والسر السريع[154].
- رسالة في عقيدة البديري.
- رسالة مطلعة الأسرار، كشافة الأستار عن غوامض الأخبار.
- المنن الإلهية فيما وقع للحضرة البديرية.

---

[153] توجد نسخة أخرى منه في المكتبة البديرية.

[154] توجد نسخة أخرى منه في المكتبة البديرية.

- كشف الحزن وحلول المنن في أوصاف السيد الحسن. والمقصود هو حسن بن عبد اللطيف الحسيني. نسختان[155].
- إجازة من محمود بن محمد الكردي الكوراني (ت 1195هـ/ 1781م). وموضوعها تربية الطالبين وأخذ العهود على الطريقة الخلوتية.
- دعاء.

## رسالة تحريم الصيد بالرصاص

ومن متروكات مفتي القدس محمد طاهر الحسيني في مكتبة دار إسعاف مخطوط مجموع[156] يضم عدة رسائل فقهية، ثلاث منها للشيخ البديري نسخت عام 1225هـ/1810م. وهي رسالة في رفع الرأس قبل الإمام، ورسالة تحريم الصيد بالرصاص، والكلمة الجلالية الجمالية في بيان الصلاة الكمالية.

وسنتناول رسالة الصيد بالرصاص كنموذج لمصنفاته الفقهية. وقد كتبت بخط فارسي واضح على عشر صفحات. وإليك أهم ما ورد فيها:

(وبعد فقد وقع السؤال عن الصيد بمحدد من نحو رصاص يجعل مع بارود ويرمى بالنار، هل يحل الصيد المقتول به إذا لم تدرك فيه حياة مستقرة ويذبح الذبح المشروع أو لا يحل؟ فأقول ومن الله أستمد، أنني أذكر ما تقرر عند الأئمة الشافعية وهو محل السؤال من السائل، فأنقل أولا قاعدة أقررها وهي أن الرمي المذكور، هل حصل منه هلاك الصيد بخصوص المحدد المرسل مع البارود والنار أو حصل بالمجموع. فإن قيل حصل بالمحدد فقط بلا إعانة شيء من نار وبارود، قلنا العيان يكذب ذلك ويرده، إذ قد يرمي الرامي بيده المحدد بلا نار ولا بارود ولا يصل رميه إلى الحد الذي يصله

---

[155] توجد نسخة أخرى منه في المكتبة البديرية.

[156] مخطوط رقم 244م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

الرمي بالنار والبارود، ولا يُظن بعاقل إنكار ذلك. ولئن سُلم أنه يصل إلى الصيد بنفسه بدون تأثير غيره معه لنقولن أن المحدد في سؤال السائل منعوت بصغر الجرم عن كونه يؤثر نفسه في المصيد. فلولا إعانة ما معه من النار والبارود لما أثر فيه قطعا. وإن سلمنا أنه يؤثر بمفرده بدون إعانة شيء، فهل احتمال تأثير شيء معه موجود أو لا. فإن قيل لا موجود، قلنا العيان يرد ذلك، ولا نحتاج إلى دليل في إثبات النهار الطالع. ولم أذكر هذه الترديدات لشك في نفس الأمر، فإنني قد ذقت ذلك وعرفت تأثيره معرفة تامة وها أنا ذا أذوقه كما هو من مدى ثلاث سنين ونصف سنة، فلا أشك في كون تأثيره في الصيد أشد من تأثير بندق الطين بأضعاف مضاعفة، ولست بظان في ذلك. لكن جرت عادة البحث لإلزام الخصوم بمثل ذلك ليكون الخصم لا محيص له عن اتباع الحق في المسئلة، فلا تغتر بترديدي هذا. ولنرجع فنقول وإن قيل الاحتمال موجود، قلنا إسمع ما يتلى عليك من النصوص أصولا وفروعا، قال العلامة الزكشي[157] في قواعده: إذا اجتمع الحلال والحرام أو المبيح والمحرم غلب الحرام، ثم قال: ولو مات صيد من مبيح ومحرم مثل أن يموت بسهم وبندقة أصاباه فهو حرام تغليبا للتحريم، انتهى. والاجتماع كما يكون بالتحقق يكون بالاحتمال...

(وإذا تحررت هذه النصوص المفيدة لتحريم الرمي بالنار على ما سبق، فهل يجوز لمفت أن يفتي على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحل الرمي بالنار والرصاص ولو محددا؟ فإن قال: أنا لا أعتقد تحريمه، قلنا له: إن كُنت شافعيا تنقل اعتقادك عن مذهبه فلا يجوز اعتقادك هذا، فإن قلت: أنا أعتقد الحل فيما يثبت الصيد ولا يقتله كما تقدم عن حواشي المنهج، قلنا لك: لا يمكن أن تضبط هذا في فتواك، وقد صرحت بأنه لو مات به الصيد حل، حتى أمرت من صاد لك صيدا بالرصاص والبارود والنار ومات به أن

---

[157] لعله الزركشي.

يطبخه لك فطبخه وأكلته كما أخبرت عن نفسك ونقله عنك الثقة. وقد سمع هذا منك ثقاة غيره. وقد ذكرت أن هذه المسئلة جرت بالأزهر وأفتى العلماء فيها بما ذكرته، وقد خالفت بما زعمت الأصول والفروع المقررة عند الأئمة الشافعية، ولتراجع ما نقلته لك من متونهم وشروحهم وحواشيهم، وإن قلت كما قلت آخرا: أنا أعتقد الحرمة، قلنا لك: لا يجوز أن تباشر ما تعتقد تحريمه مجيبا عن ذلك أنه صغيرة ويكفرها الوضوء ونحوه، قلنا لك التوبة واجبة من الكبائر والصغائر...

(وما أظن أن ينكر علي ما أقوله إخواني وساداتي أهل العلم بالأزهر الذين ستعرض عليهم هذه الرسالة إن شاء الله ويتأملونها بطرفيها ليكتبوا على صوابها أو خطأها والله يجزيهم الخير. ولما عرضت رسالتي هذه على المنازع سلم لها ظاهرا ولا يخلو في نفسه ظنا أنه لا يطمئن إلا أن يسمع كلام أئمة الأزهر الأنور، وما كنت لأطنب فيها إلا لأمره بذلك وحثه عليه. ولقد عزمت على إطالتها فوق ذلك فمنعني أمران الأول أن الذي يهتدي للحق في باطنه بدون ذلك يكتفي، وغيره لو أني أجيء له بأئمة الشافعية من قبورهم يذكرون له ما كانوا قرروه لا يصغي لهم بقلبه وإن أصغى بغيره، والثاني ترك الجدال فيما لا يعني بعد اندفاع الضرورة بما ذكر في الإجمال والتفصيل...

(صورة ما كتبه أئمة الأزهر من علماء الشافعية نقلا من خطوطهم المختومة عليها فردا فردا:

الحمد لله الهادي للصواب والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وجميع الأصحاب. أما بعد، فالصيد ببندق الرصاص محرم وإن كان الصيد كبيرا أو كان الرصاص محددا. وإذا وجد الصيد ليس فيه حياة مستقرة كان ميتة لأن الرصاص مثقل، وهذا هو الذي نص عليه العلماء قديما وحديثا.

والحق أحق أن يتبع والله أعلم. الفقير محمد المصيلحي الشافعي[158] خادم أهل العلم بالأزهر، عفي عنه.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه. أما بعد، فقد سرحت طرفي في هذه الرسالة الشريفة والعجالة البديعة المنيفة، فرأيتها قد جمعت ما تفرق من النقول الصريحة وسطعت بأنوار الوجوه الواضحة الصحيحة، جزا الله مصنفها عن قصده خيرا ووقاه سوءا وضيرا، فإنه مال فيها لطريق الاحتياط وفاز بما أفاده بالاغتباط، فإن الذي ينبغي ولا ينبغي سواه سد باب الوقوع في المأثم والتباعد ما أمكن عن صوب المحارم، فحيث لن نتحقق أن قتل الصيد بحد الرصاص المحدد فلا نفتي بحرمته على الوجه الوجيه المعتمد. قاله بفمه ورقمه بقلمه قليل البضاعة قصير الباع في كل صناعة فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه الفقير أحمد العروسي الشافعي[159] خادم أهل العلم والفقراء بالأزهر، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه.

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وجنده. الجواب في الحادثة المذكورة والواقعة المسطورة ما قاله الرحلة الفاضل واللوذعي الكامل صاحب هذه الرسالة المفيدة والجوهرة الثمينة الفريدة، لا سيما وقد وافق عليه علماء الاسلام نفع الله بوجودهم الأنام. كتبه الفقير محمد الغرمادي؟ الشافعي الازهري، عفي عنه.

الحمد لله المتفضل الوهاب والصلاة والسلام على المنزل عليه أفضل كتاب... أما بعد، فقد اطلعنا على مضمون هذا التأليف فوجدناه على أعظم ترتيب وتصنيف، مشتملا على التحقيق وغاية الترقيق والتدقيق، وإنه من الفروع الفقهية المعترف بها كل ذي فهم وروية، فلا يجوز لأحد أن يعارض

---

[158] عجائب الآثار، 2: 35؛ (ت شوال 1201هـ).

[159] عجائب الآثار، 2: 162. شيخ الأزهر أحمد بن موسى (ت شعبان 1208هـ).

فيه ولا أن يتردد فيما يشتمل عليه ويحويه والتسليم في ذلك أسلم، والله تعالى أعلم. الفقير عبد الباسط السنديوني الشافعي[160] خادم العلم بالأزهر ومقام الحسين الأنور).

## محمد الدارعي

(ت بعد 1226هـ/1811م)

هو أحد مريدي الشيخ محمد البديري. وقد عثرت على ترجمة ذاتية له في مخطوط رقم 88م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، نسخها بيده بخط مغربي عام 1223هـ/1808م. وفيها يتحدث عن مشايخه ورحلاته، وقال عن نفسه: (محمد بن محمد بن عبد المولى بن يعقوب الدارعي المغربي أصلا المقدسي رحلة البديري[161] طريقة). وقد جاءت تلك الترجمة كمقدمة لإجازة في الطريقة الأحمدية منحها لمحمد طاهر بن عبد الصمد الحسيني. وتدل ركاكة أسلوبه على أنه لم يكن من العلماء البارزين، وربما اختص في علم القراءات الذي أمضى حياته في تعلمه ونال فيه عدة إجازات.

### سيرته

يستدل من الترجمة على أن الدراعي نشأ في المغرب، حيث تلقى القرآن الكريم وعِلم القراءات على مقرئ يدعى العباس وعمه أحمد بن عبد المولى وعبد الرحمن المَسْفِوِي ومحمد الدكالي وعلي الذراعي وعبد الكريم الادريسي السوسي وعبد الله بن المَعَطي بن صالح البوجعادي[162].

---

[160] عجائب الآثار، 2: 35. (ت ج2 1201هـ).

[161] كان الدارعي يلقب نفسه بالبديري لشدة ارتباطه بشيخه محمد.

[162] لم أعثر على ترجمات لغالبية المشايخ الذين ذكرهم الدارعي في ترجمته الذاتية.

ثم شد الدارعي الرحال إلى المشرق، حيث التقى في طريقه بعبد الله الحسني السوسي الولتيتي وقرأ عليه القرآن. وقد أدى فريضة الحج عام 1207هـ/1793م وعاد إلى مصر[163] عن طريق البحر. ثم أدى الفريضة في العام التالي أيضا، لكنه جاور في المسجد الحرام حتى موسم الحج التالي حيث حضر على الشيخ الزواوي دروسا في شرح العلامة القسطلاني على صحيح البخاري، وتلقى أيضا على محمد الجيلاني السباعي الحسني وعبد الرحمن التادلي ومحمد المرسي وإبراهيم الدكالي.

ثم أدى الفريضة للمرة الثالثة عام 1209هـ/1795م، وجاور في المسجد النبوي ثلاثة أشهر قبل عودته إلى مصر عام 1210هـ/1795م بطريق البحر أيضا، فطلب العلم فيها حتى عام 1211هـ/1796م، حيث تزوج وشد الرحال مع زوجته وشقيقها إلى القدس الشريف. فاتجهوا عبر النيل نحو ميناء دمياط، ومكثوا فيه ثمانية أيام بانتظار سفينة أقلتهم إلى يافا في رحلة دامت أربعة أيام، ومنها توجهوا إلى القدس.

وخلال مجاورته في المسجد الأقصى أخذ يتردد على الشيخ محمد البديري، حتى تعلق به ولازمه ثماني سنوات وأصبح لا يفارقه إلا بإذنه. ولعله لم يحاول العودة إلى مصر بسبب الاضطرابات التي اجتاحتها آنذاك، حيث احتلها الفرنسيون في محرم 1213/حزيران 1798 وارتكبوا فيها الفظائع[164]. وبعد خروجهم منها في ربيع الثاني 1216/آب 1801 استبد الحكام المماليك بالرعايا من جديد.

---

[163] يذكر الجبرتي أن قحطا شديدا أصاب مصر عامي 1206 و1207 وبدأ الانفراج عام 1208. أنظر عجائب الاثار 2: 134، 143.

[164] وصلت رسالة في صفر 1213هـ/تموز 1798م من علماء مصر إلى علماء القدس ومنهم محمد البديري يخبرونهم بسقوط الاسكندرية. أنظر صدى الحملة الفرنسية على مصر وفلسطين، 4؛ عن س ش 279: 152.

ولعل الدارعي قد عزم على السفر إلى مصر بعد انبعاث الأمل لدى المصريين بعصر جديد على يد محمد علي باشا، حيث ورد في محرم 1220 هـ/1805م فرمان من الباب العالي بتعيينه واليا على مصر بدلا من خورشيد باشا الذي تمادى في ظلمه حتى اشتكى منه العلماء وطلبوا استبداله بمحمد علي. فلعل ذلك النبأ شجع الدارعي على السفر إلى مصر في صفر 1220 هـ/1805م.

لكن خورشيد باشا لجأ إلى القلعة فحاصرها محمد علي، واستمر الحصار والمناوشات حتى ربيع الثاني 1220هـ/1805م. ولذلك اضطر الدارعي لتأخير عودته إلى القدس ثلاثة أشهر كما سيأتي.

وقد ذكر الشيخ أن البديري لم يتمكن من المشاركة في موسم النبي موسى عام 1220هـ/1805م، لكنه أذن للدارعي بالسفر فأمر من يهيء له دابة فانطلق عليها من باب الأسباط منفردا. وبعد عودته من الموسم أذن له البديري بالسفر إلى مصر لزيارة مشايخه ولكن لمدة 15 يوما فقط. فسافر برا عن طريق الخليل حيث غادرها في الأول من صفر 1220هـ/1805م. لكنه اضطر للبقاء في مصر ثلاثة أشهر كما تقدم، والتقى خلالها بالشيخ صالح القزازي الحسيني الذي قرأ عليه القرآن الكريم فأجازه.

وفي المكتبة البديرية مخطوط بعنوان (الاسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية) للشيخ أحمد الصاوي (ت 1241هـ/ 1825م)، ويبدو أن الدارعي تملكه خلال زيارته الأخيرة لمصر، حيث أنه نسخ عام 1220هـ/1805م، وفي أوله إجازة من الصاوي للدارعي ونصها:

(الحمد لله الذي سلك بأحبابه سبل الرشاد... أما بعد فقد التمس مني الفاضل الكامل... أبو عبد الله محمد بن محمد بن يعقوب المغربي الدارعي مولدا المقدسي رحلة ووطنا وأخلاقا، قدس الله روحه، إجازة بما ينسب إلي من الكتابات التي أظهرها الله على يد ضعفي، من حسن ظنه، فأجبته لذلك

وأجزته إجازة عامة لنفسه ولغيره، فله قراءتها وإقراءها ويجيز بها من شاء، على شرط وصية الله ورسوله. والله ينفعنا وينفع به ويتم له النور... أملاه الفقير الحقير الراجي ستر المساوئ أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي عفي عنه).

وبعد عودة الدارعي إلى القدس لم يمكث طويلا مع شيخه، حيث توفي البديري في شعبان 1220هـ/1805م. لكن الدارعي آثر البقاء في القدس، ومما يدل على ذلك مخطوطات محفوظة في المكتبة البديرية في القدس وعليها تمليكات باسمه، ومنها ثلاثة مخطوطات في التصوف أحدها عليه تمليك في عام 1220هـ/1805م وآخران دون تاريخ؛ ومخطوط في الحديث الشريف عليه تمليك باسمه في عام 1225هـ/ 1810م؛ وآخر في الوعظ تملكه عام 1226هـ/1811م؛ ومخطوط في علم التجويد كتب عليه: (استكتبه الفقير لنفسه ولمن شاء الله بعده محمد بن يعقوب البديري عفا الله عنه سنة 1226).

ولعل استكمال سيرة الدارعي تحتاج لمراجعة المزيد من المصادر الأولية، وخاصة سجلات المحكمة القدسية التي قد تدلنا عن تاريخ وفاته وربما وظائفه.

**نص الترجمة والإجازة**

(إجازة الفقير. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله معجز الفصحاء بفصيح كتابه العزيز ومعجب البلغاء لمطابقته لمقتضى الحال، والصلاة والسلام على من أنزل عليه الكتاب وأوتي الحكمة بأنواعها وفصل الخطاب وعلى آله وأصحابه وأتباعهم في نيل المراد بالجد والاجتهاد وعلى كل من نحا نحوهم من الاتباع وقَفا أثرهم وترك الابتداع.

وبعد، فمما منّ الله به على عبده الفقير العاجز الحقير محمد بن محمد بن عبد المولى بن يعقوب المغربي أصلا المقدسي رحلة البديري طريقة، أني قرأت القرآن العظيم على مشايخ ذوي عدد وغالبهم من أرباب المدد، منهم

سيدي [كذا] الزاهدين ورحلة الوارعين [كذا] سيدي العباس إمام الجماعة بزاويتنا المعمورة، وهو أول من قرأت عليه القرآن نوّر الله ضريحه، ثم على إمام النقباء وسيد النجباء ورحمة الله على الغرباء والقرباء سيدي وأستاذي عمي أحمد بن يعقوب، نفعني الله بإرشاده ووصل حبلي بوداده.

ثم على رحلة أهل التوفيق المشهود له بالحفظ والتدقيق سيدي عبد الرحمن المَسْفوِي، سردت عليه ختمتين بالرواية، ثم من بعده على المتفنن في علم القراءات المتقن لجميع الروايات سيدي محمد الدكالي[165]، قرأت عليه بالقراءات ولازمته سنة، ثم من بعده على أشرف الموالي الراقي في رتب المعالي الناسك القانت الواعي سيدي علي الذراعي، ثم من بعده على المحقق المشهور سيدي عبد الرحمن المذكور، ثم من بعده على من إليه تشد الرحال، من عليه أخذت فخول الرجال لكونه من فرسان هذا المجال، الشريف الادريسي سيدي عبد الكريم السوسي لازمته ستة أياما [كذا] إلا قليلا. ثم من بعده على من لا شك في ولايته المنتفع بدرايته، من تخرص[166] الألسن بحضرته لفصاحته ومهابته سيد عبد الله نجل المعطي[167] بن صالح البوجعادي صاحب الذخيرة المنشورة في الصلوة على النبي المشهورة، تلقيت عنه ختمة إلا قليلا منها لعارض السفر.

ثم منّ جل جلاله علي بتحريك همتي إلى بلاد الشرق بقصد أداء المناسك. ففي أثناء الطريق اجتمعت ببعض الفضلاء قاصدا ما قصدته وهو الشريف الحسني سيدي عبد الله السوسي الولتيتي وقرأت عليه ما تيسر بالقراءات أيظا؟ ونحن في الطريق. فلما بلّغ الله تعالى المقصود بوصولنا لبيته

---

[165] أنظر الاعلام، 6: 208. محمد بن عبد الصادق الدكالي، فقيه مالكي تولى الإفتاء بفاس (ت 1175هـ/1761م).

[166] كذا. تخرس؟

[167] المُعطي بن صالح الشرقي المغربي (ت 1180هـ/1766م) له (ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج). أنظر معجم المؤلفين، 12: 309. لم أعثر على ترجمة لابنه عبد الله.

المعهود ولمقام نبيه المحمود وقضينا مناسكنا في ذلك العام وهو عام 1207 سبع بعد المايتين وألف.

ثم رجعنا في بحر القلزم[168] إلى مصر ذات الأنغام فمكثنا فيها أقل من العام، فمنّ الله بالعود إلى تلك الاعلام[169] فقضينا بها المناسك أيظا؟ مبتدئين منها بالاحرام. فتمم الله سبحانه لنا الفضل بمكثنا هناك بقصد المجاورة في المسجد الحرام فحضرنا في تلك السنة الميمونة صحيح البخاري على مفتي الاسلام شيخنا الشيخ الحسين! الزواوي دراية بما كتبه عليه العلامة القسطلاني، ابتدأه في خمسة وعشرين خلت من الحجة [1208هـ] وختمه في غرة الحجة في السنة القابلة [1209هـ].

فتمم الله جل شأنه فضله علي باجتماعي في ذلك العام بأئمة أجلاء، منهم بل أفضلهم على الاطلاق العلامة الرباني والفهامة الفرداني عالم الاعلام، من لا تأخذه في الله لومة لام [كذا] الورع الزاهد والحبر المجاهد مولانا وسيدنا السيد محمد الجيلاني السباعي الشريف الحسني نور الله ضريحه، جاورني الله به في تلك السنة وحجرته بالقرب من حجرتي وألقى الله حبه في قلبي كما ألقى حبي في قلبه، وانتفعت بمواعظه واتعظت بحاله وقالِه رضي الله عنه وعنا به.

ومنهم العلامة الأجل خليفة ولي الله السمان، سيدي عبد الرحمن التادلي. ومنهم الفقيه الجليل سيدي وأستاذي الشيخ محمد المرسي. ومنهم تاج القراء وتذكرة القراء الحافظ المتقن أستاذي سيدي الشيخ إبراهيم الدكالي، قرأت عليه ختمة بالروايات أيضا في تلك السنة المباركة. ثم أدينا مناسكنا لما

---

[168] البحر الأحمر.

[169] يذكر الجبرتي أن الحجاج الذين توجهوا من مصر إلى الحجاز عام 1208 تعرض لهم قطاع الطرق في سيناء؛ أنظر عجائب الآثار 2: 159. وربما سافر الدارعي عن طريق البحر كما في العام السابق تفاديا للخطر.

جاء أوانها وختمنا المجاورة بزيارته صلى الله عليه وسلم والمكث في مدينته المنورة نحو ثلاثة أشهر. ثم رجعنا بعد ذلك إلى مصر [1210هـ] على طريق البحر أيظا ومكث [كذا] فيها أطلب العلم إلى سنة 1211. فقدر الله سبحانه وتعالى لي الزواج، وبعده بشهرين أو أقل حرك الله همتي لزيارة البيت المقدس.

فخرجت من مصر[170] ومعي حرمي وشقيقا لهما [كذا] ونزلنا في مركب في بحر النيل إلى ثغر دمياط النوبة، ومكثنا فيها ننتظر المراكب نحو ثمانية أيام، فسهل الله بمركب ركبناه وتوجهنا، ففي اليوم الرابع نزلنا بمحروسة يافا ومنها إلى القدس ذات الانوار، فدخلناها في غاية الانكسار فأظهر الله لنا فيها بدائع الاسرار ونفحات الابرار، فجورت [كذا] في حرمها القدسي في خلوة جمع الله لي فيها أنسي وذهب فيها حرسي.

وكنت أتردد بقصد الزيارة على شمس أفقها وقطب دائرة سعدها وغوث سيادة مجدها وفرد روحانية حمدها، الجامع لمحاسن أنسها وعين حيات [كذا] فرضها ونفلها، علامة المصر ومحدث العصر، من جمع الله له أنواع الكمالات وأسعفه بالكرامات ورقاه في المقامات، إمام الموحدين ورآيس [كذا] المجددين ورحمة للمترددين، شيخنا وأستاذنا ومن به نجاتنا المزيل لوحشتنا الساعي في مرضاتنا الواعي لحرمتنا القائم في نصرتنا المذهب لحيرتنا والمرجوا [كذا] لشدتنا، من انتها [كذا] إليه سَيري وغيره خلف ظهري، وسره أضحى جهري ونوره أجلا [كذا] صدري، البدر البازغ المنير على أفق أهل التنوير، سيدي محمد بن بدير رضي الله عنه وعنا به ونفعني ومحبيه بحبه.

---

[170] ذكر الجبرتي أن ظلم الحكام المماليك أهلك العباد فكانت الحياة لا تطاق تحت حكمهم في تلك السنوات. ولعل ذلك دفع المغربي لإطالة إقامته في الحجاز ثم الاسراع بالخروج من مصر إلى القدس.

كان إذا رآني تهلل وجهه بالسرور وظهر ما كمن فيه من الحبور. كنت في مبدأ أمري أزوره غبا فألقى الله في قلبه لي حبا وما ازداد بكثرة زيارته إلا قربا. فما زلت كذلك حتى ألزمني بزيارته كل يوم فبقيت على ذلك مدة. ثم ألزمني بذلك مرتين مرة صباح النهار ومرة مساءه. ثم بعد مدة ألزمني عدم مفارقته بالكلية من طلوع شمس النهار إلى بعد صلاة عشائه. فإذا غبت عنه ساعة من ذلك بإذنه بعد عذر أبديه له يرسل خلفي مراسيل عديدة حتى أحضر لبين أياديه الكريمة، حتى قال لبعض جلسائه، وهو الحاج أحمد الهليس: جعل الله كيفي في فلان، يعني الفقير، فهو أفيونتي، أنظر إذا فارق الأفيون صاحبه كيف يصير حاله. فأخبرني رحمه الله بذلك. وليس لي عمل أرجو الله النجات [كذا] به إلا هذه المنة الجسيمة لأنها خلعته تعالى بمحض فضله، لا لمزية فيّ تقتضي ذلك.

ثم لازمت حضرته الشريفة ثمانية أعوام الملازمة الكلية، ما غبت عن درس قرأه فيها، وسمعت منه صحيح البخاري مرات عديدة والشفاء مرتين وصحيح مسلم مرة والحكم لابن عطاء الله مرتين وحديث الأربعين النووية مرتين وكتب النحو مرارا، وخصني بقراءة ابن عقيل على ألفية ابن مالك وعدة رسائل في علم الأصول وحضرت عليه الشنشوري مع جماعة ومنظومته في الفرائض أيضا وكتابه المسمى بالغنية، حتى ختمنا علم القراءات، وكتب لي الإجازة العامة بخطه ولقنني الذكر مرارا، وأجازني بمطالعة كتب القوم وبقراءة أوراد سيدي مصطفى الصديقي[171] أمدنا الله بأنواره وغير ذلك.

ففي سنة عشرين بعد الألف ومايتين استأذنته في زيارة الأخيار بمصر فأبى، فلم أزل أكرر الطلب منه حتى جاء أوان موسم سيدنا الكليم فاستأذنته في زيارته لكونه في تلك السنة ما زاره فأذن لي، فهيأ لي مركوبه

---

[171] مصطفى بن كمال الدين البكري (ت 1162هـ/1749م).

فأخرجه وصيفه عبد الله لباب الأسباط فلحقته هناك وركبته وتوجهت منفردا وحدي حتى وصلت للحضرة الكليمية فقيض الله لي من ربطه وآواه، فدخلت الحضرة الشريفة في حر الظهيرة، وسألت الله بشفاعة كليمه أن يحنن قلب شيخي البديري علي حتى يأذن لي بالتوجه إلى مصر. فلما رجعت لبين أياديه الكريمة قبلتها بعد شده وقلت له: سقت عليك موسى الكليم إلا ما أذنت لي في التوجه إلى مصر. فاشتد عليه الأمر فبكى فقال: أذنت لك بشرط الإقامة هناك خمسة عشر يوما. فقلت: نعم سيدي.

فتوجهت مع بعض أحبابه على طريق الخليل وكتب لنا مكاتبة لمشايخ الخليل ينظرون ويخيرون [كذا] لنا هجانا يتوجه بنا ذهابا وإيابا فحضروا به حالا، وتوجهنا يوم الثلاثة المباركة غرة صفر الخير، ففي اليوم التاسع منه دخلنا مصر ونحن ثلاثة أنفار فما رأينا في الطريق مكروها ببركة الأستاذ. وأقمنا بها ثلاثة أشهر لفتن قامت بها منعتنا من التوجه. واجتمعنا بعدة من الأخيار الموجودين وزرنا كثيرا من مقامات الأبرار المشهورين فختم الله لي ما تقدم من أول السطور بقراءتي على الإمام المشهور ومن أذعنت له رقاب الجمهور، إنه إمام هذا الفن المأثور أستاذ الأستاذين الشريف الحسيني سيدي الشيخ صالح القزازي، قرأت عليه وأجازني بخطه وختمه بسنده المتصل إلى من أنزل القرءان على من شرف الأكوان قائلا:

أجزت بعد الطلب والقراءة محمد بن محمد بن يعقوب المغربي أصلا المقدسي رحلة بقراءة القرءان كما قرأته بالقراءات السبع من طريق حرز الأماني ووجه التهاني للإمام الشاطبي رضي الله عنه من طريق الإمام ابن الجزري رضي الله عنه على شيخنا الإمام الشريف الحسيني سيدي علي بدر الشهير بالبدري رضي الله عنه، وقرأ شيخنا المذكور على العلامة الشيخ أحمد الاسقاطي الحنفي، وهو عن الشيخ أبي السعود بن أبي النور، وهو عن الشيخ المحقق شمس الدين المنوفي عن الضياء سلطان ابن أحمد المزاحي عن

العلامة سيف الدين بن عطاء الله الفضالي البصير عن الشبراملسي عن الزين عبد الرحمن بن العلامة شحادة اليمني عن الناصر محمد بن سالم الطبلاوي عن الشهاب أحمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي عن الجمال يوسف بن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري الخزرجي عن أبيه شيخ الإسلام المذكور عن الشهاب أحمد بن أسد الاميوطي عن الحافظ المتقن أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي عن العلامة عبد الرحمن البغدادي عن أبي الفضل محمد بن عبد الخالق بن الصايغ عن أبي النجاح علي بن شجاع عن ولي الله أبي القاسم بن فُيِّرة ابن خلف الرعيني الشاطبي عن أبي النجا الشيخ علي بن هزال عن أبي داود سليمان الأموي عن الحافظ الإمام أبي عمرو الداني صاحب التيسير والمقنع، قال في تيسره المشهور وبين الأنام منشور حفص الكوفي: هو حفيص بن سليمان ابن المغيرة الأسدي البزار، كنيته أبا عمر، ثم قال وأما رواية حفص فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبون المقري قال حدثنا بها أبو الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي الضرير المقري بالبصرة قال حدثنا أبو العباس أحمد بن سهل قال قرأت على أبي محمد عبيد بن الصباح وقال قرأت على حفص المذكور وقال قرأت على الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي، ثم قال أبو عمرو الداني وقرأت بها القرءان على شيخنا أبي الحسن طاهر بن غلبون وقال لي قرأت بها على أبي الحسن الهاشمي وقال قرأت بها عن ابن سهل الاشناني وقال قرأت بها على عبيد بن الصباح وقال قرأت بها على حفص عن عاصم.

ثم أقول بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة الحمد لله الذي خص أخصاءه بأنوار أسراره، وأطلع من مشارق قلوبهم مطالع شموسه وأقماره، وأخلصهم من أكدار البشرية وخلع عليهم الملكية بنيل المقامات العلية والرتب السنة [كذا] المختصة بأخياره، وأفاض على أسرارهم عباب بره وإحسانه وأدخلهم مع أكمالهم سرادق حفظه وأمانه، وأظهر لهم منشورا فيه بشائر

رضوانه وامتنانه، في مقعد صدقٍ من عِزه وفخره، وأطاع لهم خلقه وأخدم لهم أفقه وبوأ لهم من أفضاله روض كرمه وأزهار أشجاره، بحمده تعالى على فضله الذي لا يحصى عدده ولا يستقصى مدده حمدا يعم آناء ليله ونهاره، ونصلي ونسلم على من به اتصلت للواصلين تلك الضياءات ومنه حصلت للمهتدين تلك الهدايات ولأجله رفعت للمقربين تلك الروايات، عنه أخذت العروة الوثقى للتمسك بالحق في رقي مناره وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ما فاح عرف الجنة وأزهاره.

وبعد، فقد منّ تعالى على هذا العبد الضعيف باجتماعه على السيد الشريف مولانا وسيدنا العالم العامل الفاضل الأفضل والكامل الأكمل، من أشرقت أنوار أفضاله وجمع الله له بين كل كماله وإكماله فخر أهل الإفتاء والتدريس، من شرف بالتطهير والتقديس مولانا وسيدنا السيد محمد طاهر أفندي بن المرحوم العلامة السيد عبد الصمد أفندي زاده بن الليث الجسور ذي الفضل المأثور مولانا وسيدنا السيد عبد اللطيف أفندي نقيب السادات الإشراف بالديار القدسية نور الله ضريحه وأسعد مديحه. قد وفق الله سيدنا المذكور لقراءة القرآن فحفظه مجودا له في أقل زمان، فلحسن ظنه الجميل بهذا العبد الذليل، طلب مني أن أجيزه بهذا الجليل، فما وسعني مخالفته فاستخرت الله وأجزته بعد مطالعتنا لرسالة لحفص الكوفي لأن حفظه يوافق روايته، وبعد قراءة الختمة بتمامها يسمعني كل يوم نصف جزء برواية حفص بالقراءة المجودة حتى أتمها في مدة طويلة. ثم أقول وأنا الفقير محمد بن محمد بن محمد بن عبد المولى بن يعقوب المغربي أصلا المقدسي رحلة ودارا المالكي مذهبا البديري طريقة، قد أجزت سيدنا محمد طاهر المذكور بهذا السند المشهور المتصل إلى حفص الإمام المشكور عن شيخه الإمام عاصم المبرور التابعي المشهور وأخذ عاصم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي وعن أبي مريم زر بن حبيش وأخذ عبد الرحمن المذكور عن عثمن [كذا] بن

عفان وعن علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وهؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل.

وسألت سيدنا المذكور أن لا ينساني من دعائه الصالح بعد تلاوة القرآن. وأرجو الله لي وله ولسائر الإخوان أن يجعلنا ممن يقال لهم إقرأ وارق على درجات الجنان، في حضرة سيدي ولد عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأكوان. قاله الفقير الحقير محمد بن يعقوب البديري عفى الله عنه تحريرا في سلخ ربيع الثاني سنة 1223)[172].

## محمد طاهر الحسيني

(ت 1282هـ/1866م)

لقد احتلت عائلة الحسيني المعاصرة مكانة بارزة في القدس منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري. فبالإضافة إلى نقابة الأشراف تولى كثير من أبنائها منصب الإفتاء، وكان على رأسهم الشيخ حسن بن عبد اللطيف. وبعد وفاته عين مكانه ابن شقيقه محمد طاهر بن عبد الصمد بن عبد اللطيف.

### سيرته

بعد أن تلقى محمد طاهر مبادئ العلوم الشرعية في القدس سافر في صباه إلى القاهرة طلبا للمزيد من العلم على أيدي كبار علماء الجامع الأزهر. وقد أجازوه بمختلف العلوم الشرعية وبعض الطرق الصوفية. ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الطحطاوي المصري (ت 1231هـ/ 1816م) الذي أجازه في

[172] مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، مخطوط 88م، 123ب-128ب. وعليها ختمه: (محمد).

الفقه الحنفي والحديث الشريف. وفي القدس أجازه الشيخ محمد الدارعي في الطريقة الصوفية الأحمدية عام 1223هـ/1808م كما تقدم.

وفي عام 1224هـ/1809م تولى محمد طاهر إفتاء الحنفية في القدس خلفا لعمه حسن، واحتفظ بذلك المنصب عشرات السنين. لكنه عزل منه لفترات متقطعة بسبب الاضطرابات التي نشبت في القدس خلال الحكم المصري، وبسبب سفره إلى الأستانة.

وقد تواصلت علاقاته الوطيدة بأساتذته السابقين في الجامع الأزهر، ومنهم الشيخ حسن العطار (ت 1250هـ/1834م) الذي زار محمد طاهر في بيته في القدس حسبما ورد في النص التالي الذي وجدته مكتوبا بخط العطار في نهاية رسالة (الإسعاد في تحقيق بانت سعاد) لمحمد البديري ضمن مخطوط مجموع[173]:

(الحمد لله... قوبل هذا الشرح الشريف المنسوب لخاتمة المحققين الشيخ محمد بدير المقدسي. وكانت تلك المقابلة مع كاتب الحروف الفقير حسن بن محمد العطار... والعمدة الفاضل الشيخ عبد الله مفتي غزة، وذلك بالقدس الشريف بمكان مالك الكتاب الفاضل المحقق السيد محمد طاهر أفندي مفتي القدس الشريف. ووافق إتمام المقابلة عصر يوم الثلاثاء السابع من شهر ذي القعدة الحرام من شهور عام 1224).

وفي عام 1227هـ/1812م عين محمد طاهر في وظيفة قراءة صحيح البخاري في مسجد قبة الصخرة. كما أجازه الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي قبيل وفاته في نفس العام بثبته وبالفقه الحنفي. وكتب الشرقاوي تلك الإجازة على الورقة الأولى من رسالة سرد فيها أسانيده، وجاء فيها:

---

[173] مخطوط رقم 88م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

(أما بعد فقد أجزت العلامة الفاضل والإمام الكامل اللوذعي الشهير... بجميع ما تضمنه هذا الثبت وبغيره وأجزته أيضا بفقه الإمام أبي حنيفة... وأجزته أن يجيز غيره بذلك ممن يكون أهلا لما هنالك)[174].

وعندما احتل إبراهيم باشا بلاد الشام، تضجر أهل فلسطين من سياساته وثاروا عليه عام 1250هـ/1834م وكانت القدس مركز الثورة. لكنها فشلت فنفي محمد طاهر مع كثير من أعيان القدس إلى مصر بحجة المشاركة في الثورة والتحريض عليها. ثم سمح له بالعودة إلى القدس عام 1252هـ/1837م. وخلال فترة غيابه شغل ابنه مصطفى وظيفة المفتي بالوكالة.

وبعد عودة الحكم العثماني إلى المنطقة سافر محمد طاهر إلى استانبول حيث توثقت علاقته بشيخ الإسلام عارف حكمت (ت 1275هـ/ 1858م) وغيره من العلماء والوزراء، فأصروا على بقاءه في الأستانة ردحا من الزمن للإستفادة من علمه.

وفي عام 1280هـ/1864م بنى محمد طاهر منزلا في حي الحسينية في واد الجوز، عرف فيما بعد بقصر المفتي وكرمه بكرم المفتي، وقام حفيده محمد طاهر بن مصطفى بتوسيعه عام 1312هـ/1894م. وأصبح المنزل مقرا لنادي الخريجين العرب في عام 1386هـ/1966م.

**مكتبته**

وكغيره من علماء الشرع في العهد العثماني جمع محمد طاهر خلال حياته عشرات الكتب المخطوطة. وتم الاحتفاظ بها في قصره حتى نشوب حرب عام 1387هـ/1967م. فقد أخبرني الأستاذ سعيد إبراهيم الحسيني أنه

---

[174] مخطوط رقم 65م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

نقلها إلى منزله خلال الحرب حرصا عليها، ثم سلمها للدكتور إسحقَ موسى الحسيني، حيث تبرع بها الأخير لمكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

وهكذا اختلطت مخطوطات محمد طاهر مع غيرها من المخطوطات الأخرى التي كانت بحوزة الدكتور إسحق والتي آلت جميعها إلى دار إسعاف النشاشيبي، وبالتالي لم نعد نستطيع تحديد عددها. إلا أنني أحصيت المخطوطات التي عليها تمليكات باسمه فكان عددها 22 مخطوطا، ومن بينها ثلاثة نسخها بخط يده. وتدور موضوعاتها بالدرجة الأولى حول الفقه ثم التصوف والعقيدة واللغة العربية والشعر والحديث الشريف والآداب الشرعية والمنطق.

وقد عثرت بين وثائقه على قصيدة غير مؤرخة مكونة من 42 بيتا، نظمها علي يونس صب لبن نزيل مدينة الخليل ومدح بها المفتي محمد طاهر وهنأه بحلول عيد الأضحى.

**كتابه إلى والي دمشق**

وضمن مجموعة أوراق هند بنت طاهر الحسيني (ت 1414هـ/ 1994م) عثرتُ على رسالة مؤرخة في عام 1266هـ/1849م، كان جدها الثالث[175] محمد طاهر قد حررها إلى والي دمشق عثمان باشا بخصوص التوسط لديه في قضية أحد موظفي الدولة.

وتتعلق الرسالة بكاتب يدعى محمد رشيد بن عمر النابلسي (ت 1316هـ/1898م). وهو من أحفاد الشيخ الصوفي الشهير عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت 1143هـ/1731م). وكان محمد رشيد قد عين في عام 1260هـ/1844م كاتبا في كبرى محاكم دمشق وهي المحكمة البزورية، ثم ترقى إلى وظيفة رئيس كتابها.

[175] هند هي ابنة طاهر بن شكري بن موسى بن محمد طاهر بن عبد الصمد.

ولسبب لا نعرفه عزله والي دمشق من وظيفته. فلما علم محمد طاهر الحسيني بذلك كتب إلى الوالي يستعطفه ليعيد محمد رشيد إليها، وإذا تعذر ذلك فليعينه في وظيفة أخرى.

وترشدنا الرسالة إلى أن إسناد المناصب في العهد العثماني كان يعتمد على الانتماء إلى العائلات الارستقراطية والمحسوبيات بالدرجة الأولى، فيما كانت المؤهلات والكفاءات تلعب دورا ثانويا.

وقد خضعت الرسالة لترميم رديء في عهد الاحتلال البريطاني، حيث أزيل بعض الأحرف وطُمس بعض الكلمات. وفيما يلي نصها:

(أدام الله تعالى وجوده الشريف، ولي الموالي العظام بدر سماء كوكبها الضيآن! وفي الهمم معالي شيم أفندم فضيلتو أفندي ؟

غِب عرض واجب التحيات السنية، وجواهر لطائف التسليمات البهية، وخالص مزيد الأشواق والدعوات الخيرية، بدوام بقائكم الشريف ومزيد الالتقاء بكم، لا زالت أوقات دولتكم مسربلة بالعز والسرور، مقرونة بالعناية والسعد الأغر المشكور، ولا برحت معالي هممكم السنية شامخة، وأركان دولتكم بالمهابة والصيانة سائغة، آمين بحرمة سيد المرسلين وحبيب رب العالمين. هذا وإن الباعث لرقم عريضة الأدعية الخيرية أولا مجرد الاستفسار عن شريف خاطركم الكريم، وثانيا بما أنه ببحر هذه المدة ما حظينا من نحو دولتكم بكتاب به يصير وقوفنا على صحة سعادتكم، سوى بالسؤال من الواردين الحامدين الشاكرين لأفضالكم وحسن كرم عطوفتكم، فحمدناه تعالىعلى ما أولاكم به من التوفيق المحمود والبر المشكور المعهود. ثم ونعرض لسعادتكم أن جناب مولانا عين الأفاضل الكرام السيد محمد رشيد أفندي النابلسي الدمشقي سلالة عمدة العارفين القطب الكامل العارف بالله تعالى حضرة الأستاذ الأعظم سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره العزيز، فالأفندي المومى إليه كان مقررا في رئاسة كتابة محكمة

البزورية من طرف سعادة سلطانم الحاج عبد الله بيك زادة المعظم بموجب تقرير بيده من دولته السنية، واستمر مدة وهو قائم بوظيفة الخدمة المذكورة، والآن بلغنا أنه عزل عنها بدون جنحة وبقي مكسور الخاطر مع أنه كما بلغنا عنه ونعهده رجل ذو ديانة وأمانة ودراية وفطانة. بناء على ذلك واحتراما لجده الأستاذ قدس سره حررنا أسطر الأدعية الخيرية لعنايتكم السنية لأجل احترام جده أن يكون مشمولا بأنظاركم الشريفة بإرجاعه لوظيفته المقرر بها لكي يكون من طرف سعادتكم مجبور الخاطر خصوصا وأن سائر أهالي الشام ؟؟؟ كما قد صار ذلك مسموعا لسعادة دولة أفندينا ولي النعم المعظم أدام الله تعالى أيام دولته العلية بحرمة خير البرية، فاحتراما لجده نؤمل ونرجوا جبر خاطره برجوعه لوظيفته المرقومة كأمثاله واغتنموا دعائه ودعاء عياله إذ سعادتكم ترغبون عمار البيوت القديمة، خصوصا مثل هذه السلسلة الطاهرة الصالحة. وإذا ما أمكن إرجاعه لوظيفته المذكورة نرجوا ثم نرجوا وضعه في محكمة بايكم الشريف بتقرير وظيفة تليق بجنابه. ويكون ثواب ذلك مدروجا في صحيفة دولتكم، نسأله تعالى أن يديم وجودكم ويحفكم بعين عنايته الأبدية وأن يمدكم بأنظار جده القطب العارف حضرة الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره العزيز أينما كنتم وحيثما توجهتم سفرا وحضرا وبكل حال جبرا لخاطره ورعاية لجده، وتكرما بقبول رجاء هذا الداعي نؤمل ونرجوا قبل خروجكم من محروسة الشام يصدر أمركم الكريم بتقريره بوظيفته الأولى أو غيرها في محكمة بايكم الكريم إن لم يمكن رجوعه لها، وبذلك تصيّرونا ممنونين الأفضال فلا زلتم منهلا للواردين وملجأ للقاصدين. نرجو من كرم الله تعالى أن يزيد مراقي عنايتكم، ورفقهِ مجد دولتكم، بحرمة النبي الأعظم والشفيع الأفخم صلى الله تعالى عليه وسلم، والله تعالى يديم وجودكم أفندم. 21 جمادى سنة 66، الداعي محمد طاهر الحسيني مفتي القدس الشريف سابقا).

ادام الله تعالى

وجود الشريف

الى حضرة مولانا ... العظام ... بدر ... كوكبها المختام ... وذي الهمم العالي ... فضيلتلو افندي حضرت [illegible]

بعد عرض واجبات التحيات السنية وجواهر لطايف التسليمات البهية وخالص مزيد الاشواق والدعوات الخيرية بدوام بقاكم الشريف ومزيد ... اتمام المنيف لو زالت اوقات [illegible]

مسربلة بالعز والسرور مقرونة بالعناية والسعد الوفر المشكور ولا برحت معالي هممكم السامية الشامخة واركان دولتكم بالمهابة والصيانة سابغة امين بحرمة سيد المرسلين حبيب

رب العالمين هذا وان الباعث لرقم عريضة الدعوية الخيرية اولا مجرد الاستفسار عن خاطركم الكريم وثانيا بما انه بنحو هذه المدة ما حظينا من جود دولتكم بكتاب يبشر [illegible]

وتوقفنا على صحة سعادتكم سوى بالسؤال من الواردين الحامدين الشاكرين لافضالكم وحسن عطوفتكم فحمدنا الله تعالى على ما اولاكم به من التوفيق المحمود والبر المشكور المعهود ثم ونعرض لسعادتكم ان احبابنا

مولانا عين الافاضل الكرام السيد محمد رشيد افندي النابلسي الدمشقي سلالة عمدة العارفين القطب الكامل العارف بالله تعالى حضرة الاستاذ الاعظم سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره العزيز

افندي المومى اليه كان مقررا في نيابة كتابة محكمة البزورية من طرف سعادة سلطانم الحاج عبد الله بيك عصمت بيك زاده المعظم بموجب تقرير بيك ... من دولة السنية واستمر مدة كذلك بناء على ذلك

[illegible] انه كان بلغنا عنه ونعهده رجل ذو ديانة وامانة ودراية وفطانة ... لكي يكون من طرف سعادتكم بجود

[illegible] بوظيفة الخدمة المذكورة والان بلغنا انه عزل عنها بدون جنحه وبقي مكسور الخاطر ... ان يكون مشمولا بانظاركم الكريمة بارجاعه لوظيفته المقرر بها ... ولنا

اعتبارا ما لجده الاستاذ قدس سره حررنا سطر الدعوية الخيرية لعناياتكم العلية ... افندينا وولي النعم المعظم ادام الله تعالى ايام دولته

[illegible] وكان صار ذلك مسموعا لسعادة دولة ... السيد الغديمة خصوصا

الخاطر خصوصا وان ... كامثاله واغتنموا دعاءه ودعا عياله ... ويكون ثواب

العليه بحرمة خير البرية فاحسانا لجده نؤمل ونرجوا جبر خاطره برجوعه لوظيفته المرقومة نرجوا ثم نرجوا وضعه في محكمة باب الشريف بتقرير وظيفة تليق بجنابه

مثل هذه السلسلة الطاهرة الصالحة واذا ما امكن ارجاعه لوظيفته المذكورة وان بعدكم ما نظا رجل القطب العارف حضرة الاستاذ الاعظم

ذلك مدروجا في صحيفة دولتكم سائلا من الله تعالى ان يديم وجودكم ويحفظكم بعينه عناياته الابدية ورعاية لجده وتكرما

والملاذ ذا الدفم سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره العزيز اينما كنتم وحيثما توجهتم سفرا وحضرا وبكل حال جبرا للخاطر ان لم يمكن رجوعه لها

بقبول رجا هذا الداعي نؤمل ونرجوا قبل خروجكم من محروسة الشام بصدرا امركم الكريم بتقريره بوظيفة الاولى او غيرها في محكمة باب الكبير

وبذلك تصيرونا ممنونين ... فضال فلا زلتم منهلا للواردين وملجاء للقاصدين نرجوا من كرم تعالى ان يزيد مراقي عناياتكم ورفعة مجد

دولتكم بحرمة النبي الاعظم والشفيع الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام ... وجودكم افندم

الداعي محمد الطاهر [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نحا بفضل شهر رمضان وجعل فضل ثوابه مضاعفا لنتهي الا مات واردنا بعوده بشرح بيت الله الحرام وزيارتها بعيد بهما خطرا وبحر الاعداء الكفرة اللئام وبهجة واشعار الدين الاسلام واستحب لذلك مواصلة الاصيد وزيارة الاموات كما اخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان وحيث امدنا الله من فضله بلواء القدس الشريف مكتنفا عاملا حسيبا نسيبا طاهر الاسم والمسمى والاصل الاصيل والفرع الاسيل النبيل والشرف الاعلى والمجد الاثيل يتشرف ان نخدمه ونسعى اليه بالتهنئة والمعايدة بهذا العيد جعله الله عليه وعلى انجاله والمسلمين يوما مباركا عائدا سعيدا وانبتنا الفقير لواهب المن على يوسف صليب [illegible] سماحة مولانا المومى اليه ويستعطف سماحته ومادحا ببعض ما يجب للسماحة من جميل الصفات حالة كونه ذاكرا اشتغالنا على مدة اقامتنا بمدينة الخليل وحضنا علينا الرب بالفرج لتداول الايام فاقول

بسم الذي بمنّا به نستنهج … في كل ذي بال يد النستوج
حمد المولانا الذي قد مدنا … بعد النوى وصلا وفضلا ينبلج
واتاحنا من فضله ساحة … لظهور عصر عاملا يتنهج
اسدى لنا شفعا بمنهج حسنه … زيباء طلعته بها متتوج
اضحى لواء القدس يسمو ذروة … فوق المنازل نوره متسرج
لاسيما تبعا قصنا خليلنا … ضعفاه يلجوه شم الموالج
يا صاحبي ان جزت ذي اس الحما … وعطفت حيا للاحبة يعرج
فاعكف على اطلال ديار الغضا … والو معنا للمطي فرهج
واذا الكم بدت الرسوم فامسكوا … وقفوا على تلك الربوع وعرجوا
عذب المناهل عن ورودها … اشهى واوقع في النفوس وابهج
حيا الايام التي سلفت بها … وليال انس صفوها لا يخرج
اوقات انس كالعرائس بهجة … يا ليتها يا ليت لا تنتزج
كانت لياليها لنا نزهو بها … زهو الكواكب في الدجى تتاجج
حتام اطلب للاماني دعوة … واهم في وصل الاماني اعرج
واضل في بحر الصبابة والهوى … وبياض شيبي صبحه يتبلج
حتى بليت جوانب سكان الغرى … جهدا اداري كل حلق سمج
لازلت اسعى صلاح شؤونهم … نصحا اذ دعى الشقا واهرج
والرب فاض للعلاة والهدى … ان الشقا من بعضهم لا يخرج
ان الضرورة قد دعت لتصانع … مع ذي السفاهة باغيا يتحجج
حسبي من الاقبال ان سوانح … تتلو لذي الالباب نصايد ربح
كم قالت الادباء عند سماعها … لا فض فوك وشم لفظ يبهج
ما بين سنا الامجدين لسانيا … سهم على الاعاد سكم يفلج
من قوفي منكر شمس الضحى … عيناه عشواء الحقوق تحرج
نبا الى هذا الزمان فانه … لتوى الاحبة كربة لا تفرج
لم نلق فيه من الصداقة ساعة … ان الاديب بحر فيه مرجرج
خابت معالمه تلبسا له سوى … هذا الحسيني لهنا ذا يعرج
الطاهر المغني الذي في رأيه … ثوب على اوج العلى يتنسج
حبر اذا ذكرت مآثر فضله … شهدت له الاعداء لا تتلجلج
اعنو وحيد تحزم في درج العلى … وحليف مجد نوره يتارج
هذا ابن فاطمة البتول الزاهر … وابن لحيدرة الوصي الاحرج
من قام نصرا للنبي مؤيدا … فبه حصون الكفر روعا تمزج
فكفاك فخرا يا طاهر ونسبة … من ابن فاطمة الحبيب الابلج
فلانت محفوظ بعين عناية … ترقى بها متن السماك وتعرج
يا فرع اصل سادة علوية … من قد سموا الفخر قدما وادلج
انى اذا حدثت عنك بان اقل … يحمي حمى ذا حض مستوج
او ان اقل غوث الضعيف الملتجي … كهف ملاذ خيرها استحرج
لا زلت طودا شامخا اوج العلى … وسبيل رشد نوره يتفوهج
بشرى بفضل ذي الرحمة الكامل … قائم بامر الشرع شم المنهج
واهنأ بعيد النحر وفايا الصفي … فيه اليك بكل فضل منبج
واقبل عروسة بنت فكر حكيم … زفت لديك وطرفها يتغنج
ما مهرها الا القبول وحسبها … انظاركم ولغيركم لا تحوج
واحسن ختاما بالصلاة على النبي … تحيه انا من كل ضيق مخرج

ولكن بقاء الرسالة في حوزة المفتي وذريته يؤكد أنها لم ترسل إلى والي دمشق، كما أنها لا تحتوي على ما يشير إلى كونها مسوّدة لرسالة أخرى. ولم أعثر على سبب مباشر ذلك. لكنني أعتقد أن محمد طاهر بلغه عزل عثمان باشا من منصبه عقب تدوين الرسالة عام 1266هـ/1849م، حيث عين مكانه محمد سعيد باشا الداماد[176]، وبالتالي لم يعد هناك أي مبرر لإرسالها.

على أي حال فإن محمد رشيد النابلسي قد تدرج في المناصب وتولى نيابة بعلبك وصيدا وحيفا ونابلس وغزة في فترات لاحقة. وتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الصالحية في قبة جده الأعلى إسماعيل النابلسي[177].

## حسين السرخي
(ت 1325هـ/1907م)

يجثم فوق جبل شاهق جنوبي قرية السواحرة قبر ظاهر بجوار أنقاض دار توحي للناظر أن صاحبها كان له شأن عظيم فيما مضى وغبر من عهود توالت على الديار القدسية، وهو الشيخ حسين السرخي.

ويشير شاهد القبر إلى أن الشيخ توفي عام 1325هـ/1907م. أي أنه عاش حتى أواخر العصر الحميدي. وإذا علمنا أن منطقة السواحرة لم تلعب دورا هاما في تاريخ القدس، نظرا لبعدها عن الطرق الرئيسية، خلافا للقرى الواقعة على الطرق الهامة التي تربط بين القدس وغيرها من المدن كالخليل ونابلس ويافا، فلا عجب أن تهمل كتب التاريخ هذا الشيخ كما أهملت منطقته.

---

[176] علماء دمشق في القرن الثالث عشر، 2: 531.

[177] تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، 1: 156.

ولا بد إذن من الرجوع إلى الوثائق والحجج المخطوطة التي حُفظت على مر الزمان لتروي لنا ما أغفلته الكتب، مع الاستئناس بالروايات واستبعاد ما يتناقض منها مع الوثائق المدونة والوقائع التاريخية.

**سيرته**

هو الشيخ حسين بن محمد بن حسن السرخي، وعرّف في بعض حجج المحكمة بالساحوري. ويروي لنا كبار السن من أقاربه أنه فقد والده وأصيب بالكساح في الثالثة من عمره، ولم يقو ذووه على القيام بواجب التربية في بيئة تتطلب بأسا شديدا وبُنية سليمة تقوى على احتمال قسوة الحياة في جبال القدس.

ولذا اتفق أهله على توطينه داخل أسوار القدس ليواجه قدره فيها. فحملوه إليها، حيث صادفهم أحد فضلائها فقصوا عليه الأمر فكفله ورعاه كما يرعى الأب ابنه، فكان له خير معين.

وقد تفكر الفاضل المقدسي[178] في أمر ذاك الصبي، فلم يجد خيرا له من العلم، عسى أن يكون له معينا على نوائب الدهر عندما يشتد أزره. وهكذا لحق الغلام ببعض مدارس القدس فبرع في علوم الشرع، فذاع صيته وعلا شأنه ومارس التدريس في القدس بعد تخرجه.

وقد تردد وصفه في كثير من الحجج بالشيخ (الحافظ لكتاب الله)، وكانت تلك مرتبة علمية واجتماعية رفيعة المستوى في ذلك العهد. ويبدو أن ذكره قد انتشر خارج القدس بل وخارج فلسطين، حيث يؤكد بعض أقاربه أن السلطان عبد المجيد أهداه مصحفا عليه ختمه. وقد عثرت على حجة في سجلات المحكمة باللغة التركية ورد فيها ذكره[179]. ومع ذلك فلم يحظ الشيخ

---

[178] لم أقف على اسمه.

[179] سجل 358.

بمنصب يليق بعلومه، حيث كانت العائلات المقدسية تتوارث الوظائف في العهد العثماني، فبقيت حصرا عليهم من جيل إلى جيل.

وسرعان ما أصبح الشيخ حسين على جانب من الثراء في بيت المقدس، حيث تشير عدة حجج إلى قيامه بأعمال تجارية. فقد تملك دارا في حارة باب حطة عام 1284هـ/1867م، ودارا أخرى في حارة باب العامود عام 1287هـ/1870م. وتشير حجة صادرة في عام 1289هـ/ 1872م إلى علاقات تجارية كانت تربطه ببعض أبناء قرية لفتا. وكان (الشيخ حسين بن محمد حسن السرخي المتوطن بالقدس الشريف) شاهدا على بيع دار في مدينة الخليل عام 1299هـ/1883م.

ورغم أنه نشأ داخل أسوار القدس وصاهر أهلها، فإنه لم يقطع صلاته مع ذوي رحمه، حيث كان يتردد على مضاربهم بين الفينة والأخرى. ومما يدل على ذلك حجة بيع كتبها بخط يده عام 1263هـ/ 1847م، وهي بحوزة الشيخ قاسم السرخي. وإذا كان جمال الخط يدل على ثقافة المرء واتساع أفقه فإن تلك الحجة تشير إلى شيخ عالم عظيم الشأن. وكذلك فقد ابتنى حسين بيتا ضخما أشبه بالقصر في جبل الحردان أمضى فيه أواخر عمره. لكنه تهدم لاحقا خلال الزلزال الذي ضرب فلسطين عام 1345هـ/1927م.

وكان آخر ذكر للشيخ السرخي في سجلات المحكمة عام 1323هـ/ 1905م بخصوص خلاف مع عائلة قطينة المقدسية. وقد أعقب الشيخ في القدس وفي قرية السواحرة. وبرز من أبنائه عطاء الله الذي تلقى بعض علوم الشرع ومارس التدريس في القرية، لكنه لم يصل إلى مرتبة والده.

ويروى أن الشيخ حسين خلف مصنفات عديدة خطها بيده، لكنها تسربت من حوزة أحفاده بعد عام 1387هـ/1967م إلى جهة دفعت أثمانا مغرية لها. ورغم أنني لم أعثر على دليل مادي يثبت صحة ذلك فليس بمستبعد، استنادا إلى ما قدمنا من سيرته واتساع ثقافته. وقد اطلعت على

مخطوطات تتناول موضوعات الفقه والتصوف وخطبة الجمعة، وينسبها إليه بعض أقاربه، لكنها لا تحتوي على اسم المؤلف أو الناسخ، ولعلها من مخلفات ابنه عطاء الله.

## الجذور

ينتمي سكان السواحرة الحاليين إلى قبيلة العَمر من بني عقبة في شرقي الأردن. وقد رحلوا إلى الجبال الواقعة جنوب قرية أبو ديس في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. وكانت تلك المنطقة تعرف ببيت ساحور الواد أو سواحرة الوادي، وذلك لقربها من قرية بيت ساحور ووادي الأردن. وكان يقطنها قبلهم عرب هتيم الذين ترجع أصولهم إلى بدو سيناء[180]، ويرد ذكرهم في كثير من سجلات المحكمة قبل القرن الثالث عشر الهجري، وخاصة بني سعيفان الذين امتد نفوذهم حتى قرية أبو ديس.

وتشير حجج المحكمة إلى مشاركة كثير من عائلات القدس لسكان سواحرة الوادي في ملكية وزراعة بعض أراضي القرية. ومن ذلك حجة صادرة عام 1043هـ/1634م وتتناول تحديد الحصص في أراض مشتركة بين أشخاص من السواحرة وشركائهم من آل النشاشيبي[181].

وفي حجة صادرة عام 1045هـ/1636م باع نفر من آل النشاشيبي كرما (لمعالي بن عميرة من بيت ساحور الواد الكائنة ظاهر القدس الشريف بثمن قدره سبعة غروش أسدية)[182].

وورد في إحدى الحجج أن أحد سكان منطقة بيت ساحور الواد كان يعمل مزارعا في قطعة من أراضيها، بعضها جار في وقف الشيخ علاء الدين

---

[180] معجم بلدان فلسطين، 459.

[181] س ش 122: 252.

[182] س ش 125: 12.

البصيري والبعض الآخر في ملك ورثة الشيخ عبد الوهاب الجاعوني وذلك في عام 1185هـ/1771م[183]. وتدلنا حجج أخرى على أن علاقات المزارعة بين آل الجاعوني ونفر من سكان بيت ساحور الواد استمرت حتى عام 1299 هـ/1882م على الأقل[184].

وكان عرب السواحرة الجدد قد استوطنوا جبل الحردان[185] بادئ ذي بدء، حيث ما زالت منازلهم القديمة قائمة هناك حتى اليوم. وقد بدعوا بالتوسع شمالا في عهد الاحتلال البريطاني حتى اتصلت منازلهم بأراضي قرية أبو ديس.

---

[183] س ش 254: 341.

[184] سجل 369.

[185] يقع على بعد كيلومتر واحد جنوبي قرية السواحرة الشرقية.

## القدس في عصر السلطان عبد الحميد

لقد ارستمت صورة عن عصر السلطان عبد الحميد في أذهاننا لا نرى فيها سوى الجهل والفقر والمرض. وكانت سلطات الاحتلال البريطاني ومن سار على دربها قد شجعوا على ترسيخ تلك الصورة، فتناقلتها الأجيال من بعدهم بحيث لم يعد من السهل علينا أن نتخيل صورة مخالفة لها في وقتنا الحاضر.

ونورد مثالا على ذلك ما جاء في الكتاب التربوي "تاريخ فلسطين" الذي أصدره عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح في القدس عام 1341هـ/1923م: (انحسر الأتراك عن بلادنا ولم يتركوا لنا شيئا من المدنية. حكمونا 400 سنة فأين ثكناتهم العسكرية؟ وأين طرقهم العمرانية؟ أين مدارسهم ومعاهدهم العلمية؟ أين آثارهم الفنية وإصلاحاتهم المدنية؟ لا شيء من هذا)[186].

لقد صدر هذا الكتاب ولم يمض على زوال الحكم التركي سوى خمس سنوات. فهل غفل المؤلفان عن سور القدس وبركة السلطان والأسبلة والمدرسة الرشيدية ومبنى البلدية والمستشفى البلدي وبرج الساعة في باب الخليل؟ ولا شك أنهما كانا أدرى ببقية المنشآت العمرانية التي شادها العثمانيون في القدس.

وفي محاولة لإلقاء الضوء على مستوى الحياة العلمية في القدس آنذاك، نذكر بعض الأكاديميين المقدسيين الذين تلقوا علومهم في جامعة استانبول. فممن درسوا الطب في تلك الجامعة حسام الدين أبو السعود (ت 1357هـ/1938م)، الذي أتم دراسته فيها قبل نهاية القرن التاسع عشر، واشتهر بالرضا بالقليل وبمعالجة الفقراء وتزويدهم بالأدوية مجانا، حتى أنه

---

[186] تاريخ فلسطين، 289.

أمضى حياته في دار مستأجَرة. ومنهم أيضا علي النشاشيبي الذي درس الطب البيطري في جامعة استانبول، وأعدمه جمال باشا[187] عام 1334هـ/1916م.

وممن درسوا في كلية الهندسة في جامعة استانبول نظيف الخالدي (ت 1334هـ/1916م) والذي ساهم في بناء سكة حديد الحجاز، حيث خيم في جبل قرب عمان، وأصبح ذلك الجبل يحمل اسمه فيما بعد. وتخرج منها رشدي الامام الحسيني (ت 1389هـ/1969م) عام 1331هـ/1913م والذي شارك أيضا في بناء سكة حديد الحجاز، ثم عين مهندسا لدى المجلس الاسلامي الاعلى في القدس. ودرس الهندسة فيها أيضا راغب النشاشيبي (ت 1370هـ/1951م) رئيس بلدية القدس في عهد الانتداب.

أما كلية الحقوق فقد تخرج منها عدد كبير من المقدسيين نذكر منهم عارف بكر الدجاني (ت 1348هـ/1930م) الذي ترأس بلدية القدس إبان الحرب العالمية الأولى. وتخرج منها أيضا طاهر علي الأفغاني الذي نال شهادتها عام 1334هـ/1916م وعين قاضيا في المحكمة المركزية في عهد الاحتلال البريطاني. وتخرج منها العديد من أبناء عائلة الخالدي ومنهم محمد يوسف ومصطفى وعوني. ولعلهم اعتنوا بدراسة الحقوق بالذات حفاظا على مهنة آبائهم وأجدادهم الذين شغلوا عدة مناصب في محاكم القدس منذ العصر المملوكي.

هذه أمثلة قليلة عن بعض خريجي جامعة استانبول المقدسيين. وتضم مكتبات القدس التراثية كثيرا من الكتب التي كان يستخدمها أولئك الطلبة في استانبول في العصر الحميدي، والتي تم طبعها في أوائل القرن الرابع عشر الهجري. وتشمل كتبا في علم الطب والحقوق والتاريخ والجغرافيا وغيرها، وهي تشكل دليلا ملموسا على تطور الحياة الفكرية والعلمية في ذلك العصر.

---

[187] ثمة فارق كبير بين سياسة السلطان عبد الحميد تجاه العرب وبين سياسة جمال باشا الاتحادية.

وإنصافا للتاريخ، لا بد من الإشارة إلى أن السلطان عبد الحميد قد فاق من سبقه من سلاطين بني عثمان في بذل جهود عظيمة كانت تهدف إلى الربط بين الحضارة الاسلامية والتكنولوجيا الغربية، كما أنه لم يأل جهدا في تطوير المدن التركية والعربية على حد سواء. ومن بعض مآثره في مدينة القدس تأسيس المستشفى البلدي غربي المدينة عام 1308هـ/1891م، وبناء خط السكة الحديدية بين القدس ويافا عام 1309هـ/1892م، وتأسيس شبكة الهاتف عام 1323هـ/1905م.

وننقل هنا شهادة الشيخ يوسف النبهاني (ت 1350هـ/1932م) الذي عاصر السلطان عبد الحميد، وقال: (بلغني من الثقات أنه لا ينام في الليل إلا قليلا وهو جالس متى غلبه النوم، وإنما يضطجع للنوم ضحوة النهار ويكتفي منه بالقليل. كل ذلك وهو مستغرق أوقاته في مصالح الأمة المحمدية)، وأنه (بنى الألوف من الجوامع والمساجد والزوايا والمدارس وباقي الآثار النافعة... وبنى حفظه الله كثيرا من الحصون والقلاع والمحلات العسكرية، وجدد كثيرا من السفن الحربية والأسلحة النارية وسائر الأدوات الجهادية)[188].

ولطالما أكد بعض المعمرين الذين عاصروا السلطان عبد الحميد وما ساد بعده من أنظمة أن أزهى فترة عاشوها كانت فترة الحكم التركي رغم كافة سلبياتها. وننقل هنا شهادة الصحافي الفلسطيني محمد علي الطاهر (ت 1394هـ/1974م) الذي قال في عام 1351هـ/1932م: (مما لاحظه الناس وبالأخص الذين شهدوا الأيام التي سبقت الاحتلال البريطاني في فلسطين أن البلاد لم تكن فقط أسعد مما هي الآن، بل إنهم قد رأوا بعيونهم أنها كانت سعيدة فأصبحت تعسة مسكينة من كل جهة)[189].

[188] خلاصة البيان في بعض مآثر مولانا السلطان، 18- 20.

[189] نظرات الشورى، 89.

وأشار الطاهر إلى شدة هطول الأمطار في العهد العثماني وانحباسها في عهد الاحتلال البريطاني، فقال: (فالاحتلال لم يسلبها فقط استقلالها وعزها ومجدها وعظمتها، بل إنه سبّب لها فوق ذلك قلة البركة في كل شيء. حتى أن المطر ما عاد ينزل كما كان من قبل. وقد أصبح المقدار الذي تجود به السماء نصف ما كان عليه. وصار الجراد يغزوها كل عام أيضا)[190].

وقد ورد في مذكرة أرسلها الحاج أمين الحسيني وفؤاد سابا إلى اللجنة الملكية البريطانية في القدس عام 1355هـ/1937م ما يلي:

(لقد كان العرب يؤلفون جزءا مهما من كيان الدولة العثمانية. ومن الخطأ أن يقال أن العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك وأن حركتهم ومساعدة الحلفاء لهم إنما كانت ترمي إلى تحريرهم من ذلك النير. فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك، سياسية كانت أو غير سياسية، وذلك بحكم الدستور العثماني الذي وضع أساس حكم واحد لجميع البلاد والعناصر التي كان يتألف منها كيان الدولة العثمانية. وكان العرب يشاطرون الأتراك في جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية، الرئيسية وغير الرئيسية. فكان منهم وزارات ووزراء وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون). وأضافت المذكرة أن القدس كانت لواء مستقلا وأنها (كانت تتمتع بصلاحيات واسعة في الإدارة والمالية والتعليم والعمران)[191].

وننقل أيضا ما كتبه حنا خلف في القدس عام 1376هـ/1957م:

(يذكر الزملاء الذين عاصروا العهد العثماني أن العرب في تلك الحقبة التاريخية كانوا بصورة عملية يتكتلون على أسس عائلية، وأن تلك النظم العائلية كانت محبوكة بمبادئ وقواعد اشتراكية لم تترك مجالا للفراغ في حياة

[190] نظرات الشورى، 89.

[191] مذكرة اللجنة العربية العليا المقدمة إلى اللجنة الملكية بالقدس، 5-6.

الجماعات والأفراد. كما أنها كانت كفيلة إلى حد كبير بسد حاجات الفرد وتأمينه بنوع خاص من أنواع الضمان الاجتماعي في حالات العوز والفاقة والمرض. أما الآن فإن هذه الأسس العائلية بحكم التطور التاريخي قد تضعضعت)[192].

وكذلك فإن المتتبع للحياة العامة في عصر عبد الحميد يلمس الرضا والارتياح لدى مواطني الدولة العثمانية من كافة الأديان والأجناس كاليهود والأرمن والأكراد والعرب، حتى أن البطريرك الماروني إلياس حويك تأسف على زوال حكم عبد الحميد وأعرب عن قلقه على مستقبل الطائفة المارونية مما قد يأتي بعد عصر السلطان، وقال: (لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولا نعرف ماذا تخبئ لنا الأيام من بعده).

وفي إشارة إلى تمتع الأقليات في القدس بحقوق دينية واقتصادية واسعة النطاق في العهد العثماني قالت الكاتبة البريطانية آن ديردن في كتابها Jordan حول قلق المسيحيين في القدس من زوال الاحتلال البريطاني:

(بالنسبة للجاليات المسيحية التي تنعمت طيلة ثلاثين عاما بالحكم المسيحي في ظل الانتداب البريطاني، فإن العودة إلى سلطة المسلمين أثارت لديهم المخاوف بالطبع. ولم يكن الداعي لها ذكريات سيئة عن الحكم العثماني. بل إن كافة القرون التي ساد فيها الحكم الإسلامي قبل الانتداب البريطاني اتسمت عموما بالتسامح والحماية. فمن بين الديانات الثلاث الراسخة في الأراضي المقدسة، كان الإسلام على الدوام أكثرها استعدادا للاعتراف بحرمة الأديان الأخرى. كما أن المصلحة الذاتية كانت تقتضي توجيه عناية شديدة بالمؤسسات المسيحية، لأن الأماكن المقدسة كانت وما زالت مصدر دخل هام بواسطة الحجاج. وبالفعل فقد كان هناك مسيحيون في عهد الانتداب يشكون

---

[192] من وحي النضال، 53.

من أنهم نالوا رعاية من البريطانيين، الذين تحيزوا لهم رسميا، أقل مما نالوا من الأتراك الذين امتازوا بالحذق وبالعقلية التجارية. ففي عام 1948 لم يكن الأثر الديني للسيطرة الإسلامية هو السبب في قلق المسيحيين). وقالت ديردن أن السبب الحقيقي لهذا القلق كان خشيتهم من القومية العربية والفقر وانعدام الأمن في مستقبل مجهول[193].

ولربما تتبغي علينا إزالة "الجهل" من الصورة الزاسخة عن عصر السلطان عبد الحميد في أذهاننا. ولعل من الإنصاف أيضا أن نميز عصر عبد الحميد عن العصر الذي تلاه، حيث تولى الاتحاديون السلطة بعدما عزلوا السلطان وأذاقوا العرب مرارة الجوع والمرض والظلم والتتريك والعصبية القومية، وباعوا البوسنة إلى النمسا بخمسين مليون كرونا، وكانوا السبب الأول والمباشر في وقوع بلاد الشام والعراق تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا.

وأما الحكام الذين سبقوا عبد الحميد فقد كانوا أسوأ من الذين سيطروا على مقاليد الدولة بعده. فقد اعتلى عبد الحميد عرش الخلافة عام 1293هـ/ 1876م في الوقت الذي كانت الدولة توشك على الانهيار في ظل سلاطين ماجنين يتحكم بهم الصدر الأعظم مدحت باشا الخبيث الذي خان أمته وخدم أعداءها.

ويتبين لمن يطالع تاريخ الدولة العثمانية أن عبد الحميد أطال عمرها فترة، هي في الواقع مدة توليه الحكم، حيث كان يصارع رجالات الدولة الذين دسهم الغرب للقضاء عليها، لكنه لم يستطع في نهاية المطاف إصلاح فساد استشرى في بدن الأمة حتى نخر عظامها، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر، مهما أوتي من إخلاص وحكمة. وكان اللورد الانجليزي بيكونسفيلد قد وصف ذلك السلطان بأنه (لم يكن فاسقا ولا ظالما ولا مرتشيا). هكذا كان حال الدولة قبل عبد الحميد وبعده، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

[193] ترجمة عن كتاب Jordan للكاتبة Ann Dearden صفحة 184.

# رحلات إلى القدس الشريف

لقد بذل الدكتور كامل العسلي جهدا كبيرا في تقصي الرحلات التي قام بها مسلمون وعرب إلى بيت المقدس ودوّنوا مشاهداتهم فيها عبر العصور، وجمع ما توصل إليه في كتابه (بيت المقدس في كتب الرحلات).

وقد وردت أخبار عن رحلات أخرى إلى القدس، لكنها لم تنشر حتى الآن. ومنها رحلة محمد بن محمد علي الحكيم (ت 1335هـ/ 1917م) الذي دون أخبارها في كتاب نفحة الروض البليل في رحلة القدس والخليل[194]. وكذلك فقد زارها بعض المشاهير ودونوا وصفا مقتضبا حول بعض مشاهداتهم الخاصة. ومنهم شمس الدين محمد بن سالم الحفناوي المصري[195] (ت 1181هـ/1767م) الذي ذكر الجبرتي رحلته إلى القدس عام 1149هـ/ 1736م بعد أن أذن له أستاذه مصطفى البكري وقال:

(فترك الإقراء والتدريس وتقشف وسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس. فقيل له إذا دخلت بيت المقدس فادخل من الباب الفلاني وصل ركعتين وزر محل كذا. فقال لهم: أنا جئت قاصدا بيت المقدس وما جئت قاصدا إلا أستاذي، فلا أدخل إلا من بابه[196] ولا أصلي إلا في بيته. فعجبوا له، فبلغ السيد كلامه فكان سببا لإقباله عليه وإمداده. ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى بيت الأستاذ فقابله بالرحب والسعة وأفرد له مكانا... قال فامتثلت إشارته ومكثت عنده أربعة أشهر كأنها ساعة غير أني لم أفارقه قط)[197].

---

[194] معجم المؤلفين، 11: 250.

[195] ومن آثاره في القدس رسالة في مخطوط رقم 48م وعنوانه (الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية) وأخرى في مخطوط رقم150م وعنوانه (حاشية على شرح الرحبية) في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.

[196] وهو باب الناظر، حيث كانت تقع دار البكري.

[197] عجائب الآثار، 1: 339، 351-352.

وفي عام 1354هـ/1935م زار القدس إبراهيم السيد عيسى المصري، ووصفها في الجزء الأول من كتابه (مجمع الآثار العربية). ورغم أنه خصص حوالي 80 صفحة للحديث عن القدس، إلا أنه نقل أكثرها من مطبوعات متداولة. ولم يتحدث عن مشاهداته الخاصة إلا نادرا، وهي ما يهمنا نقله في هذا المقام. ومنها زيارته للمكتبة الخالدية في حي باب السلسلة واجتماعه بالشيخ راغب الخالدي الذي حدثه عن تاريخ المكتبة ومحتوياتها، كما سيأتي[198]. وقد وصف المسجد الأقصى وتحدث عن تاريخه وإعماره في عهد المجلس الاسلامي الاعلى. ثم قال:

(للمباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما حالا كل من يتاح له التمتع بمشاهدتها أيا كان. فإذا سرح الطرف متأملا في عجائب صنعتها ازداد تأثره واتسع شعوره وحلق وجدانه، مرتقيا من الحسن إلى الأحسن ومن السامي إلى الأسمى، فيخشع قلبه وتحل عليه روحانية لطيفة تسمو بنفسه إلى إدراك حقائق الدين ودقائق معانيه ونبيل مقاصده)[199].

وسأتناول فيما يلي رحلة إلى القدس في العهد العثماني وأخرى في العهد البريطاني لم يتطرق إليها العسلي في كتابه المذكور. ورغم أن الرحلات الأخيرة التي قام بها سليم سركيس لا تندرج تحت عنوان هذا الكتاب، إلا أن الحديث عنها يأتي استكمالا لموضوع كتاب العسلي الذي غطى الرحلات إلى القدس الشريف حتى عام 1386هـ/1966م.

ولعل الغاية من إعادة نشرها تطابق ما رمى إليه العسلي، ألا وهو عرض النصوص التي نشرت في مطبوعات قديمة لم يعد الوصول إليها سهلا، في الوقت الذي يحتاج إليها كثير من المؤرخين والباحثين.

---

[198] مجمع الآثار العربية، 118.

[199] مجمع الآثار العربية، 154.

# رحلة نجيب نصار

الرحلة الأولى قام بها نجيب خوري نصار اللبناني[200] عام 1320هـ/1903م. وعلى أهميتها فهي لا تخلو من معلومات مغلوطة، فبعض الأرقام والعبارات الواردة فيها بحاجة إلى تمحيص. وقد استند نجيب في مقالته التي نشرها حول رحلته في مجلة (الجامعة) الصادرة في الاسكندرية عام 1320 هـ/1903م على مراجع أجنبية فحسب. وقد جاءت في 15 صفحة، وهي تركز على تاريخ المدينة القديم مع ملاحظات على واقعها في مطلع القرن العشرين. وفيما يلي مقتطفات من مقالته:

## بيت المقدس: أورشليم أو القدس والأماكن المشهورة فيها لحضرة نجيب أفندي خوري نصار اللبناني في طبريا

هي المدينة الطائرة الصيت والذائعة الشهرة لاشتهارها بالوقائع التاريخية والحوادث الدينية التي جعلتها منذ ابتداء التاريخ المدني ذات شأن مهم في كل قرن تقريبا. فكانت شهرتها تتعاظم كلما تقادم عهدها حتى اشرأبت إليها أعناق الملوك وتسابقت الأبطال إلى اكتساب الشهرة بالحرب عند أبوابها والمدافعة عن أسوارها. وسعت إلى السجود في معابدها رجال الدين وتاق الأتقياء من كل ملة إلى تأدية فرائضهم الدينية فيها معتقدين أن كل وطأة قدم من أديمها مقدسة بما وطأها من أقدام الأنبياء والمرسلين.

---

[200] (1865-1948م) رحل من لبنان إلى طبريا للعمل في المستشفى الإسكتلندي وزار القدس خلال فترة عمله بالمستشفى حيث كان ذا ميول غربية. وبعد حين استقر في حيفا حيث تغير منهجه ونحا منحا قوميا عربيا. لذا فإن مقالته هذه لا تعبر بالضرورة عن نمطه البحثي في مصنفاته الأخرى.

### موقعها الجغرافي

موقعها الجغرافي على سلسلة جبال كلسية قائمة في وسط فلسطين وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلا إلى الجهة الجنوبية الغربية من يافا في عرض شمالي 47-31 وطول شرقي 15-35 من كرينوج[201]، وتعلو 2560 قدما عن سطح البحر.

والمدينة الأصلية محاطة بسور محيطه ميلان وثلاثة أرباع الميل وارتفاعه نحو ثمانية وثلاثين قدما، وفيه أربعة وعشرون برجا[202] وثمانية أبواب أشهرها باب الخليل نسبة إلى حبرون بلد إبراهيم الخليل، والافرنج يسمونه باب يافا وهو في جهة السور الغربية؛ وباب صهيون المعروف بباب النبي داود لأنه واقع على جبل صهيون مدينة داود الأصلية في الجهة الجنوبية؛ وباب العمود المسمى أيضا باب دمشق؛ والباب الحميدي[203] الذي فتح من عهد قريب، وكلاهما في جهة المدينة الشمالية؛ والباب الجميل[204] في الجهة الشرقية مسدود.

### أسواقها وأبنيتها وسكانها

أسواقها ضيقة وقذرة بسبب ازدحام الأقدام، وبعض أقسام منها أقبية مظلمة وفيها منعطفات كثيرة، وليس فيها انتظام كأسواق المدن الجديدة.

والمدينة مبنية على أربع تلال يفصل بينها بأودية صغيرة يميزها الناظر من جبل الزيتون الواقع إلى شرقيها. واسم هذه التلال صهيون وهو

---

[201] أي خط غرينيتش.

[202] ذكر عارف العارف في المفصل أن فيه 34 برجا.

[203] كان باب الخليل أهم أبواب القدس حيث كان المسافرون إلى الخليل ويافا يمرون عبره. وبعد النكبة تم إغلاقه وغدا باب العامود أشهر أبواب المدينة.

[204] يسميه الغربيون الباب الذهبي. وهو في الواقع بابان: باب الرحمة وباب التوبة.

القسم الجنوبي الغربي من المدينة، والموريا أو جبل الهيكل المقدس وهو القسم الجنوبي الشرقي. ويقابلهما تلا أكرا وبرانيا والمدينة الجديدة.

امتدت المدينة في السنين الأخيرة مسافة ثلاثة أميال إلى الجهة الشمالية الغربية ونحو ميل إلى الغرب وميل ونصف إلى الجنوب الغربي. وكثرت فيها الأبنية المتقنة والقصور الشاهقة والمستعمرات الاسرائيلية. وازداد عدد سكانها من خمسة وأربعين ألفا في سنة 1897 إلى ما يزيد عن السبعين ألفا في يومنا هذا[205]، منهم نحو تسعة آلاف من المسلمين. وبينهم عائلات عريقة جدا في النسب كالأسرة الحسينية المتسلسلة من سيدنا الحسين ابن علي بن أبي طالب والأسرة الخالدية نسبة إلى خالد بن الوليد. ونحو عشرة آلاف من المسيحيين بينهم عدد من الأرمن والأقباط والألمان والأروام وبعض الأميركان. والباقون يهود من إسبانيا وجزائر الغرب وكردستان ورومانيا وأوستريا وروسيا. وأكثرهم هاجروا منها إلينا في السنين الأخيرة بسبب ضغط بعض تلك الدول عليهم.

**ماؤها**

لولا قلة المياه في القدس لنمت كثيرا عن ذلك وصارت أم المدن السورية رغما عن رداءةِ فرضتها يافا، وقلة محاصيلها لجدب الأراضي حواليها. وقد جرّت إليها الحكومة السنية من مضي ثلاث سنوات مياه برك

---

[205] يشكل ذلك تقديرا آخر لعدد سكان القدس في تلك الفترة. حيث قدرت سلطات الاحتلال البريطاني أن عدد سكان القدس في عام 1890 كان 42 ألفا منهم 9000 مسلما و 8000 مسيحيا و 25000 يهوديا؛ وفي عام 1910 كان 70 ألفا منهم 12000 مسلما و 13000 مسيحيا و 45000 يهوديا.

سليمان الواقعة على مسافة خمسة أميال إلى جنوبيها باسطوانات حديدية[206]، غير أن هذه المياه قليلة في جنب حاجة المدينة.

### هواؤها

جيد على ما اختبرناه بأنفسنا وسمعناه من أذكياء الأطباء الموجودين فيها. وهو معتدل بنسبة ارتفاعها عن سطح البحر.

### تاريخها

يسمح لي القراء أن أكتفي بذكر المهم منه بإيجاز، لأنه وإن يكن غير خاف ما في مطالعة التواريخ المستوفاة من الفكاهة وما يجتنيه المدققون من متابعة ارتقاء وانحطاط البلدان بسلامة وفساد مبادئ الحكام والشعوب، وغير ذلك من الفوائد كدرس أخلاق الرجال ومعرفة أطوار البشر، فإن ذِكر ما قل ودل مراعاة لضيق المقام لخيرٌ من ترك الكل[207].

أول ما ورد ذكر هذه المدينة في التوراة باسم شاليم، مدينة ملكي صادق الكاهن العظيم... ودعيت القدس أيضاً يبوس نسبة الى اليبوسيين الذين لم يقو اليهود على طردهم منها، وكانت عاصمة لهم حتى قبض داود على صولجان الملك على مملكة إسرائيل كلها، فحصنها وجعلها كرسي مملكته وصارت تدعى أورشليم والمدينة المقدسة ومدينة الملك ومدينة داود وصهيون. وبقيت عاصمة المملكة وكرسي الديانة مدة تنوف عن خمسمائة

---

[206] تقع على طريق الخليل القديم على بعد 15 كم من القدس. وهي ثلاث برك تصل إليها المياه من عدة ينابيع. وكانت هذه القناة مكشوفة منذ أيام الرومان. وقد حرص حكام القدس المتعاقبون على صيانتها وترميمها. وكانت تدعى قناة السبيل أو قناة العين.

[207] رغم حرصه على الإيجاز، كما بين هنا، فإنه قد أسهب كثيرا في سرد حوادث تاريخية، وخاصة في عصور ما قبل الميلاد. لذا فقد اختصرت كثيرا من مقالته، وخاصة ما لا علاقة له بوصف المدينة ومعالمها.

وخمسين سنة، حاربها في غضونها المصريون والأشوريون وغيرهم. وفي سنة 560 ق. م خربها نبوخذ نصر[208] ملك بابل وسبى أهلها وجميع اليهود إلى بلاده.

وفي سنة 614 استولى خسرو على القدس فاسترجعها هيراقليوس منه في سنة 628. وسنة 636 حاصرها أبو عبيدة قائد العرب فأبى بطريركها أن يفتح أبوابها لغير الخليفة نفسه، فجاءها الإمام عمر بن الخطاب وأمّن أهلها على دمائهم وأملاكهم، ودخلها وصلى على مقربة من باب كنيسة القبر المقدس حيث شاد المسلمون جامعا. ولم يرض أن يصلي في القيامة نفسها لئلا يطلب المسلمون الاستيلاء عليها بعده. وأمر ببناء الجامع الأقصى، وصارت المدينة منذ ذلك العهد باسم القدس وبيت المقدس.

وفي أواسط القرن الثامن اتصلت الخلافة بالعباسيين فاتخذوا بغداد كرسيا لهم وحدث في أيامهم اضطهاد على المسيحيين دام حتى بداية القرن التاسع، إذ تولى الخلافة هارون الرشيد المشهور بالعدالة وكرم الأخلاق فدفع المظالم وسمح للمسيحيين بإعادة كنائسهم وأديرتهم. ولم يحد ابنه المأمون عن خطة أبيه بعدما رقي كرسي الخلافة فارتاحت البلاد بظل دولتهما وراجت الأشغال واطمأنت قلوب الناس.

غير أن الخلاف بعدهما أفضى إلى انحلال الدولة العباسية وقيام الدولة الفاطمية، التي لم ينتبه خلفاؤها إلى القدس وراحة أهلها، فاضطهد المسيحيون مدة خلافتهم وعومل زوار الافرنج بخشونة نشأت عنها الحروب الصليبية المشهورة التي هلكت حملتها الأولى قبل وصولها إلى الديار السورية. وأما الحملة الثانية فاستولت على الشواطئ السورية وبعض داخليتها وعلى البلاد الفلسطينية وجعلت القدس عاصمة لها، وسمي كودفروي ملكا عليها.

---

[208] خربها في عام 586 ق.م.

وبقيت البلاد في أيدي الصليبيين مدة ثمان وثمانين سنة، قام في غضونها ثمانية ملوك على القدس فبنوا فيها عدة أبنية ومستشفيات وحصون وكنائس وحاربوا المسلمين عدة حروب وبنوا في البلاد عدة قلاع جسيمة منيعة لم تزل آثارها تشهد لهم بالقوة وإتقان صناعة البناء.

وسنة 1517 خضعت البلاد للسلطان سليم فزار القدس بعد عودته من مصر. وسنة 1542 بنى السلطان سليمان ما كان متهدما من أسوارها وأحدث فيها وفي أبنية الحرم إصلاحات مهمة. ولم تزل من ذلك العهد حتى يومنا هذا تحت ظل الدولة العلية العثمانية. وقد أخذت في هذا العصر تنمو نموا سريعا. وربما لا يمضي عليها، على ما نظن، زمن طويل حتى تصير تضارع أختيها بيروت والشام.

## الأماكن المشهورة في فلسطين

### الحرم

هو المكان البالغ في قدميته حد نشأة أول المذاهب الصحيحة. فحق له أن يدعى مهد الهدى في أرضنا. وقد تداولته أيدي دول المذاهب الثلاثة فاتفق شعوبها على احترامه وتقديسه. موقعه على جبل الموريا في جهة المدينة الجنوبية الغربية في فناء طوله 1530 قدما انكليزيا وعرضه 970 قدما، طبقا لقياس مجير الدين[209] وهو 699 ذراعا طولا و 406 أذرع عرضا. وذلك يساوي ربع مساحة المدينة الواقعة داخل السور تقريبا.

[209] مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي (ت 927هـ/1520م) صاحب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل.

**تاريخه**

في رواية التوراة أن إبراهيم الخليل قصده ليقدم ابنه إسحق ذبيحة عليه. وهناك تراءى الرب لداود فبنى مذبحا، وحول المذبح بنى سليمان هيكله العظيم. ولما لم يكن سطح الجبل كافيا لبناء هذا الهيكل أقام له جدرانا بناها بحجارة ضخمة جدا بناء متينا من جهتي وادي يهوشافط الشرقي[210] ووادي التريبيون[211] الجنوبي، ملأها بأقبية كبرى تساوت سطوحها بسطح الجبل فاتسعت المساحة لأبنية الهيكل. وكان هذا الهيكل مؤلفا من قدس الأقداس الذي لم يكن يدخله إلا رئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير.

وكان الهيكل كله محاطا بعدة أروقة. وقد كانت تلك الأبنية غاية في العظمة والاتقان. وبعد أن أتم سليمان بناء الهيكل في سنة 1440 بعد الطوفان وصل بينه وبين جبل صهيون الذي كان قصره مبنيا عليه بجسر كبير فوق وادي التريبيون. وقد اقتضت الحروب والمحاصرات هدم ذلك الجسر وإعادة بنائه مرارا حتى ردم الوادي واختفت آثار الجسر وبقيت مجهولة إلى أن اكتسفها العلامة الدكتور روبنصون[212] الشهير فدعيت من ذلك الوقت باسم أقواس روبنسون وآثارها ظاهرة في حائط سور الجامع الأقصى الغربي.

ثم إن الخليفة عمر ابن الخطاب أمر ببناء جامع من خشب بجانب الصخرة ذكره أركولفوس في القرن السابع. وفي سنة 608 مسيحية[213] أمر الخليفة عبد الملك ببناء قبة الصخرة الحالية الواقعة في أعلى نقطة من فناء الحرم فوق الصخرة بشكل مثمن. وأما حيطانها من الخارج فهي مغطاة من

---

[210] جزء من واد النار يقع بين سور القدس الشرقي وجبل الزيتون ويمتد جنوبا.

[211] أي وادي الجبانة، وهو في الحقيقة غربي سور البراق.

[212] هو إدوارد روبنسون. قال في عام 1837: (إني أضيف إلى معلومات التوراة، التي هي تاريخية، معلومات جديدة هي جغرافيا التوراة). وفي الفترة 1841-1856 بحث في مائة موقع في القدس تحمل أسماء عربية وقام بتغييرها حسبما وردت في التوراة والتلمود.

[213] التاريخ الصحيح هو عام 685 ميلادية.

الأسفل ببلاط رخامي، وقد صفح الأقسام العلوية منها السلطان سليمان بألواح صينية جميلة خطت عليها آيات قرآنية. والقبة نفسها مغطاة بالرصاص ولها أربعة أبواب كبرى مربعة، وأمام الباب القبلي رواق مفتوح قائم على ثمانية أعمدة رخامية.

وأما داخل القبة فقطره 174 قدم. وهو مقسوم إلى ثلاثة أقسام بصفي أعمدة مستديرين. الصف الأول يحتوي على ستة عشر عمودا عليها ثماني قناطر، والصف الآخر الأمامي القائمة عليه القبة نفسها يحتوي على اثني عشر عمودا عليها أربع قناطر. وقد غطيت قواعد هذه الأعمدة بالرخام في القرن السادس عشر لأنها مختلفة الأشكال. والأعمدة كلها رخامية مختلفة الألوان والحجم وكذلك رؤوسها مختلفة الأشكال. ويرجح أنها من أعمدة هيكل أدريانوس من كنيسة الملك قسطنطين.

وأقسام الجدار العلوية مرصعة بالفسيفساء الدقيقة الملونة برسوم آنية أزهار وسنابل حنطة وقطوف عنب على أرض ذهبية ترصيعا يأخذ بمجامع القلوب. وقد قيل أن أشهر صناع البيزنطيين في القرن العاشر صنعوا تلك الصنعة الباهرة. ومما يزيدها جمالا ورونقا الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي بلون ذهبي على بحر سماوي[214].

وأما الشبابيك فهي صفان الواحد فوق الآخر، وكل برواز منها مركب من قطع زجاج صغيرة ملونة بألوان عديدة تضعف نور الشمس وتكسره فتبعثه إلى الداخل محجوبا خجلا مما يقابله من جمال وبهاء النقوش الداخلية البديعة. قصارى القول أن القلم يعجز عن وصف ظُرف هذا الجامع وإتقان الصناعة الظاهرة فيه. وقد نقل رسمه في أيام الصليبيين إلى أوروبا فشيدت

[214] لعله يرى أيضا أن صناع البيزنطين هم الذين خطوا تلك الآيات!!!

عليه الكنائس في عدة مدن منها[215]. قال لنا جملة من سياح الفرنج الذين زرناه وإياهم أنه يفوق جوامع الأستانة ومصر ظرفا وبهاء.

أما القبة نفسها فعلوها 99 قدماً وقطرها 66 قدماً. وهي مبطنة من الداخل بالخشب الملون بالأزرق المزين بأقلام الجبسين المذهب. والقبة قائمة فوق الصخرة المقدسة التي يبلغ طولها سبعة وستون قدماً وعرضها ثلاثة وأربعون. وهي منقورة في الوسط أو قربه، ولذا ظن بعض الكتبة أن محل مذبح المحرقة الاسرائيلي كان عليها. واليهود يقولون أن اسم الله مكتوب عليها. وبعض المسلمين يعتقدون أنها آتية من الجنة، وأن الحق عز وجل سيجلس عليها في يوم الدين ليدين البشر[216].

وقد حوّل الصليبيون هذه القبة إلى هيكل بعدما استولوا على القدس، ووضعوا المذبح على الصخرة بعد أن صفحوها بالبلاط الرخامي. وبقيت كذلك إلى أيام صلاح الدين الذي أخذها من أيدي الصليبيين وأعادها لما كانت عليه. وبقربها بلاطة صخرية يسمونها بلاطة الجنة. ويوجد ضمن هذا البناء البديع عدة أشياء أخر صغيرة تستلفت الأنظار ولا محل لذكرها هنا.

وأمام باب قبة الصخرة الشرقي المدعو باب السلسلة[217] قبة أخرى صغيرة جميلة قائمة على صفي أعمدة تدعى محكمة داود. وإلى الشمال الغربي من قبة الصخرة قبة المعراج. وتوجد أيضا قبتان صغيرتان تدعيان

---

[215] قال آنفا أن صناع البيزنطيين أنفسهم هم الذين شيدوه. فما حاجتهم لنقل هذا الفن إلى أوروبا ما داموا هم أهل هذا الفن؟

[216] لا يقول بذلك أي مسلم، لما فيه من التجسيم الذي أجمع علماء التوحيد قاطبة على كفر القائلين به.

[217] هو باب داود، ويطلق عليه أيضا باب إسرافيل. ولم يطلق عليه أحد باب السلسلة. ويبدو أن الكاتب اشتبه عليه الاسم بسبب قرب الباب من قبة السلسلة المجاورة، ويطلق عليها أيضا محكمة داود.

قبة الأرواح وقبة الخضر. وهناك أيضا منبر[218] مبني من الرخام بناء أنيقا يخطب فيه الأئمة في يوم الجمعة.

## الجامع الأقصى

ويقابل قبة الصخرة، التي يدعوها الفرنج جامع عمر، الجامع الأقصى؛ عن الكعبة، وأصله كنيسة بناها جوستينيانوس في القرن السادس[219] حولها الإمام عمر بن الخطاب إلى جامع. وقد وجده المهدي في القرن الماضي[220] متهدما على أثر زلزلة فأعاد بناءه، ولكن باختصار في طوله وزيادة في عرضه، وطوله 250 قدما وعرضه 150، وهو قائم على صفي أعمدة بيزنطية، لا شك في كون بعضها لم يزل قائما في مكانه من عهد جوستينيانوس.

أما قبة هذا الجامع فمصفحة من الخارج بالرصاص، وداخلها أشبه بقبة الصخرة بترصيفها بالفسيفساء وتكوين شبابيكها. وبجانب المحراب منبر من خشب مطعم بالعاج واللؤلؤ، أتى به السلطان صلاح الدين من مدينة الشهباء. ووراء المنبر أثر قدم السيد المسيح. وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكارا لاستشهاده بين الهيكل والمذبح. ودعي قسم من تلك الجهة من الجامع الأقصى: جامع الأربعين شاهدا.

ويلاصقه من الجهة الغربية جامع النساء المدعو أيضا الجامع الأبيض القائم على صفين من الأعمدة، ولعله من بقايا الأبنية التي شادها الصليبيون.

---

[218] يقع جنوبي صحن الصخرة بين قبة يوسف ودرج الصحن المؤدي إلى المسجد الأقصى. وعليه قبة صغيرة جميلة. ينسب إلى برهان الدين بن جماعة الكناني جد آل الخطيب. رممه فريق من خبيرات طليانيات عام 1421هـ/2000م.

[219] ذهب بعض المؤرخين الغربيين إلى هذا القول، بينما خالفهم الكثيرون.

[220] لعل الكاتب يقصد الثامن بدل الماضي.

وتحت الأقصى أقبية[221] بيزنطية قائمة على أعمدة وقناطر قوية متينة البناء، يقول بعضهم أنها كنيسة القديسة هيلانة ويقول آخرون أن جوستينيانوس بناها لتسوية أرض الجامع. وفي الفناء الوسيع عدة آبار اكتشف سبع وثلاثون منها. منها بئر الورقة داخل الأقصى وأمامه بئر عين الكاس التي كان يأتيها الماء من برك سليمان.

## اصطبلات سليمان

وتحت قسم من هذا الفناء أقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفا من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى تدعى اصطبلات سليمان. ولعلها استخدمت لهذه الغاية في زمن الصليبيين. ومن شكل بنائها يستدل أنها من القرن السادس بعد المسيح. والمسلمون يدعونها المسجد القديم[222]. وفي جدارها الشرقي عند أسفل الدرج بعض حجارة ضخمة قديمة يعتقد الخبيرون أنها من بناء هيرودوس. قالت جمعية البحث عن الآثار الفلسطينية[223]: إن بناء الباب الجميل وعدة من أقبية الآبار التي ذكرناها ترجع إلى القرن السادس.

## موقع الحرم القديم والحديث

أجمعت آراء المدققين على كون دائرة الحرم هي ذات دائرة الهيكل الذي بناه هيرودس، لأن الصخرة الكبرى الواقعة في زاوية الدار الشمالية الغربية التي يقول يوسيفوس أن الحشمونيين بنوا عليها برج باريس الذي حصنه هيرودس لم تزل قائمة شاهدة بعدم تغيير تلك الزاوية. وقال يوسيفوس

---

[221] وهو الأقصى القديم.

[222] أطلق عليها المسلمون التسوية الشرقية. وبعد ترميمها 1994-1998 أطلقوا عليها المصلى المرواني.

[223] أي صندوق استكشاف فلسطين البريطاني Palestine Exploration Fund.

أن أروقة هيكل هيرودس امتدت من الوادي إلى الوادي. وأن سور الأوفل اتصل بأروقة الهيكل الشرقية.

وقد اكتشف السير تشارلس ورن[224] حائطا على تل الأوفل ملاصقا لسور الحرم في زاويته الجنوبية الشرقية فجاء اكتشافه هذا مؤيدا لقول يوسيفوس ولكون الفسحة لم تتغير من تلك الجهة أيضا. ولم يختلف الثقاة في كون الزاوية الغربية الحالية هي في مكان الزاوية القديمة ولكنهم اختلفوا في الزاوية الشمالية الشرقية. فمنهم من قال بكونها على مكان الزاوية القديمة، وخالفهم آخرون بقولهم أن القديمة كانت عند الباب الجميل.

وقد اتفق أكثر الرواة على كون قدس الأقداس كان قائما على الصخرة المقدسة معتمدين في ذلك على مناسبة موقعها، وقول يويفوس بأن قدس الأقداس كان في أعلى نقطة من دائرة الهيكل التي هي الصخرة. وكل الأقيسة لجميع الأمكنة التي ذكرها يوسيفوس تطابق المواقع الحالية بنسبتها إلى علو الصخرة. وخالفهم البعض في ذلك متخذين لتأييد آرائهم براهين أخرى لم يحتفل بها الرأي العام.

**البراق: محل نواح اليهود**

يأتي اليهود في عصارى كل الأيام، خصوصا في أيام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم فيقفون أمام هذا الجدار وهو قسم من جدار سور الحرم بجانب زاويته الجنوبية الغربية. وعلوه ست وخمسون قدما وحجارة قواعده السفلى كبيرة جدا. وقد أثرت عليها فواعل الطبيعة والزمان حتى بالغ بعضهم في قدميتها وقالوا أنها من أيام هيرودس. وهناك يبكون على حالتهم ويتذكرون أزمانهم ويصلون إلى الله أن يعيد لهم سابق مجدهم. وهذا بعض ما يقولونه بأصوات حزينة وبكاء مر.

[224] مهندس بريطاني، أرسلته جمعية صندوق استكشاف فلسطين للتنقيب.

يقول الحاخام: من أجل الهيكل المقدس العظيم. فيرد الجماعة: نقف بذلة وننوح. يقول الحاخام: من أجل أسوار هذه المدينة الساقطة. فيرد الجماعة: نقف بذلة وننوح. يقول الحاخام: من أجل مملكتنا التي بادت. فيرد الجماعة: نقف بذلة وننوح. يقول الحاخام: من أجل رؤسائنا الذين ماتوا. فيرد الجماعة: نقف بذلة وننوح. إلخ.

ثم تقرأ مراثي أخر وتقدم صلوات عديدة كهذه في هذا المكان. ولا ريب أن هذه العادة نشأت من بعد صلاة سليمان التي قدمها أمام المذبح بعد فراغه من بناء الهيكل. ومضمونها أنه مهما اشتدت الضيقات على شعب إسرائيل وصلوا الى الله باسطين أيديهم نحو الهيكل فإن الله يستجيب لهم. وقد تقدم القول أن أدريانوس منع اليهود من دخول أورشليم والدنو من أسوارها. وأما قسطنطين فقد سمح لهم بالدخول اليها لينوحوا على خرابها وخراب الهيكل.

### كنيسة القيامة

قال يوسيفوس: إن أدريانوس بنى في هذا المكان هيكلا للمريخ وأنه أوحى إلى قسطنطين بعد أن تنصر أن يطهره من أدناس الوثنيين وأن يقيم عليه كنيسة. وفي سنة 461 أحرق العجم في غزوتهم بقيادة خسرو الثاني هذه الأبنية بالنار، ولكنها أعيدت بمساعي راهب يدعى مورستوس وبمعاونة بطريرك الاسكندرية سنة 628. وسنة 969 أحرقت القيامة بالنار فبنى تجار أملفي من أعمال إيطاليا سنة 1004 ديرا وكنيسة للعذراء.

وبني بعد ذلك دير للراهبات بالقرب من هذه الأبنية. ثم اقتضى الأمر بناء مستشفى للزوار وعزي إلى يوحنا اليمون بطريرك الاسكندرية. وفيه تألفت في عهد الصليبيين فرقة فرسان ماري يوحنا حامية القيامة[225]. وهذا هو

[225] على أنقاضه أقيم البيمارستان الصلاحي.

المكان الذي وهبته الحكومة لجد إمبرطور ألمانيا الحالي[226]، فأقام هذا على قسم من آثاره كنيسة احتفل بتدشينها بحضور جلالته. وفي سنة 1011 خرّب القيامة حاكم الرملة وقد كان يسمى رئيس جند فلسطين، فأعيد بناؤها بتوسط الملك رومانوس في سنة 1048. وأحاط الصليبيون جميع أبنيتها بهيكل كبير، إذ شاهدوا حقارتها.

وسنة 1244 خربها خرزميان[227] فبنيت سنة 1310 بغاية الإتقان. وفي سنة 1808 التهمت النيران كنيسة الأرمن فيها وقبة القبر المقدس وكنيسة الروم الارثوذوكس وأحدثت أضرارا غير يسيرة في عدة محال أخر. ولكنها أعيدت في مدة سنتين على ما كانت عليه من الظرف بإحكام زائد حتى صار يتعذر التمييز بين ما أصلح وما كان.

### الكنيسة الحالية

هي تختص بالروم الأرثوذكس والأرمن والكاثوليك والأقباط والسريان. وأشهر ما فيها كنيسة الجلجلة إلى جنوبي الباب وهي مقسومة إلى قسمين، قسم منها يختص بالروم الأرثونوكس وآخر بالكاثوليك وكنيسة الأرمن إلى شماليه. وأمامه من الشرق كنيسة الروم الارثوذوكس وهي أكبر الكنائس وأجملها بمَا فيها من النقوش والزين والثريات الثمينة. ووراء هذه الأبنية من جهة الجنوب كنيسة بيزنطية لم تزل أعمدتها تشهد بكونها من أيام مورستوس، وهي التي بناها على آثار كنيسة قسطنطين.

### البحث في صحة موقعها

[226] أهداه السلطان عبد العزيز لفريدريك ولي عهد بروسيا آنذاك. وتم بناء كنيسة المخلص في موقعه وافتتحها الامبرطور غليوم الثاني خلال زيارته التاريخية للقدس عام 1898.

[227] كرر نصار استخدام هذا اللفظ استنادا إلى مراجع غربية، ويقصد به جنود الخوارزمية الذين استدعاهم الملك نجم الدين أيوب ليقاتلوا خصومه في الشام ويطردوا الصليبيين من القدس.

يعتقدون بصحة هذا المكان منذ القديم معتمدين على رواية يوسفيوس التي ذكرناها، وعلى الأقوال التقليدية بكون القديسة هيلانة هي التي أوحي إليها بناء الكنيسة قبل قسطنطين ابنها. وعلى كون الوثنيين وفي مقدمتهم أدريانوس في الجيل الثاني بنوا هيكلا لآلهة أخرى في هذا الموقع بالنظر لما رأوه من احترام المسيحيين الأولين له. ويتخذون مثل هذه الأدلة برهانا على كون التاريخ لم يُضع تلك النقطة فلم يبق باب للاشتباه بها. فضلا عن كونهم يعتبرون المدافن القديمة التي اكتشفت داخل الكنيسة اليعقوبية المنقورة في الصخر مدافن ليوسف ونيقوديمس.

ولا يشكون في كون الباب المكتشف على مقربة من القيامة في الجهة الجنوبية الشرقية هو باب سور المدينة الثاني. وعلى ذلك يكون موقع القيامة الحالي واقعا خارج الأسوار القديمة. وقد عارضهم الكتبة المتأخرون وفي مقدمتهم كانون وليمس والسر تشارلس وارن والدكتور روبنصون والجنرال غوردون.

ومعلوم أن اليهود لم يكونوا ليرضوا بوجود محل عقاب المجرمين فيما بين بيوتهم لأن ذلك محرم عندهم. وقالوا أيضا إن حالة المدافن الموجودة في كنيسة اليعقوبيين تدل على كونها أقدم كثيرا من عصر المسيح. ويعترضون على الباب المكتشف حديثا والمظنون بأنه باب السور الثاني بأنه ربما كان باب الهيكل الذي بناه الصليبيون حول أبنية القيامة.

# رحلات سليم سركيس

زار الصحافي سليم سركيس[228] القدس أربع مرات في بداية عهد الاحتلال البريطاني. وقد اتسم وصفه بالفكاهة والصراحة. وكان يعتني بوصف ما يجري معه شخصيا، مع إبداء ملاحظات هامة حول الحياة العامة.

## رحلته الأولى[229]

كانت أولى رحلاته وأقصرها في عام 1338هـ/1920م، وقد وصفها في مجلته فقال:

(سركيس في القدس)

أنت تعلم أن نسبتي الدينية تحول دون دخولي إلى مكة المكرمة، حتى أن المرحوم حنفي بك ناصف أراد مداعبتي ذات يوم بمناسبة عيد الميلاد المسيحي فأرسل إلي صباح العيد تذكرة بوستة عليها ما يأتي:

عزيزي سركيس

أهنيك بالميلاد إن كنت مؤمنا    وإن كنت زنديقا سحبت كلامي

ولو كان سركيس بمكة محرما    لطاف ببيتٍ بالحجاز حرامي

فلما فاتني أن أزور مكة المكرمة لأنني لست من المطهرين، قلت في نفسي: ما لا يدرك كله لا يترك جله، وزرت القدس الشريف لأمور تجارية من قبل بعض الأصدقاء، مع أن لا ناقة لي فيها ولا جمل. ومع أن زيارتي هذه كانت الأولى فقد سرني كثيرا وأرضى أنانيتي أنني وجدت في القدس

---

[228] سليم بن شاهين آل سركيس (ت 1344هـ/1926م). لبناني استقر في مصر وأنشأ جريدة رجع الصدى ومجلة سركيس، وحرر جريدة البشير.

[229] مجلة سركيس، السنة العاشرة، 1921م، عدد 2+3، ص 72.

ونابلس ويافا وحيفا أصدقاء لا يحصى عددهم. أصدقاء سماع لا مشاهدة، فتفضلوا بالعطف علي والاحتفاء بي.

فأقام نادي الألعاب الرياضية بالقدس حفلة لي كانت إخائية فكاهية. وهذا بيان ما جرى فيها بقلم الصديق الرصيف عارف أفندي العارف[230] رئيس تحرير سوريا الجنوبية:

حفلة تكريمية

أقام نادي الألعاب الرياضية بالقدس يوم الثلاثاء الماضي 9 آذار سنة 1920 حفلة تكريمية لضيف بيت المقدس الفكاهي المشهور والصحافي المتفنن الخبير سليم أفندي سركيس. وقد حضر هذه الحفلة سعادة قنصل أميركا المستر غايز بروك ورئيس البلدية سعادة موسى باشا الحسيني[231] ورئيس الجمعية الاسلامية المسيحية عارف باشا الدجاني[232] ومندوبا القدس في المؤتمر السوري سعيد أفندي الحسيني[233] ويعقوب أفندي فراج[234]، وكل من الوجهاء إسماعيل بك الحسيني[235] وفهمي أفندي النشاشيبي وقسطاكي أفندي سابا وجورج أفندي حمصي وإلياس أفندي مشبك وأنطون ألبينا وبلبل العراق الطائر الصيت معروف أفندي الرصافي[236]، وأديب فلسطين الكبير الأستاذ

---

[230] (ت 1393هـ/1973م) صحافي مؤرخ سياسي. تولى إدارة بلدية القدس.

[231] (ت 1934/1352). رئيس بلدية القدس، خُلع منها عام 1920/1338 بسبب احتجاجه على جعل اللغة العبرية لغة رسمية في البلدية.

[232] (ت 1348هـ/1930م).

[233] (ت 1364هـ/1945م).

[234] عين نائبا لرئيس اللجنة المركزية لإعانة منكوبي فلسطين التي تأسست في القدس عام 1348هـ/1929م إثر اضطرابات حائط البراق.

[235] (ت 1364هـ/1945م) مدير المعارف في أضنه ثم في القدس، ومراقب المطبوعات والصحف الصادرة في متصرفية القدس في العهد العثماني. بنى قصر بيت الشرق، واستقبل فيه القيصر الألماني غليوم الثاني عام 1316هـ/1898م.

[236] (ت 1364هـ/1945م).

النشاشيبي[237] ومساعد مدير المعارف عادل أفندي جبر[238] ومحررو الجرائد ومندوبو الجمعيات).

ونقل العارف خطب أفتيم مشبك وسليم سركيس وإسعاف النشاشيبي ومعروف الرصافي وخليل السكاكيني وبولس شحادة وخليل بيدس واسكندر الخوري، التي ألقيت في الحفل.

## رحلته الثانية[239]

كانت وجهته في الرحلة الثانية عام 1340هـ/1922م زيارة الأمير عبد الله في شرقي الأردن. لكنه عرج على القدس ومدن فلسطينية أخرى ذهابا وإيابا خلال سفره بالقطار.

وحول زيارته لحيفا قال: (على أن في حيفا كما في فلسطين بأسرها نهضة قومية شملت من فيها من المسلمين والنصارى حتى أصبحوا جسما واحدا تجاه الهجرة الاسرائيلية... فإن وعد بلفور وهجرة اليهود إلى فلسطين وسوء سياسة انجلترا أوجدت اتحادا بين المسلمين والمسيحيين لم يحلم به أجدادهم... وفي 29 مارس من هذه السنة كنت في حيفا واشتركت مع المسلمين والمسيحيين في مظاهرة سلمية).

وتحت عنوان (ماذا رأيت في فلسطين) كتب يقول: (منذ سنتين زرت فلسطين وقصدت نابلس... وقد زرت نابلس في هذه الأيام فرأيتها لا تزال دون سواها من جميع أنحاء فلسطين حصن الوطنية الحصين). ثم تحدث عن (اليهود الروس) فقال: (أما في القدس ويافا وحيفا فإن لآل إسرائيل ذلك الوطن الذي يرتاحون إليه. هم هناك كثار الآن وعددهم يزداد بسرعة مدهشة فضلا عن أن أموالهم تبتاع الأطيان وتحول الأراضي إلى ملكيتهم، وجميع

---

[237] (ت 1376هـ/1948م).

[238] (ت 1373هـ/1953م).

[239] مجلة سركيس، السنة الحادية عشرة، عدد 3: ص 186-192؛ عدد 4: ص 193- 198.

هؤلاء المهاجرين من الروس فهم يخدمون في الفنادق الاسرائيلية ولا يعرفون غير اللغة الروسية).

وقال: (أقمت في فلسطين أياما فرأيت أن الشغل الشاغل للقوم فيها مسألة اليهود ووطنهم القومي. فإذا شئت أن تعلم تأثير الحالة على خاطري فإليك بيانه. تقدر إنجلترا أن تصر على تنفيذ عهد بلفور، ولكن يجب أن يكون ذلك بقوة السلاح الآن وغدا وبعد غد إلى الأبد. فإذا قيل أن المال المتوفر لدى اليهود يجعل المستحيل ممكنا، قلت إن المال لا يفيد في هذه الحال. فإن القوم في فلسطين لا تقوى الأموال عليهم. وإذا أغرى المال بعض الأفراد فهؤلاء الأفراد هم أول من ينقم على اليهود عند سنوح أول فرصة).

وأضاف: (وهنا لا أرى بدا من إذاعة حقيقة هامة، هي أن أهالي فلسطين لا ينقمون على اليهود ولا يكرهونهم ولا يريدون منع وجودهم في البلاد. بل رأيت بنفسي أصدقاء اليهود يتعاملون معهم تجاريا ويتزاورون. أي أنهم يميزون بين اليهودي الوطني وبين الصهيوني).

وتحت عنوان (لسان العرب) قال: (واجتمعت في القدس بالتراكتور المتحرك المتنقل إبراهيم نجار. وقد أنشأ جريدة لسان العرب وجعل لها مطبعة خاصة متقنة، وجريدته يومية يجيد تحريرها، ورأيت في خطتها التسامح الديني من حيث عدم تمييزه بين المسلم والمسيحي واليهودي. وإذا وجب التسامح الديني الممدوح فلا يستحسن التسامح القومي والوطني. ولاح لي أنه والأهالي في فلسطين يختلفون في الوسائل ويتفقون في النتائج، فلسان العرب يرى أن يخفف وطأة الدعوة الصهيونية بمصادقتها، والأهالي يرون معارضتها).

وتحدث عن الطريق بين القدس وعمان فقال: (لا أكتم القراء أنني وجدت الطريق إلى عمان كالطريق إلى السماء وعرة المسالك، حتى لقد أدركني انزعاج واضطراب صحي لم أشعر بمثلهما كل حياتي).

رحلته الثالثة[240]

أما رحلته الثالثة إلى القدس في عام 1341هـ/1923م فهي الأهم، حيث أسهب في وصف القدس وما صادفه فيها. وكان قبل سفره إلى القدس قد نشر خبرا في مجلته ناشد فيه الفلسطينيين المشتركين في المجلة أن يوافوه بما عليهم من ديون مستحقة لها، وقال:

(سأقضي الأسبوع الأول من شهر نيسان في القدس الشريف، وتكون إقامتي في لوكندة مرقص. أنا أعلم أن هذا الخبر لا يهم قرائي ولكنه يهمني. وإنما أردت إيراده إعلانا لمشتركي مجلة سركيس في القدس نفسها وفي سائر أنحاء فلسطين، وأؤكد لهم أنني أنتظر وأقبل بكل شكر وارتياح أن يغتنموا فرصة وجودي ليسددوا الماضي والحاضر من قيمة اشتراكاتهم. أما المستقبل فإنه لله).

وبعد عودته قال: (والغريب أن زيارتي لم تكن سرية، ولا جهل أحد أنني هناك فقد سمعوا بي ورأوني رأي العين وحادثوني، بل أكرموني واحتفلوا بي وقرأوا في الجرائد عن وجودي، ثم تضاءلت المائة إلى (5) فقط... ولكنني ألتمس لهم عذرا وجيها، قالوا: إذا نحن دفعنا له الاشتراكات يجد المال كثيرا في جيبه فيسرف ويذهب المال ضياعا، ورأوا أن يتمهلوا ريثما أعود إلى مصر. أيها الشركاء اسمحوا لي أن أفيدكم أنني عدت وأنني موجود في إدارة مجلة سركيس، وأن عنواني 45 شارع عابدين).

ثم بدأ حديثه عن الرحلة ذاتها فقال:

(ذهبنا إلى القدس في ضيافة الأمير جورج لطف الله وكنا ثمانية عددا ما عدا الخدم والأعوان؛ الأمير وقرينته والدكتور هويل المعتمد السياسي في مصر للولايات المتحدة وكريمته مسز تورنر، والجنرال السير فوستر نيولاند والكونته الإسبانية وكريمتها. وأنت تعلم أن لي أصدقاء قدماء كثارا في القدس

---

[240] مجلة سركيس، السنة الثانية عشرة، عدد 3: ص 186؛ عدد 4: ص 193-217.

وما جاورها، وأن فلذة كبدي يتلقى العلم في مدرستها الانجليزية الاعدادية[241] لأكسفورد فأسرعت إلى الابن والأصدقاء.

وتحت عنوان (في الطريق) قال: (وكنت أراقب الذين يقصدون القدس في هذا الموسم من مصر وسواها، فرأيت بعضهم يقاسون في هذا السبيل الديني أشد العناء والبعض الآخر في نعيم وهناء. وهذا طبيعي وواجب لحفظ التوازن الاجتماعي. وقد رأى الشاعر العربي هذا الرأي في قوله: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم. والسراة في هذا العصر، كما في كل عصر آخر، هم الأغنياء لأنهم يملكون وسائل السفر في الدرجة الأولى، وما عداها فمن الشرير وإلى عذاب أليم).

واشتكى سليم سركيس من سوء الخدمات الفندقية في القدس آنذاك، فقال: (ومن غرائب فنادق فلسطين وخصوصا القدس، على أهميتها وكثرة القادمين إليها من الأميركان وسائر الأجانب، أنها محافظة أشد المحافظة، مؤمنة أعظم إيمان بقاعدة بقاء القديم على قدمه. خذ مثلا لِما تقدم فندق جراند نيو أوتيل المعروف باسم لوكاندة مرقص، لعلها جُعلت فندقا منذ 25 سنة، فكل شيء فيها يقول بلسان فصيح جلي: سبحان الأول. كل شيء تقدم، وأما سرائر مرقص وستائر مرقص وكراسي مرقص وطاولات مرقص وموائد مرقص والأجراس والخدمة والفوّط، فباقية على شكلها القديم. تصور السائح الأميركي يأتي من بلاد الترف والنعمة والنظافة والاتقان والاجادة، فينام في القدس ويأكل ويجلس ويقرأ، وفي كل شيء هو أشبه بالخمرة التي يقول فيها شوقي: خبأها كاهن، ناحية في الهرم.

ومع كل هذا، فإن هذا الفندق يفضل سواه من جميع فنادق القدس. ولعل كل ما تقدم ناشئ عن الطمع، كما هو الحال في جميع أعمالنا الاقتصادية؛ نربح 10 غروش فنحرص عليها؛ وغيرنا يربح 10 غروش

---

[241] مدرسة المطران.

فينفق نصفها على تحسين عمله ليربح في العام القادم 15 وهكذا إلى آخره. ولوكاندة مرقص مدهشة في نظامها. تدخل إلى المكتب وتقول: "هل لي تحارير؟"؛ "لا". وقبل أن تخرج اللفظة من فم الرجل تجد تحريرا باسمك تحت أنفه. العادة أن ترسل تحارير النزلاء في الحال إلى غرفهم أو أن توضع أمامهم على المائدة).

وحول متاعب المواصلات في القدس كتب سليم سركيس يقول: (أما الإقامة في القدس فمتعبة وكثيرة النفقات. فإن المسافات بعيدة والبيوت متفرقة والطرق منكرة والعربات مزعجة قذرة مكسرة. والعياذ بالله من منظر وملابس ولغة العربجية، فضلا عن أجورهم. قد تحسن الحال بركوب الاتوموبيلات، وهي أكثر من الهم على القلب، ولكنها للوارثين فقط، فالساعة بنصف جنيه والمشوار بريال، والانتظار يستلزم بيع البيت والعائلة. يوجد بوليس وقانون، ولكن لا تقدر أن تأخذ معك نفرا من البوليس في كل مشوار. ومع كل ذلك فالأرض مقدسة. ويجوز فيها كل شيء لا يجوز في سواها. لأن قداستها تستر كل هذه المعاصي والموبقات).

وحول مشاهداته لأوضاع اليهود في القدس في ذلك العام قال سركيس: (والقارئ يعلم أن صاحب مجلة سركيس يحب قريبه عملا بالدين المسيحي، وأن اليهود أولاد ناس، فهو لا يبغضهم بغضا خاصا. ولكنني أستميح أصدقائي منهم في مصر وسواها لأقول لهم بكل صراحة أن الذي يشوه منظر فلسطين ويعمي البصر ويحرق الدم ويزيح الجبال ويقلق البال هو منظر أكثر اليهود في القدس، مثلا بملابسهم العجيبة وشعرهم المخيف وسوالفهم القبيحة. وسبحان من جعل كل الجمال في نسائهم وكل القبيح والمنكر في رجالهم. تعثر في كل مكان بأشكالٍ هذه صورتها القلمية: حذاء مرقع، فوقه بنطلون عليه قفطان، فوقه جبة أكل الدهر عليها وشرب، فصدرة مفككة الأزرار، فوجه يحمل لحية ذات طول مختلف وعرض مختلف، فأنف

يبعد عن الأنف الروماني بعد الأرض من السماء، فشعر رأس مدلى منبوش، فسالفان أطول من لسان النمام. وفوق هذا الرأس المنكر شكلا، قبعة مستديرة من القطيفة هي في عمر متوشالح. ثم يقولون أن فلسطين ستكون وطنا قوميا لأمثال هؤلاء، والعياذ بالله).

وحول جمال الطبيعة في فلسطين ونكبتها بالاحتلال البريطاني قال سركيس: (كل شيء في فلسطين جميل. فالأرض والسماء والطقس والنساء والرجال والأزهار والحقول والكنائس والمساجد. وقد اختارها الله في نظرنا لولادة المسيح وفي نظر المسلمين لإسراء صاحب الشريعة الاسلامية وللمسجد الأقصى. ثم يشوه هذا الجمال بمثل هذا الاحتلال).

وتحت عنوان (المجلس التشريعي) قال سركيس: (ولما كان الشيء بالشيء يذكر، فإن السلطة الانجليزية تصر على عقد مجلس تشريعي في فلسطين وتريد أن يكون منتخبا لا معينا. فلما أضرب الأهالي عن الانتخاب قالت الحكومة أن لديها بعض المرشحين. قالوا: صرحي بأسمائهم. قالت: لا أفعل. قالوا: ولماذا. قالت: أخاف على حياتهم لئلا تقتلوهم. سبحان الله في هذه المفارقات. كيف ينوب عن هذه الأمة ويمثلها في المجلس ويقضي حوائجها ويوافق على قوانينها "نواب" تخشى الحكومة العاقلة أن يعرفهم الذين يقال أنهم ينوبون عنهم لئلا يقتلوهم. وهل سيجتمع المجلس وفيه هؤلاء النواب فوق الأرض أو تحت الأرض. يا سيدي المندوب السامي قل لنفسك وقل لحكومتك أن هذه الخطة محض سخافة. قل إنها تقضي على البقية الباقية من سمعة انجلترا.

(سبحان الله أيها الانجليز. تتعمدون أن لا يبقى لكم صديق في الشرق. ففي مصر ينقمون عليكم ويضربونكم بالرصاص والقنابل. وفي العراق تحكمونهم بالحراب والطيارات. وفي سوريا ترمونهم في هاوية انتداب غير

مرغوب. وفي فلسطين تسودون 50 ألفا على ثمانمائة ألف، 50 ألف يهودي على ثمانمائة ألف مسلم ومسيحي).

ثم يشكو سركيس من ظلم الانجليز للسكان العرب من مسلمين ومسيحيين، ومن تعيين اليهود فقط في العديد من الدوائر الحكومية:

(يقولون أن في القدس وحدها 40 ألفا من المسلمين والنصارى، ولكن المندوب السامي والمستر بالفور ومن شايعهما من أولياء الأمر في الانتداب الانجليزي لا يرون لهذه الألوف المؤلفة من الوطنيين بعض الحق في بلادهم ولغتهم.

آمنت بالله واليوم الآخر، وأن وعد بلفور هو القضاء المنزل، وأنه شريعة مادي وفارس. ولكن ألا يرى هؤلاء الحكام الذين يريدون الخير للفلسطينيين أن يوظفوا في مصلحة التلغراف رجلا عربيا؟ هل يصدق القارئ أنني ذهبت إلى مكتب تلغراف القدس لأرسل تلغرافا مطولا إلى مصر باللغة العربية، وإذا هناك فتاة تتولى التلغرافات العربية. الفتاة جميلة ولطيفة ومهذبة ولو كنت شابا ما اخترت غيرها زوجة إذا هي رضيت بي بعلا.

ولكن الزواج واللطف والجمال والتهذيب شيء وتولي التلغرافات العربية شيء آخر، وهي من آل إسرائيل لها إلمام بلغة البلاد وتقدر أن تقرأ مجلة سركيس بحروفها الجديدة، بل أؤكد أنها تقدر أن تقرأ رسالة بخط نجيب بك هواويني[242]، ولكن لا تقدر أن تقرأ التلغرافات العربية التي ترد من عرب القدس، وبينهم القروي العامي والكاتب البسيط والصحافي العجول والعالم الذي خطه من حظه. فإذا رأت حكومة فلسطين المختلطة اختلاطا عجيبا أنه لا بد من وجود صهيوني أو صهيونية في جميع وظائف التلغراف، سألتها بالله أن تستدعي نجيب بك هواويني ليعلم 40 ألف نفس كيف يكتبون، وإذ ذاك تسلم تلغرافاتهم من الغلط الذي يكون أحيانا نكبة مالية. ففي 15 مارس

242 الخطاط الخاص للملك فؤاد الأول.

أرسلت تلغرافا إلى لوكاندة في القدس أن تحفظ لي 5 غرف من تاريخ 31 منه فوجدت أنهم حجزوا تلك الغرف من 21 منه، ولما اعترضت على زيادة 10 أيام تبلغ نفقاتها 50 جنيها أطلعوني على التلغراف، وإذا فيه 21 بدلا من 31.

ليكن المندوب السامي يهوديا وكل موظف كبير كذلك ولكن أنصفوا وتعقلوا وتنازلوا وأبقوا للعرب موظفا واحدا للتلغرافات العربية).

وتحت عنوان (في محطة القدس) قال أن (الأمير جورج لطف الله وضيوفه قصدوا القدس فبلغوها يوم 31 مارس وجرى للأمير استقبال حافل في محطة القدس. فإن للأمير وآله مكانة سامية في قلوب الفلسطينيين لِما رأوه من تفانيهم في خدمة القضية الوطنية. وهذه صورة الدعوة التي أرسلها النادي العربي احتفالا بالأمير:

النادي العربي، القدس بلادنا لنا

السيد الأجل، قياما بالواجب واعترافا بالفضل يتشرف النادي العربي بدعوتكم ظهر السبت المصادف 31 آذار سنة 1923 إلى محطة القدس لاستقبال ضيف فلسطين الكريم الأمير جورج لطف الله صاحب المواقف العديدة في قضيتنا العادلة واقبلوا فائق الاحترام، النادي العربي.

وكان في استقباله سيادة المطران دوثيسيوس وكيل غبطة البطريرك داميانوس موفدا من قبل غبطته وكذلك وفد من أساقفة الأقباط والكاثوليك وحضرات أعضاء اللجنة التنفيذية يتقدمهم سعادة رئيسهم موسى كاظم باشا وسعادة راغب بك النشاشيبي رئيس المجلس البلدي وشبان كشافة روضة المعارف. فأحدق الجمع بضيفهم الكريم حتى وصلوا قاعة الاستقبال، فأخذت الكشافة سلامهُ وقدمت له فتاة باقة زهور باسم جمعية تهذيب الفتاة الارثوذوكسية، وخطب مرحبا به السيد فؤاد صدقي النشاشيبي. ثم خرج

الأمير والجمهور إلى ظاهر المحطة، وعلى الأثر ركب الأمير سيارة حضرة رئيس المجلس البلدي إلى الفندق).

ومن بين الذين شاركوا في استقباله أيضا: إبراهيم سليم نجار وعادل جبر وجورج متى وماري ديب والخوري خميس ورشدي المهتدي وخليل الشهابي وإلياس مشبك وإبراهيم شماس ويوسف ياسين وداود الفتياني وإسحق درويش.

وتحت عنوان (اليوم الأول) كتب سركيس:

(وفي مساء يوم وصول الأمير إلى القدس أدّب في الفندق مأدبة حافلة للمهرجاه الهندي أمير كاتابولا، حضرها حاكم القدس و20 من الوجهاء والأعيان. وفي اليوم التالي رافقه ضيوفه وفي مقدمتهم سعادة معتمد أميركا في مصر لزيارة الأماكن المقدسة على اختلافها وجاءت الأمير جورج تلغرافات من نابلس وحيفا وطول كرم وغزة وصفد والخليل يدعونه إلى زيارة مدنهم وأنهم استعدوا لاستقباله والاحتفاء به وتكريمه اعترافا بخدمته وخدمة آل لطف الله للقضية الوطنية.

وحضر إلى القدس وفود من بعض تلك الجهات للسلام على الأمير ودعوته لزيارتهم، فشكر لهم عواطفهم الشريفة واعتذر عن زيارتهم بضيق وقته. والحقيقة التي علمتها أنه رأى من الحكمة أن لا يجعل لزيارته هذه صفة سياسية لا بد أن تتجلى في الحفلات التي أعدوها لاستقباله، خصوصا والشعب متأثر إلى درجة الحماس بالعواطف الوطنية. ولعله رأى أنه يكون أقدر على خدمتهم بعدم التعرض للسياسة والمظاهرات).

وحول الاحتفال بموسم النبي موسى قال:

(ودعي الأمير لزيارة النبي موسى في الاحتفال السنوي المألوف، فقصدنا المكان ورأينا الألوف المؤلفة من الأهالي بأعلامهم الخاصة وأغانيهم القومية وأهازيجهم الوطنية، وتناولنا الغداء هناك. وكانت الجماهير تهتف

دائما باسم فضيلة مفتي القدس الحاج أمين الحسيني وسعادة كاظم باشا رئيس الوفد الفلسطيني. ورأيت المستر ستورس حاكم القدس كثير الإحتفاء بكاظم باشا، فكان ملازما لسعادته مهتما براحته مقدرا لمكانته بين الأمة التي تحلف بحياته. وكانوا ينشدون: موسى باشا لا تهتم،عسكرك عمّا يلتمّ).

ثم تحدث عن سفره إلى عمان وقال:

(وكان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الهاشمي صاحب شرقي الأردن قد دعا صديقه الأمير جورج إلى زيارته في عمان مقر الإمارة العالي وأن يرافقه من شاء من ضيوفه... وأدب لنا مأدبة فائقة الترتيب والاتقان على النمط الافرنجي، وتناول الطعام معنا المستر فلبي المعتمد البريطاني وقرينته... وقدمني المستر فلبي إلى بعض إخوانه من الانجليز بأنني النقاد المخيف).

وحول عودتهم إلى القدس قال:

(ولما كان صباح اليوم التالي تمتعنا بحديث الأمير المضيف ومكارم أخلاقه وودعناه على الرغم منا، وعدنا إلى القدس حيث كان الأمير جورج مدعوا للشاي في منزل سعادة موسى كاظم باشا الزعيم الأكبر الفلسطيني، وقد اجتمع لمقابلته رهط من رجال الوطن وزعماء القوم فألقيت الخطب ترحيبا بالأمير وأديرت الحلويات والشاي.

ثم انتقل الأمير إلى زيارة الصديق الهمام راغب بك النشاشيبي رئيس مجلس بلدية القدس في حفلة أقامها حضرته يومئذ وجمعت علية القوم، يتقدمهم المندوب السامي وتراكمت الدعوات على الأمير جورج حتى لم يجد ساعة للراحة، وما كاد ينتهي من تناول العشاء حتى ذهب إلى مدرسة روضة المعارف إجابة لدعوة من النادي العربي. فألقيت الخطب في إطراء الأمير وآل بيته وخدمتهم للوطن والوحدة القومية من السيد خليل سكاكيني والشيخ عبد القادر المظفر).

## رحلته الرابعة[243]

في عام 1342هـ/1924م زار سركيس فلسطين للمرة الرابعة. لكنه لم يتحدث عن شيء يستحق الذكر بالنسبة للقدس. وحول سبب الزيارة قال:

(حدث في أوائل يناير الجاري أن فريقا من كرام السوريين في القاهرة علموا أن جلالة ملك الحجاز سيأتي إلى عمان عاصمة شرق الأردن لزيارة نجله الأمير عبد الله). فوقع الاختيار على سليم سركيس ليكون عضوا في الوفد الذي سيسافر لتحيته في عمان.

وعاد سركيس ليشكو من فنادق القدس فقال:

(نزلت في لوكندة مرقص في القدس لآخر مرة إن شاء الله، وكفى بهذا دليلا على رأيي في هذا الفندق الغريب في نظامه وترتيبه وحالة النازلين فيه. وعجبت لمدينة كالقدس، كان يجب أن تكثر فيها اللوكندات وأن تكون فخمة نظيفة مرتبة، لأن الذين يأتونها غالبا من خاصة الأميركان والانجليز. وهي مع ذلك قاصر أمرها على لوكندة مرقص ولوكندة أللنبي، وهذه أفضل كثيرا لولا أن الأهالي يقاطعونها بحجة أنها ليهودي. سبحان الله، وهل اليهود لا يأخذون منا إلا أجرة الإقامة في لوكندة أللنبي؟ وماذا يهمني أن يكون صاحبها من عفاريت الجان طالما أجد فيها راحتي).

ولم يفت سليم في هذه الرحلة أيضا زيارة ابنه أنور في مدرسة المطران، حيث مدح إدارتها وبرامجها وعنايتها الفائقة (بترويض الطلبة وسلامة أجسامهم)، وأهدى للمدرسة كأسا رياضيا.

---

[243] مجلة سركيس، السنة الثالثة عشرة، عدد 1+2: ص 4-6؛ عدد 5: 318-319.

# مخطوطات مكتبة دار إسعاف النشاشيبي

كـــان عــلماء القدس في العهد العثماني يتفاخرون بما لديهم من كتب ويحرصـــون عـــلى ترميمها وصيانتها وتثبيت ملكيتهم عليها. وقد وقف كثير منهم مكتباتهم على ذرياتهم وعلى طلبة العلم. ومنها مكتبات الخليلي والبديري وابن قاضي الصلت.

أما مجموعة دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب فهي خليط مـــن مخطوطـــات عـــثمانية متفرقة كانت لدى عدة عائلات مقدسية، وتفضل الدكـــتور إسحق موسى الحسيني بجمعها وإهدائها لمكتبة الدار[244]. وكثير من تـــلك المخطوطات كان في حوزة عائلة الحسيني نفسها، حيث أن العديد منها عـــليه تمـــليكات بأسماء مشاهير العائلة أمثال حسن بن عبد اللطيف ومحمد طاهر بن عبد الصمد.

ويبلغ عدد عناوين تلك المخطوطات 779 ما بين مفرد أو رسالة في مجمـــوع، حيث يبلغ عدد المفردة 210 والمجاميع 83، أي ما مجموعه 293 مجـــلدا. ومـــن بينها 17 مجلدا أهدتها السيدة وجيهة أرملة الشهيد عبد القادر الحسيني لمؤسسة دار الطفل العربي قبل وفاتها.

وأقدم مخطوطات المكتبة هو الجزء الثالث من كتاب المحيط لرضي الدين السرخسي (ت 571هـــ/1175م)، حيث نسخه عبد الرحمن بن محمد بن إبـــراهيم الطهـــراني عام 541هـــ/1146م. وأما أكبرها حجما فتبلغ مقاييس أوراقـــه: 31.9- 21.5- 3.5 سم، ومقاييس النص: 23- 12.5 سم؛ وتبلغ مقاييس أصغرها حجما: 15- 9.5- 0.9 سم، ومقاييس نصه: 10- 6 سم.

وهـــناك 67 مخطوطا تم تغليفها بجلد حيواني و89 مخطوطا بغلاف إيـــبرو كـــرتوني قـــبل القرن الثالث عشر الهجري. وقد تم نسخ غالبية هذه

---

[244] مجلة الشراع عدد 39، ص 3؛ مجلة هدى الاسلام، عدد 58، ص 51.

المخطوطات في العهد العثماني. وفيما يلي عدد المخطوطات حسب القرون الهجرية التي نسخت فيها:

| | |
|---|---|
| القرن السادس | 1 |
| القرن السابع | 3 |
| القرن الثامن | 6 |
| القرن التاسع | 25 |
| القرن العاشر | 37 |
| القرن الحادي عشر | 155 |
| القرن الثاني عشر | 206 |
| القرن الثالث عشر | 304 |
| القرن الرابع عشر | 6 |

**مخطوطات هامة**

إضافة إلى مخطوطات الدار التي ذُكرت سابقا في هذا الكتاب، توجد مخطوطات أخرى هامة من حيث ندرتها أو مواضيعها. ومنها:

* مخطوط (جامع الفوائد في شرح أسنى القصائد)، ولم يظهر من اسم المؤلف سوى (نظام الدين). وهو شرح على منظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات للشاطبي. وقد نسخه (حمز بن قتلوبك بن عبد الله) عام 767هـ/1366م، وعدد أوراقه 283. وأوله: (الحمد لمن تقدس عن التشبيه والتمثيل... إعلم أني قرأت هذه القصيدة على شيخنا... شمس الدين محمد بن علي ابن أبي القاسم). وعليه تمليكات باسم محمد بن محمد الحاجمي المصلحي، ومحمد بن مولانا محيي الدين المصلحي، وحسين بن محمد سنة 1160، وختم باسم (موسى بن ناصر الابلموي).

* الجــزء الأول من (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) لأحمد بــن يوســف السمين (ت 756هـ/1355م). وهو إعراب القرآن العظيم في ثلاثــة أجــزاء، يبدأ الجزء الأول بالفاتحة وينتهي بآخر المائدة. وقد نسخ في رجب عام 934هـ/1528م، وعدد أوراقه 216. وعلى المخطوط تمليك باسم أبي الوفا العلمي. وتوجد نسخة أخرى منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

* (حاشية الشمائل) لنور الدين بن علي الشبراملسي (ت 1087هـ/1676م)، وهــي شــرح على (النكت اللوذعية على شرح الجزرية) في علم التجويد لزين العابدين الأنصاري. وقد نسخت في القرن الثاني عشر الهجري، وعدد أوراقها 172. وعليها عبارة (وقفته على طلبة العلم وشرطت أن يكون مقــره بخزانة الشيخ أحمد البلشوني التي بحارة شيخنا البشيشي). وتوجد منه نسخة أخرى في جامعة برنستون.

* (شــرح حرز الأماني ووجه التهاني) للملا علي بن سلطان القاري (ت 1014هـ/1606م). وموضوعه أحكام التجويد على القراءات السبع. وقد نســخه محمد بن مصطفى الإمام بجامع السلطان أحمد في 2 ربيع الثاني سنة 1108 هجــرية، وعــدد أوراقه 404. وعليه آثار ترميم في العهد العثماني. وكتــبت عليه العبارة التالية (من موقوفات المرحوم المغفور له الشيخ محمد عاشور البخاري شكر الله سعيه على مفتي القدس طاهر أفندي سنة 1230).

* (منظومة حديقة الزهر في عد آي السور) لبرهان الدين إبراهيم بن عمــر الجعبري الخليلي (ت 732هـ/1332م)، وموضوعها عدد آيات سور القرآن الكريم. وقد نسخها أحمد بن مصطفى البولوي عام 1159 هجرية.

* الفــتاوى التمرتاشية في الوقائع الغزية، لشمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشي الغزي (ت 1004هـ/1596م). وعليه تمليك باسم: (أحمد بن محمــد الزيــتاوي الحنبــلي) وآخــر باسم (عبد الغني الجوهري... بالشراء الشــرعي من السيد عبد الغني كراوية في رجب الفرد سنة 1187... ثم إني

أهديته لصدر الأفاضل... حسن أفندي الحسيني المفتي بالقدس الشريف... في شعبان 1193).

* الفتاوى الحسنية الحسينية والفروع المنقحة الفقهية الواقعة في الديار القدسية، لحسن بن عبد اللطيف الحسيني (ت 1226هـ/1811م)، والذي تولى الإفتاء في القدس ردحا من الزمن، وكان من أشهر أعلام العائلة الحسينية في العهد العثماني. وقد جمع فتاواه تلميذه أحمد زايد الغزي. ونسخها محمد سعيد جار الله اللطفي سنة 1216هـ.

* الفتاوى الخيرية لنفع البرية، لخير الدين بن أحمد الرملي (ت 1081هـ/1670م). وكان شيخ الحنفية في فلسطين خلال القرن الحادي عشر. وهو جد عائلة الخيري في الرملة ويافا. وقد جمع ابنه محيي الدين معظم فتاواه، ثم أتمها إبراهيم بن سليمان الجينيني تلميذ خير الدين، ونسخها في شعبان 1095هـ. وعلى المخطوط ختم على عدة صفحات نصه: (وقف هذا الكتاب لوجه الله تعالى الأمير مصطفى آغاه وكيل دار السعادة سنة 1204).

* الرحمة للكثير من الأنام في معرفة شيء من أحكام الحلال والحرام، لمحمد العلمي. وأعتقد أنه محمد بن عمر العلمي القدسي المتوفي عام 1038هـ/1628م. وقد نسخ عام 1228هـ.

* عيون المذاهب الكاملي، لقوام الدين محمد بن محمد الخُجندي الكاكي (ت 749هـ/1348م). وهو مختصر في فروع الفقه على المذاهب الأربعة. أهداه المؤلف للسلطان شعبان بن محمد الكامل. وقد نسخه سليمان بن محمود بن داود في مدينة عين تاب في ربيع الثاني 782هـ.

* مجمع البحرين وملتقى النيرين، لمظفر الدين أحمد بن علي الساعاتي (ت 694هـ/1295م)،وموضوعه فروع الفقه الحنفي مقارنة بالمذاهب الأخرى. وقد نسخ في العهد المملوكي. وعليه عبارة (برسم الجناب

العـــالي الســـيفي خانم خازندار المقر الأشرف العالي السيفي... النواب كان تغمده الله برحمته)؛ و(هدية درويش حسن آني في أول رجب سنة 942).

* قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام، لجمال الدين الحسن ابن المطهر (ت 727هـ/1325م). وموضوعه فروع الفقه الشافعي. نسخه محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن يوسف القفغاني في ربيع الثاني 871هـ.

* الفـــتاوى الظهيرية، المنسوبة لظهير الدين أبو بكر محمد بن أحمد الـــبخاري (ت 619هـ/1222م). وعليه عبارة: (ساقه المنان للعبد الضعيف الحـــاج حســـن الحســـيني الخلوتي المفتي بالقدس الشريف عفا الله عنه بمكة المشرفة بالشراء الشرعي).

* سياسة نامة، لمحمد دده بن مصطفى الأرضرومي (ت 1146هـ/ 1733م). وموضـــوعها السياسة والقضاء والعدل بين الرعية حسب الشريعة الاسلامية. وقد نسخت في القرن الثالث عشر الهجري.

* الفـــتاوى التاتارخانية أو زاد المسافر، لعالم بن علاء الدين الحنفي (ح 752هـــــ/1351م). وقد جمع فيه فتاوى من عدة كتب بإشارة من الخان الأعظم تاتارخان. وتم نسخه عام 967هـ.

* فتاوى قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله (ت 879هـ/1477م)، وعليه تمـــليك باســـم (هبة الله بن عبد الغفار المفتي بالقدس الشريف)، و(استصحبه الفقير إلى ربه الصمد محمد حميد ابن المولى أحمد خلال سنة 1175)، و(من متروكات المرحوم الشيخ فخر الدين المعري).

* الفـــتاوى الأمينية في واقعات السادة الحنفية، لأمين الدين محمد بن عـــبد العـــال المصري (ت 971هـ/1563م). وعليه تمليك باسم (محمد بن أحمد التوزي)، وختم نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله هذا وقف الحاج أحمد باشا الجزار بمدرسة النور أحمدية 1205).

* تـــبيين الحقـــائق شـــرح كنز الحقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي (ت 743هـــ/1342م)، وعليه عبارة: (طالع فيه الفقير الحقير الذليل الضـــعيف السيد خليل الخالدي نجل السيد محمد الخالدي النائب وباش كاتب بمحكمة القدس الشريف حالا في أول محرم الحرام سنة 1235).

* الـــدر المخـــتار شرح تنوير الأبصار. لعلاء الدين محمد بن علي الحصـــكفي (ت 1088هـــ/1677م). وعليه تمليك: (من منه سبحانه آلت هذه النســـخة بالشراء من تركة عمي المرحوم علي آغا رحمه الله تعالى في ملكي وأنـــا الفقير أبو بكر سبط آل الصديق ومكي زاده حرر في عشرة ذي القعدة سنة ألف ومايتين وأربع).

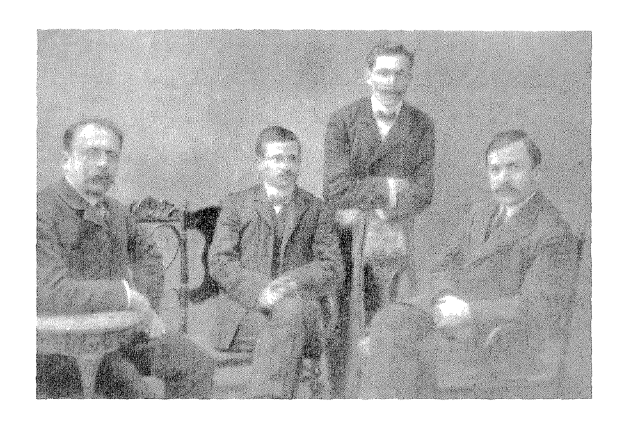
* شرح السير الكبير، لأبي بكر محمد السَّرَخْسي، نسخه مصطفى بن أحمد المصري في رجب 1126هـــ، وعليه عبارة: (قد نجز هذا الكتاب بعون المـــلك الوهاب برسم مولانا شيخ مشايخ الاسلام والمسلمين وارث علوم سيد المســـلمين أكمـــل فحول المحققين والمدققين الجامع بين الأصول والفروع... القاضي مصطفى متع الاسلام بطول بقائه).

* الميـــزان الشعرانية المُدخلة لجميع المذاهب المستعملة والمندرسة، لعـــبد الوهاب الشعراني (ت 973هـــ/1565م). وعليه تمليك باسم حسين بن رستم في رجب 1021، وأحمد غا بن قنصوه في صفر 1055.

* تفصـــيل عقد الفوائد بتكميل قيد الشرائد. لعبد البر ابن الشحنة (ت 921هـــــ/1515م). نسخه عبد الغفار بن أحمد بن أبو بكر بن عبد الرحمن الشبراوي في صفر 967هـــ.

* الحدود والأحكام، للشاه رودي (ت 875هـــ/1470م). وعليه عدة تمـــليكات باســـم ســـليمان بن عبد الله البروسي، والحاج محمد المولى خلافة بمديـــنة قسطنطينية المحروسة سنة 1150هـــ، وأبي الإرشاد حسن بن علي سنة 1176هـــ، وحسن بن علي القاضي.

* مخطــوط حاشــية على رسالة الوضع على التمام لحسين بن علي الهــروي (ت 910هـــ/1504م) في اللغة العربية، والمتن لعضد الدين عبد الــرحمن الإيجــي. وقــد نسخه حسين محمد الدري بخط نسخي مغربي عام 1194هـ/1780م. وعدد أوراقه 32. وأوله:... وبأوضاع أسمائك نعتصم يا عــليم نــزلت مــنزلة المشخص إلخ يريد أن كلمة هذه ها هنا استعملت في العبادات المخصوصة.



التقطت هذه الصورة في 1910/4/13 لأربعة من مشاهير القدس الذين اجتمع بهم المستشرق الروسي كراتشكوفسكي (1883-1951) خلال زيارته للقدس. وهم من اليمين: خليل السكاكيني وجميل الخالدي وإسعاف النشاشيبي وبندلي الجوزي.

# المكتبة الخالدية

يشـــد انتـــباه زائري المسجد الأقصى عبر طريق باب السلسلة مبنى المكتـــبة الخالدية التي تأسست عام 1318هـ/1900م في الصف القبلي من الطـــريق، شرقي عقبة أبي مدين المؤدية إلى حارة المغاربة. وتقع بجوارها قبور ثلاثة من أمراء الخوارزمية الذين شاركوا في دحر الصليبيين من القدس عام 643هـ/1245م.

لقـــد تأسست المكتبة الخالدية لمقصد نبيل، ألا وهو نشر العلم وخدمة الطلـــبة وحفظ التراث الإسلامي في القدس كصدقة جارية دون مقابل. وكان أهـــل العـــلم في فلسطين وما حولها، يتغنون بما حوته من نفائس في أواخر العهد العثماني وإبان الاحتلال البريطاني.

### راغب يأخذ على عاتقه تطوير المكتبة

لقـــد بـــالغ الدكـــتور عدنـــان الخطيب في وصف دور الشيخ طاهر الجزائـــري[245] فـــي تأســـيس المكتبة فقال: (قام الشيخ طاهر بمساعي كبيرة لتأســـيس مكتـــبة وطنية في مدينة القدس، فكانت المكتبة الخالدية بمساعدة آل الخـــالدي. وقد غدت فيما بعد من أهم دور الكتب العربية لِما اجتمع فيها من مخطوطـــات وكتب قيمة)[246]. صحيح أن الشيخ طاهر قد لعب دورا هاما في دعم مسيرة المكتبة، لكن مؤسسها الحقيقي هو الشيخ راغب الخالدي[247] الذي

---

[245] (ت 1338هـ/1920م) كان من أنصار الصدر الأعظم مدحت باشا. أسس المكتبة الظاهرية في دمشق وجمع فيها نفائس مخطوطات الشام.

[246] الشيخ طاهر الجزائري: رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، 110.

[247] (ت 1280هـ/1952م) عين قاضيا للصلح في بداية الاحتلال البريطاني ثم قاضيا أعلى في المحكمة المركزية في القدس.

نفـــذ وصـــية والدتـــه بمساعدة عدد من آل الخالدي ومنهم ياسين الخالدي[248] وموسى شفيق الخالدي[249].

وكان أول ما تزينت به المكتبة مخطوطات قيمة توارثها آل الخالدي عن آبائهم وأجدادهم. حيث كانت نواتها الأولى مكتبة محمد صنع الله بن خليل الخـــالدي[250] الـــتي وقفهـــا عـــام 1133هــــ/1720م وكـــانت تضم 560 مخطوطـــا[251]. ثم أضيفت إليها مكتبات خاصة كانت في حوزة كبار أعيانهم أمثال محمد صنع الله الابن[252] ويوسف ضياء الخالدي[253] وروحي الخالدي[254] وأحمد بدوي الخالدي[255] ونظيف الخالدي.

وقـــد فـــتحت المكتـــبة أبوابها منذ تأسيسها أمام طلبة العلم يوميا من الصـــباح حـــتى المساء دون قيد أو شرط، سوى منع إخراج الكتب من الدار حرصـــا على سلامتها وعدم فقدانها. وتم طبع كتاب حول برنامجها وفهرس أولي لمحتوياتها في العام الذي افتتحت فيه.

---

[248] (ت 1901/1318) انتخبه أهل القدس لينوب عنهم في المجلس العمومي في بيروت عام 1866/1283. عينه الصدر الأعظم مدحت باشا قاضيا شرعيا في نابلس ثم في طرابلس. تولى رئاسة بلدية القدس عام 1898/1316.

[249] لم أعثر على ترجمة له.

[250] مدرس وباش كاتب بمحكمة القدس (ت 1139هـ/1726م).

[251] صحيفة الأيام، المكتبة الخالدية في القدس، وليد الخالدي، 2001/7/10، ص 15.

[252] (ت 1205هـ/1790م).

[253] (ت 1324هـ/1906م). تولى رئاسة بلدية القدس عام 1869/1286. انتخب نائبا عن القدس في مجلس المبعوثين عام 1877/1294. عين قنصلا في ميناء بوتي الروسي ثم أستاذا للغات السامية في جامعة فينا.

[254] (ت 1331هـ/1913م) عين قنصلا للدولة العثمانية في بوردو في فرنسا. عاد إلى القدس بعد الإعلان عن الدستور العثماني وانتخب عضوا في مجلس المبعوثين ثلاث مرات.

[255] (ت 1330هـ/1912م).

## وصف إبراهيم السيد عيسى

ذكرنا أن الرحالة المصري إبراهيم السيد عيسى زار المكتبة الخالدية عام 1354هـ/1935م، حيث اجتمع بالشيخ راغب وقال:

(أمـا السـبب في معرفتي بفضيلته فهو أني دخلت ذات يوم لزيارة المكتـبة الخالديـة وتحدثت إليه عن تأسيس هذه المكتبة، والسبب في إنشائها فأخـبرني بأن والدته كانت من النساء الصالحات. وقد أشارت عليه بتأسيس مكتـبة علمية يجعلها وقفا لمنفعة المسلمين في العصر والأجيال القادمة. ولما حانت وفاتها سنة 1316هـ/1898م شرع في تأسيسها حسب الوصية وسماها "المكتبة الخالدية" تبركا بذكرى جده سيدنا خالد ابن الوليد، واستجلب لها أنفس الكتب العلمية والتاريخية من مصر والأستانة، حتى أصبح فيها من المجلدات المطـبوعة والمخطوطـة ما يزيد على عشرة آلاف. هذا غير المخطوطات الأثـرية والقطع النفيسة. وما رأيت في فلسطين أعظم من هذه المكتبة. وحق لـي أن أسجل خير عمل قام به المترجَم ليكون قدوة لأغنياء المسلمين الذين يجمعـون أمـوال الأمة في خزائنهم يصرفونها على ملذاتهم وشهواتهم، غير ملتفـتين لمـا ينفع الأمة ويرفع منزلتهم في دنياهم وأخراهم... أكثر الله من أمثاله وألهم الأغنياء الاقتداء بأعماله)[256].

## وقف حمام العين

وبهـدف الحفاظ على استمرارية المكتبة أوقف الشيخ راغب حصته الشخصـية مـن نصـف ريـع حمـام العين الكائن في سوق القطانين على مصـالحها. ولا ندري كيف آل هذا الوقف إلى عائلة الخالدي، حيث أن ريع

---

[256] مجمع الآثار العربية، ص 118.

حمام العين كان موقوفا على مصالح قبة الصخرة المشرفة والمدرسة التنكزية[257] مناصفة.

وهناك العشرات من الحجج في سجلات محكمة القدس التي تؤكد الوقف المذكور، نذكر منها حجة وردت عام 1013هـ/1605م وجاء فيها: (استقرت إجارة حمام العين الجاري نصفها في وقف الصخرة الشريفة والنصف الثاني في الوقف على مدرسة التنكزية الكائنة بالقدس الشريف المحمية بمباشرة مولانا شاهين جلبي كاتب وقف الصخرة الشريفة والشيخ عبد القادر بن محمد نائب الناظر والحاكم الشرعي مولانا حبيب أفندي لغيبة الناظر على المعلم محمد بن أحمد المعكس مدة سنة من حادي عشري شهر شعبان سنة تاريخه مع جريان الماء بمبلغ قدره تسعون سلطانيا قطعا مصرية حسابا عن أجرة كل يوم لجهة الوقفين عشرة قطع مصرية استقرارا مرعيا بتاريخه)[258].

وفي محاولة لجمع بعض البيانات التي قد تؤدي إلى توضيح المسألة، نذكر أنه قد تم في عام 1195هـ/1780م تعيين أبناء محمد أفندي الخالدي في وظيفة التدريس في المدرسة التنكزية، حيث كانوا يأخذون مرتباتهم من أجرة حمام العين الجاري نصفه في وقف المدرسة. فلعل آل الخالدي الذين توارثوا الاشراف على المدرسة قد استخرجوا فتوى شرعية تجيز تحويل الوقف إلى جهة أخرى بسبب تعطل التدريس فيها.

---

[257] تقع خارج باب السلسلة، ولها باب يطل على الحرم الشريف وآخر يطل على طريق باب السلسلة. تنسب إلى الأمير تنكز الناصري الذي وقفها عام 712هـ/1312م. تحولت في عهد الأتراك إلى محكمة شرعية ثم أصبحت في عهد الاحتلال البريطاني دار سكن للحاج أمين الحسيني. وضعت السلطات الإسرائيلية يدها عليها عقب حرب عام 1387هـ/1967م.

[258] س ش 85: 104.

## محتوياتها

تضـــم المكتـــبة عـــددا من نفائس المخطوطات العربية، ومنها كتاب الإشـــارة إلى مـــن نال الوزارة، الذي عثر عليه العلامة عبد الله مخلص[259] فحققه ونشره في القدس عام 1341هـ/1923م. وعثر أحمد سامح بن راغب الخـــالدي[260] على مخطوط نادر آخر وهو مثير الغرام بفضائل القدس والشام لأحمـــد بـــن محمد المقدسي تم نسخه عام 987هـ/1579م، فقابله مع نسخة أخرى عثر عليها في المكتبة الظاهرية بدمشق ونشره عام 1365هـ/1946م.

وكـــانت المكتبة الخالدية عند تأسيسها تضم 1318 كتابا. ثم نما العدد حـــتى تجاوز أربعة آلاف مجلد عام 1347هـ/1928م. وذكر إبراهيم السيد عيسى أن عدد كتبها فاق العشرة آلاف عام 1354هـ/ 1935م كما مر آنفا، وقيـــل أيضـــا أن عددها بلغ سبعة آلاف عام 1355هـ/1936م. وأخيرا قال عارف العارف أن عددها بلغ 12 ألفا عام 1366هـ/1947م.

لكـــن الدكتور وليد الخالدي شكك بصحة الأرقام المذكورة، ونفى ما تـــردد عـــن فقدان وتسرب أعداد هائلة من الكتب. وقال أن محتوياتها بلغت 1293 مخطوطا و 4704 كتابا مطبوعا حسب الجرد الذي أجري عام 1388 هـ/1968م. وقد أضيفت إليها مكتبة الشيخ محمد الصالح[261] عام 1418هـ/1998م.

---

[259] (ت 1367هـ/1947م) من كبار علماء فلسطين في عهد الاحتلال البريطاني. عين وكيلا لدار كتب المسجد الأقصى، ثم ترقى إلى منصب مدير عام الأوقاف الاسلامية في فلسطين. عني بالمخطوطات والآثار الإسلامية في فلسطين. انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق.

[260] (ت 1370هـ/1951م) عين مديرا للكلية العربية في القدس عام 1925/1343، ثم مساعدا لمدير المعارف العام في فلسطين عام 1941/1360.

[261] محمد بن سليمان الصالح (ت 1940/1359) أسس كلية روضة المعارف التي تخرج منها عدد كبير من المشاهير.

**القيمون عليها**

كـــان آل الخـــالدي قد عينوا الشيخ أمين الدنف الأنصاري قيما على مكتبـــتهم بعد عودة الشيخ طاهر الجزائري إلى دمشق. ويعد الشيخ أمين آخر الوراقيـــن بـــبيت المقـــدس حيث نسخ بخط يده عددا من مخطوطات المكتبة الخالديـــة[262]. وقـــد أشرف على المكتبة حتى وفاته عام 1378هـــ/ 1958م، حيث تسلم مفاتيحها أحد أبنائه.

وبعـــد حـــرب عام 1387هـــ/1967م تولى حيدر الخالدي الإشراف على المكتبة حتى وفاته عام 1414هـــ/1993م، حيث انتقلت عهدتها إلى ابنه كـــامل، الـــذي وكل شقيقته هيفاء بالإشراف المباشر عليها. وكذلك فقد سعى بعـــض مشاهير العائلة أمثال وليد الخالدي ورشيد الخالدي إلى تأسيس جمعية أصـــدقاء المكتبة الخالدية في الولايات المتحدة عام 1409هـــ/1989م بهدف حمايـــة هـــذا الـــتراث العائلي والمقدسي وذلك بتأمين الدعم المالي والعلمي والتقني للمكتبة[263].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[262] استقر بعضها في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي وفي المكتبة البديرية.

[263] صحيفة الأيام، المكتبة الخالدية في القدس، وليد الخالدي، الأيام، 2001/7/10، 15.

# المراجع


1) إبراهيم السيد عيسى المصري، مجمع الآثار العربية، ج1، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1355هـ/1936م.
2) أحمد العقاد، الشخصيات الفلسطينية، ط2، القدس، 1399هـ/1979م.
3) أحمد بن محمد المقدسي، مثير الغرام بفضائل القدس والشام، تحقيق أحمد سامح الخالدي، مكتبة الطاهر، يافا، 1365هـ/1946م.
4) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، المكتبة البولسية، بيروت، 1987.
5) أمين الحسيني وفؤاد سابا، مذكرة اللجنة العربية العليا المقدمة إلى اللجنة الملكية بالقدس، مطبعة العرب، 1355هـ/1937م.
6) أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، استانبول، 1402هـ/1982م.
7) تيسير الناشف، مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين، ط3، منشورات الطلائع، الناصرة، 1420هـ/1999م.
8) جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتي، المطبعة السورية الأميركية، نيويورك، 1346هـ/1927م.
9) حسن بن عبد اللطيف الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق سلامة النعيمات، عمان، 1405هـ/1985م.
10) حنا خلف، من وحي النضال، القدس، 1376هـ/1957م.
11) خضر سلامة:
   1- فهرس مخطوطات المسجد الأقصى، ج1، القدس، 1401هـ.
   2- فهرس مخطوطات المكتبة البديرية، القدس، 1407هـ.
12) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط7، بيروت، 1406هـ/1986م.
13) رفيق النتشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، الخليل، 1997/1417.
14) صورة ميكروفيلمية لسجلات المحكمة القدسية.
15) صحيفة الأيام، المكتبة الخالدية في القدس، وليد الخالدي، 2001/7/10.
16) صحيفة القاهرة، صبحي غوشة، عدد 62، 2001/6/19.
17) صلاح الدين المنجد، المخطوطات العربية في فلسطين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982.
18) عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، بيروت، 1995.

19) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، ط2، مكتبة الأندلس، القدس، 1406هـ/1986م.
20) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، تاريخ فلسطين، القدس، 1341هـ/ 1923م.
21) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، د. ت.
22) عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1391هـ/1971م.
23) علي بن منجب ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القدس، 1341هـ/1923م.
24) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1376 هـ/1957م.
25) فؤاد محمد عبيد، مخطوطات فلسطين: واقع وطموح، منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني، القدس، 1421هـ/2000م.
26) قاسم السامرائي، الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية ومتعلقاتها، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، 1416هـ/1995م.
27) كامل العسلي:
1- بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان، 1412 هـ/1992م.
2- صدى الحملة الفرنسية على مصر وفلسطين، الندوة العالمية لشؤون القدس، عمان، 1410هـ/1990م.
3- وثائق مقدسية تاريخية، عمان، ج1: 1983؛ ج2: 1985؛ ج3: 1989.
28) مجلة الجامعة، الاسكندرية، عدد صفر 1320هـ/أيار 1903م.
29) مجلة سركيس، القاهرة، السنوات 1921-1924.
30) مجلة كلية الآداب للبنات، عدد 1، سنة 1986، (الشيخ علي بن محمود الريماوي)، بقلم كمال الريماوي.
31) مجلة هدى الاسلام، دائرة الأوقاف الاسلامية، القدس.
32) مجموعة أبحاث مهداة إلى الدكتور إسحق موسى الحسيني، القدس، 1985.
33) محمد جميل الشطي، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، ط2، دمشق، 1391 هـ/1972م.
34) محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار الطباعة الكبرى، القاهرة، 1301هـ.

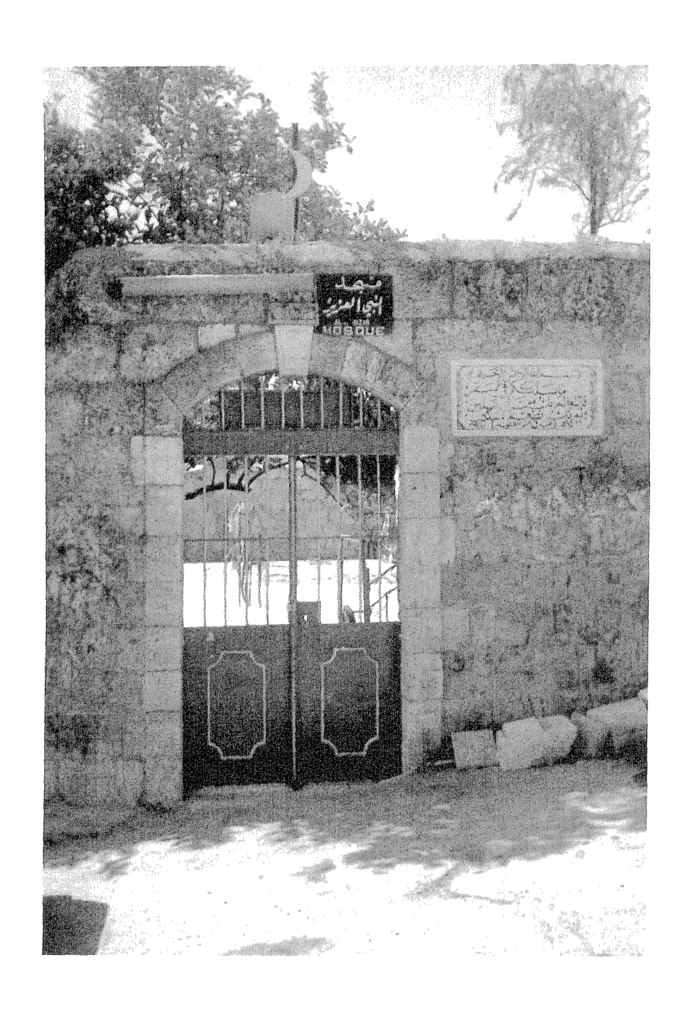
35) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي، القاهرة، 1354هـ.
36) محمد علي الطاهر، نظرات الشورى، مطبعة الشورى، القاهرة، 1351هـ/ 1932م.
37) محمد محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، دار المأمون، دمشق، 1407هـ/ 1987م.
38) محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، 1406هـ/1986م:
1- علماء دمشق في القرن الثالث عشر الهجري.
2- علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.
39) مخطوطات ووثائق مكتبة دار إسعاف النشاشيبي.
40) موسى أبو رومي، إعرف بلدك: العيزرية: 2000، القدس.
41) يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ط3، القدس، 1412هـ/ 1992م.
42) يوسف النبهاني، خلاصة البيان في بعض مآثر مولانا السلطان، بيروت 1317 هـ/1899م.

**Foreign References**

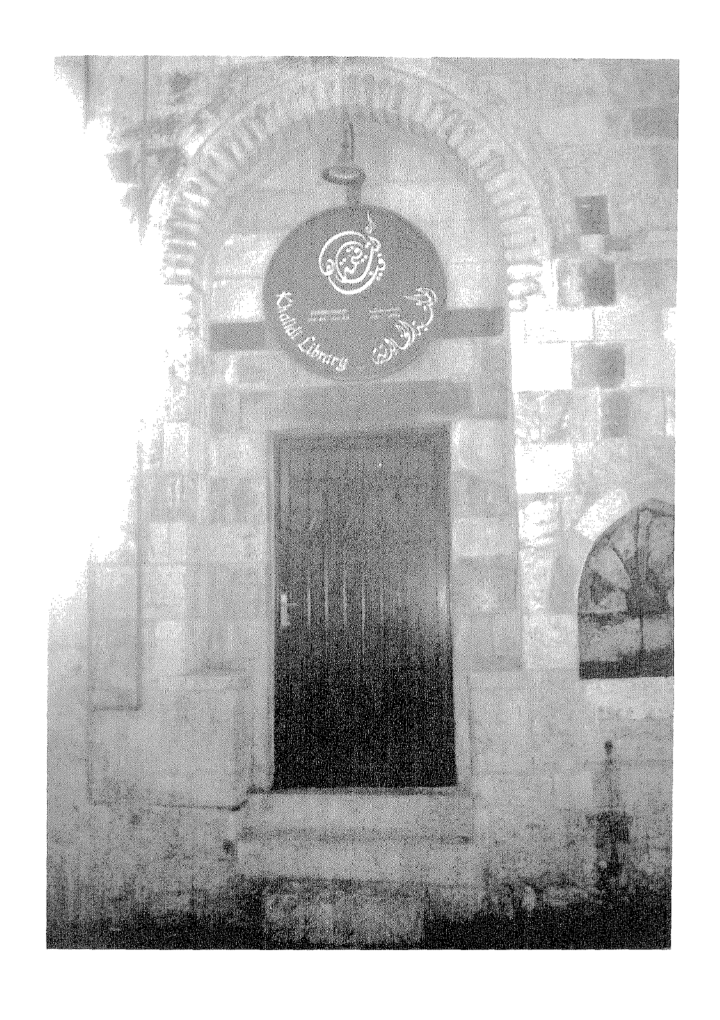
1) Ann Dearden, “Jordan”, Robert Hale Limited, London, 1958.
2) Bertha Spafford Vester, “Our Jerusalem”, Middle East Export Press, Lebanon, 1950.
3) Michael Meinecke, “Die Erneuerung von al-Quds/Jerusalem durch den Osmanensultan Sulaiman Qanuni”, in:
(الندوة العالمية الأولى حول فلسطين)، ص 257-271، تحرير د. شوقي شعث، جامعة حلب، 1401هـ/1981م.

## صدر للمؤلف

- خصومة الشيخ يوسف النبهاني مع السلفيين والوهابيين والمصلحين، 1417هـ/1997م.
- المستشرقون والصحوة الاسلامية، 1420هـ/1999م.



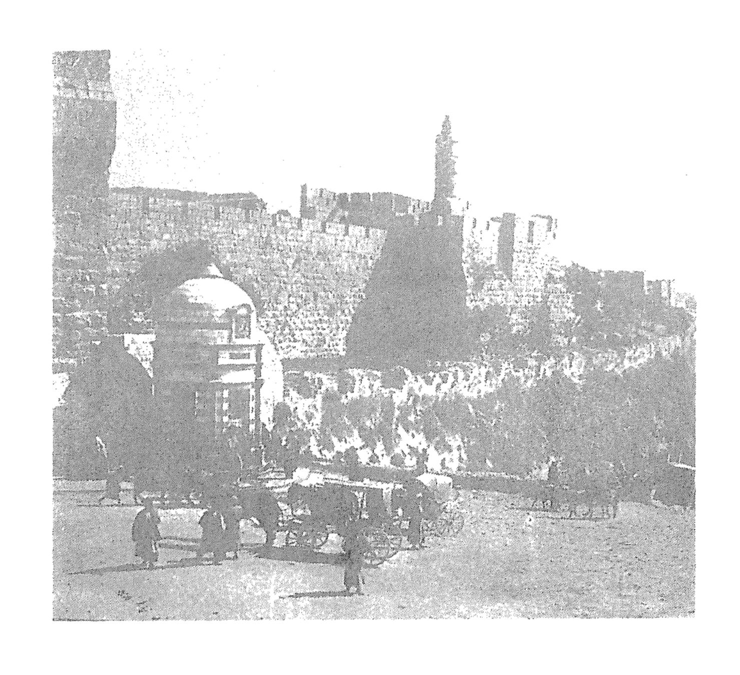

مدخل مسجد العزير قبل بناء المسجد الحديث وتجديد المدخل




مدخل المكتبة الخالدية بعد ترميمها



برج اللقلق



محطة العربات الى يافا والخليل عام ١٩٠٠ .
والى اليسار سبيل السلطان عبد الحميد الذي بني عام ١٨٩٨ .



باب العامود في العهد العثماني

هو

الله

بالمجلس الشرعي المحرر المرعي الجليل [illegible] تعالى [illegible] مولانا وسيدنا [illegible]

قدوة قضاة الاسلام [illegible] الانام زين المدرسين العظام الحاكم الشرعي المولى

الموقع خطه الكريم اعلاه دام فضله وعلاه لحاملي هذا الكتاب الشرعي [illegible]

ذا الخطاب المعتبر المرعي [illegible] الحاج اسمعيل [illegible] الحاج حسني الشامي وظيفة

النظر على وقف الثريا بالصخرة الشريفة المنسوب [illegible] ذلك [illegible] المرحوم سنان باشا

بما لذلك من المعلوم وقدره في كل يوم عثماني عوضا عن الحاج مصطفى بن حسن

فواز بحكم فراغه له عن ذلك في يوم تاريخه ادناه [illegible] اختياره ورضاه

الرسالة للفارغ المذكور بموجب تقرير شرعي مؤرخ بثاني جمادى

الاخرى سنة اربع وعشرين ومائة والف واذن [illegible] مولانا الحاكم الشرعي

للمقرر المذكور بمباشرة الوظيفة المذكورة وقبض معلومها المعين اعلاه

من متولي الوقف المذكور [illegible] الامثال [illegible]

شرعا وتفويض الفارغ المذكور [illegible] المفروغ له المرقوم [illegible] فراغه له

عن ذلك [illegible] وذلك

الاعتراف الشرعي [illegible]

رجب الحرام سنة خمس وعشرين ومائة والف

[illegible]

حجة تعيين اسماعيل بن حسني الشامي ناظرا على وقف الثريا بالصخرة المشرفة عوضا عن مصطفى بن حسن فواز عام ١١٢٥ هجرية. وكلاهما من اجداد عائلة النشاشيبي.

